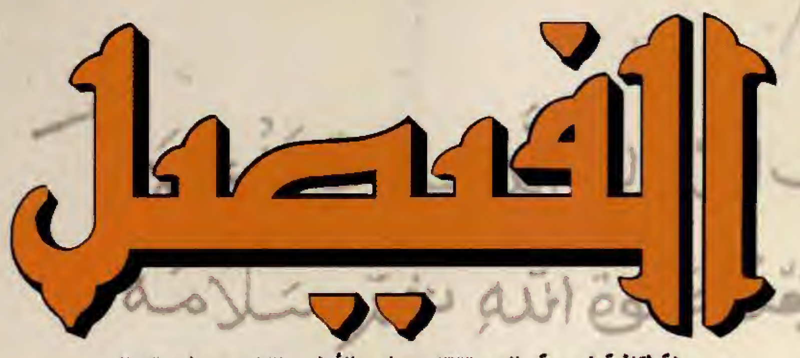


مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٢٣ - جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ - يوليو ٢٠٠٣م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 323 - JUL. 2003

# المخطوطات العربية في باكو

ليئة: آثار وآبار

التربية والصحافة

الشهود الحضاري ودور
المرأة في التنمية

الموارد المائية في دول
مجلس التعاون الخليجي

أدب ذوي الاحتياجات
الخاصة: عنهم ولهم

التكعيبية
في فن الرسم

عبداللطيف حمزة: العالم
الفقيه ورائد الإعلام
الإسلامي الحديث



مطابع هلا
تشكر مجلة الفيصل
لثقتها فيها بطباعة
٣٦ عدداً بامتيــاز
على مدى ٣ سنوات
الفيصل
المخطوطات العربية في باكو
مكتبة الإسكندرية واستئناف الدور الحضاري
شعب الموسا الموطن واللغة



الناشر: دار الفيصل الثقافية

## المحتويات

## ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

**الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.**

## السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

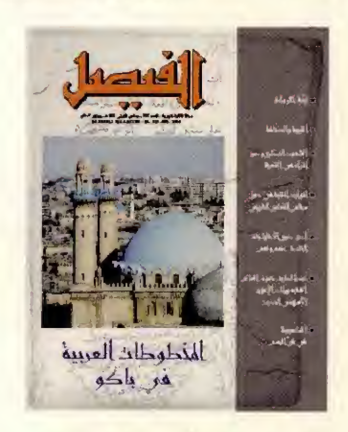
## الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢..، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٠٣٥ ١ هاتف ٢١٢٨٢٤٨ـ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ـ ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩ـ فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ـ ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



مطابع هلا
٤٨٢١٣١٣




## المخطوطات العربية في باكو

**باكو إحدى مدن آذربيجان العريقة والغنية بعدد وافر من المخطوطات الإسلامية النادرة في مختلف فروع العلم. وقد دافعت باكو عن هذا التراث العلمي ضد النظام الشيوعي ما يقرب من السبعين عاماً، وبذل علماؤها جهداً كبيراً في سبيل جمعه وتصنيفه وفهرسته وصيانته.**

**وتعد مكتبة معهد المخطوطات لأكاديمية العلوم لآذربيجان معقلاً للمخطوطات العربية والإسلامية النادرة، فهي تضم نحو ١٢ ألف مخطوطة.. ما أهم تلك المخطوطات؟، وما دور المعهد في حفظ التراث العربي الإسلامي في تلك البقاع؟**

### إدارة التحرير:

رئيس التحرير: **يحيى محمود بن جنيد**

مدير التحرير: **عبدالله يوسف الكويليت**

### المراسلات للتحرير والإدارة:

**ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية**

**هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥**

**ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١**

### الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

### الإعلانات:

**هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١**

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

## بركان المعلومات

أبعث رسالتي هذه من بعد قراءتي لبعض أعداد المجلة التاريخية الأثرية الثقافية وتصفحت أوراقها ودعتني كلماتها وعناوينها البارزة إلى أن أطلع على الموضوع مقالاً كان أم استطلاعاً على الرغم من أن بعض الموضوعات طويلة جداً فيتثاقل القارئ في متابعتها، ولكن تهز ذاكرته وتثيره تلك العناوين البارزة. فأقول من دون مبالغة إنها مجلة وكتاب تحتفظ بتاريخ عظيم وآثار مدفونة تحت الرمال، فتنبثق كالبراكين والصخور المتطايرة على صفحات مجلتكم الغراء الفيصل.

فهي تدخر في كيانها تلك المعلومات الجديدة عن مدينة ما. فللفيصل وجميع العاملين فيها الشكر والتقدير.

وأتمنى لكم التقدم والازدهار دوماً.

**يعقوب محمد جبارة**
**الحديدة - اليمن**

**التحرير:**
**نشكر لك ما أبديته من إعجاب، ويسعدنا كثيراً تلقي ملاحظاتك وملاحظات جميع الإخوة القراء التي ستفيد حتماً في خطوات التطوير إن شاء الله.**

## ملاحظات جديرة بالاهتمام

رسالتي هذه المرة تحمل بعض الملاحظات نحو الفيصل كما يحلو أن أنعتها وأصفها.. ملاحظات جديرة بالنظر والاهتمام..

أولاً: لقد ولدت الفيصل شامخة في الساحة الأدبية، وأصبحت بعد ذلك منارة ثقافية سامقة الارتفاع، وهذا ليس من باب المجاملة، ولكنه تقرير للواقع الذي نعيشه ونلمسه خصوصاً وأنا من الذين يقتنون المجلة منذ عددها الأول في عام ١٩٧٩م، ولا أبالغ إذا قلت: إن العدد الأول يظلل رفوف مكتبتي المتواضعة، وأعتز بها جداً، وذلك لجمال الإخراج، وحسن العرض، ودسامة الموضوعات - التي تعرضها المجلة منذ ظهورها في أواخر السبعينيات من القرن الماضي.. وسموقها وشموخها ينيران معظم المجلات الأدبية والثقافية في عالمنا العربي.. ولكننا قراء الفيصل ننشد الكمال لمجلتنا الغراء الجميلة.. ولذلك فإني أسوق بعض الملاحظات حسبما أرى وأعتقد أن القراء الآخرين سيشاركونني في هذا، ومن هذه الملاحظات:

أولاً: كانت المجلة في الماضي تتعرض للكتابة عن اليهود والصهيونية، وكان الأستاذ الدكتور حسن ظاظا - رحمه الله - يكتب في هذا الموضوع مقالاً في كل عدد يعطي القارئ معلومات عن هذه الشرذمة التي تعيث في أرضنا فساداً حتى أصبحت كالسوس ينخر جسد الأمة.. أصبحت المخططات والمؤامرات التي تحاك في أرض فلسطين العربية بما يستتبع ذلك من محاولات القتل والتنكيل بالأبرياء من الأطفال والشبان والشيوخ، ومناظر تقطع نياط القلوب وتعتصر الأنفس بالأسى والألم، والعالم كله يتفرج ولا يعير هذه المناظر أي اهتمام في عالم الكيل ليس بمكيالين، ولكن بعشرات المكاييل كنا نتمنى في هذه الظروف أن يكتب كاتب كبير على مستوى الأحداث عن اليهودية والصهيونية ومخططاتها للعالم العربي حتى يمكن للقارئ أن يشفي غليله، ويطفئ ظمأه، وحتى نقف جميعاً على الدسائس والمؤامرات التي تحاك ضدنا نحن العرب في هذه الأثناء.. ليت المجلة تراعي ذلك في أعدادها القادمة بإذن الله تعالى.. وأعتقد أن هذا سوف يحدث هزة عميقة في نفوس قرائنا حتى يفيق الجميع على الأساليب الخسيسة والدنيئة التي تحاك ضد شعوبنا العربية في هذه الظروف العصيبة والخطيرة!!

ثانياً: كانت هناك في الماضي ملاحق تصدر مع المجلة عن بعض المعلومات التي تحتاج إلى دعم القارئ ثقافياً وأدبياً، وكانت كالمراجع يرجع إليها قارئ الفيصل، وكانت تتحدث عن موضوعات الساعة مثل الوضع القانوني لمدينة القدس مثلاً.. وعن بعض الشخصيات المرموقة في عالمنا، وعن سير بعض الزعماء الذين كانت لهم بصمات حية وبارزة في مسيرة هذا الوطن قديماً وحديثاً، مثال ذلك شخصية الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله، وأنور السادات رئيس جمهورية مصر السابق، وعن شخصيات أدبية بارزة كالأديب العالمي نجيب محفوظ، والذي احتفل منذ أيام بعيد ميلاده الحادي والتسعين، والذي حصل على «نوبل» في الأدب عام ١٩٨٨م.

ثالثاً: كانت المجلة في كل عدد تتحدث عن بعض الموضوعات كدائرة معارف. كانت هذه الموضوعات تفيد القارئ وتضيف إليه بعض المعلومات والمعارف التي تنقصه.. فلماذا لم تزود المجلة بهذه الدوائر من المعارف والمعلومات حتى يمكن أن يستفيد القارئ الذي أصبح في حاجة إليها.. ألم تفكروا في ذلك. نرجو ويرجو معي الكثير من القراء أن تحفل الأعداد القادمة بهذه الدوائر من المعارف حتى تصبح الفيصل المنارة الثقافية السامقة في ارتفاعها، المعتزة بكيانها التي تطاول بموضوعاتها وبمحتوياتها عنان السماء في وسط

عالم يموج بالانفجارات المعرفية، وأصبح هناك ما يسمى بعولمة المعرفة.

نرجو لمجلتنا الغراء دوام الرقي والازدهار.

جعلكم الله عوناً وذخراً وأدام الله عليكم موفور الصحة والسعادة في خدمة الثقافة العربية.. في بلد تسع ثقافته وأدبه كل الأصقاع والبقاع!!

**إبراهيم عبدالوهاب شرف**
**المنصورة - الدقهلية - مصر**

**التحرير:**

**نشكر لكم اهتمامكم بمجلتكم، ونأمل أن تكون دوماً عند حسن ظن قرائها الكرام، ونشيد بحرصكم على إبداء الملاحظات التي لابد أن تفيد. بخصوص الكتابات عن اليهود والصهيونية، فإن هناك مقالات كثيرة نشرت في المجلة، إلى جانب مقالات أخرى عن الوضع العام، وتحرص المجلة على إتاحة المجال لكل الكتاب للإسهام. لذا كان الاتجاه إلى عدم التقيد بالأبواب والزوايا الثابتة.**

**وفي ظل ما يشهده العالم من ثورة معلوماتية هائلة يبدو وجود باب مثل دائرة المعارف ليس بالأهمية التي كانت عليه في السابق، أما الملفات المتخصصة، فلا تزال المجلة حريصة عليها سواء كانت عن موضوعات أو شخصيات، وسوف تطالعون بعضها قريباً إن شاء الله.**

## كيف أحصل على المجلة؟!

يشرفني أن أتقدم إليكم بقصد التفضل بمساعدتي على الحصول على أعداد من مجلتكم الموقرة، والتي انقطعت عني فجأة، وقد أحدثت لدينا فراغاً كبيراً في مجال الثقافة العربية والعلمية التي كانت تطل بنافذتها علينا من بيت المجلة، وكانت زادي الذي لا ينضب خلال المدة التي كانت تصلني فيها، فأغنتني عن كثير من المراجع حيث كنت أعتمد عليها في أبحاثي وكتاباتي وأفادتني بشكل عام في شتى المجالات بموضوعاتها القيمة الفذة. وأدهشني أسلوبها العلمي الرصين ومستوى الإخراج الممتع لينضاف الجمال إلى المنفعة فتجتمع الفائدة والاستمتاع، فضلاً عن أنها أطلعتني عن قرب على عالم الثقافة بصفة عامة.

ومما لا شك فيه أن مثل هذه المجلات تنمي في الفرد قدراته وتذكي فيه الحماسة وحب الاطلاع، وتفتح أمامه آفاقاً واسعة للبحث والتنقيب، فيهتدي إلى خصائص القوة والجمال الكامنة فيه بدقة ولطافة، فكيف لي بتأمين حاجاتي من المجلات ورغبتي الملحة في طلب العلم والمعرفة ولو تحت التراب؟ أملي وطيد بأن أسترجع مجلتي الكريمة بإدراج اسمي ضمن قائمة المشتركين فيها. فهي مرجعي الذي لا يمكن الاستغناء عنه مهما اقتضت الضرورة، وإن أمكن موافاتي ببعض إصداراتكم.

وتفضلوا بقبول فائق تقديري واحترامي.

**موساوي بومدين**
**تلمسان - الجزائر**

**التحرير:**

**نفيدكم أن مشكلات التوزيع في الجزائر وبعض الدول الأخرى في طريقها إلى الحل، وسوف نعلم الإخوة الكرام عن طريق المجلة عن حل هذه المشكلات. وحتى يتم ذلك، نأمل من الإخوة الكرام الحريصين على اقتناء المجلة أن يكون حصولهم عليها عن طريق الاشتراك الذي يتيح وصول المجلة إليهم مع مطلع كل شهر، ولأن هناك طلبات كثيرة، فإنه يستعصي على المجلة منح اشتراكات مجانية.**

### ردود سريعة

**الأخت بشائر الرحمن أحمد محمد - حلب - سورية:**

**نشكر لك وصف المجلة بأنها تطلع قراءها على الأمور مجردة من أي طلاء، ونفيدك أن ضمان وصول المجلة إلى القارئ يكون بالاشتراك السنوي الذي يتيح للقارئ الحصول على العدد فور صدوره على العنوان الذي يحدده.**

**الأخ منصور سليمان عبدالله - تعز - اليمن:**

**مطالبتك بأن يكون هناك سؤال اختياري ضمن أسئلة المسابقة سوف يتم النظر فيها، إلى جانب بحث إمكان أن تكون صفحة المسابقة سهلة النزع من المجلة، وسوف تطالع في الأعداد القادمة مقالات علمية جديدة واستطلاعات مصورة، ونأمل أن تكون أفضل من تلك التي نالت إعجابك.**

**الأخت لواحظ عبدالفتاح علي بهنسي - محافظة البحيرة - مصر:**

**جميل أن تهدي أقاربك أعداداً من المجلة في عيد ميلادك، ونتمنى أن يحالفك الحظ لتفوزي بإحدى جوائز المسابقة.**

**الأخ عمر بوقطاية بن العربي - نواكشوط - موريتانيا:**

**مرحباً بك صديقاً جديداً للمجلة، وقارئاً مهتماً بالموضوعات الجادة، وقد قام صديقك بتسليم رسالتك للمجلة، فله ولك الشكر على الاهتمام.**

**الأخ إسماعيل حامد إبراهيم - البحرين:**

**يسعدنا كثيراً أن يسهم الدكتور حشمت قاسم بمقالاته في المجلة، وفي حالة تلقينا أي مقال سوف ننشر لك عنوانه حسب رغبته إذا سمح بذلك.**

# لِيْنَة: آثار وآبار

تركي بن إبراهيم القهيدان
بريدة ـ السعودية



تظهر في داخل البئر درجات منقورة في الصخر على قدر قدم الرجل لاستخدامها عند النزول والصعود للصيانة

**تعدّ لِيْنَة من أهم المواقع الأثرية في شمال المملكة العربية السعودية، وتتميز بآبارها الضيقة المنقورة في الصخور الجيرية، وهي تقع جنوب محافظة رفحاء، وتبعد عنها ١٠٠كم بخط مستقيم، ووفقًا للتقسيم الإداري الذي صدر مؤخرًا صنّفت لِيْنَة مركزًا مرتبطًا بمحافظة رفحاء، وهي محافظة فئة (أ) تتبع إداريًا لمنطقة الحدود الشمالية.**

## لمحة تاريخية

لِيْنَة معروفة بهذا الاسم منذ الزمن القديم، وربما تعود إلى نبي الله سليمان، كما تعدّ ملتقى للطرق القديمة، فهي المورد بعد الْمَجَازَة في الطريق التجاري المنطلق من حجر اليمامة إلى الكوفة، وهي أيضًا إحدى محطات طريق الحج في فترة ما قبل



قصر لِينَة من أكبر القصور لتوطين البادية ومراقبة المهربين

الإسلام للتنقل والتجارة، ومما يدعم هذا القول أن سليمان عليه السلام مر بها في سفره، وقد أكد ابن منظور ذلك حين قال: لِينة: ماء لبني أسد احْتَفره سليمان بن داود عليهما السلام، وذلك أنه كان في بعض أسفاره فشكا جُنْدُه العَطش فنظر إلى سِبَطْرِ فوجده يضحك فقال: ما أضحكك؟ فقال: أضحكني أن العطش قد أضَرَّ بكم، والماء تحت أقدامكم، فاحتفَر لينةَ؛ حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي، وقد يقال لها اللِّينة.

قال أبو منصور: ولِينَةُ: موضع بالبادية عن يسار المُصْعِد في طريق مكة بحذاء الهبير؛ ذكره زهير فقال:

..................................

**... من ماءِ لِينَةَ لا طرقًا ولا رنقًا**

قال: وبها ركايا عَذْبة حُفرت في حَجَرِ رخْوِ(١). كما أشار الفيروزابادي إلى اللَّيْنَة، بالفتح: كالمِسْوَرة يُتَوَسَّدُ بها، وبالكسر: ماءٌ بطريقِ مكةَ، حَفَرَه سُليمانُ عليه السلام(٢).

وكان الحاج العراقي يمرُّ بلِيْنَةَ في بعض الأزمان، فقد ذكر المؤرخون أنَّ حاج الكوفة سنة ٥٣١هـ رجعوا من لَيْنَةَ لعدم الماء، وقاسوا مشقة عظيمة، ولم يحجّوا(٣).

وفي كتاب المناسك - في وصف طريق سلكته الخيزران لضيق الماء في الشقوق والبطان، سماه طريق لِيْنَة قال: ارتحلتُ من زُبالة، وعدلت إلى منزل بالقريبة، بينه وبين زُبالة، ثم ارتحلت من القريبة فنزلت لِيْنَةَ وبينهما أربعة عشر ميلاً، ثم رحلت من لينة، فسارت ثلاثة عشر ميلاً، ثم خرجت إلى بركة التناهي من الطريق الأعظم(٤).

وذكر الحموي نقلاً عن السَّكوني «أن لِيْنَة: هو المنزل الرابع لقاصد مكة من واسط» حين قال في كتابه «معجم البلدان»: «لينة: موضع في بلاد نجد عن يسار المصعد بحذاء الهُرّ وبها ركايا عادية نقرت تلك من حجر رخو وماؤها عذب زُلال، وقال السَّكوني: لينة: هو المنزل الرابع لقاصد مكة من واسط وهي كثيرة الركيّ والقُلْب، ماؤها طيب، وبها حوض السلطان ومنه إلى الخلّ، وهي لبني غاضرة، ويقال إنها ثلاثمئة عين»(٥).

أقول: يظهر لي أن هناك لبسًا حول ما أورده ياقوت نقلاً عن السَّكوني بأنها (ثلثمئة عين) وصوابه (ثلاثمئة بئر لا عين)..

ولِيْنَة هي المورد بعد المَجَازَة في الطريق التجاري المنطلق من حجر اليمامة إلى الكوفة، وجاء في كتاب «بلاد العرب» للأصفهاني: «فإذا جزت اللوى وهو

مسيرة ستة أيام فيما بين المجازة ولِيْنَة، صرت إلى لِينَة، وهي ماءة لبني غاضرة أسد، وهي ماءة عظيمة من أعظم مياه بني أسد أكثر أفواهاً (وأعظمة نطفة) وأغزره جمّاً، وأوسعه أعطاناً، وعليها قباب مبنيةٌ كثيرة.. ويضيف: «ثم تجوز فتسير غبّاً ـ والغبّ يومان وليلتان ـ حتى ترد زُبَالَة، وذلك كله لبني أسد، إلا أن بين زبالة ولينة مُوَيْهاً في شعبة، وأنت تريد زبالة عن يسارك عليه قباب من حجارة لبني أسد أيضاً(٦).

وتزوجت امرأةُ من بني عبس في بني أسد، ونَقلها زوجُها إلى ماء لهم يقال له لينَة، وهو موصوف بالعذوبة والطيب، وكان زوجها عِنِّيناً ففركَتْه واجتَوَت الماءَ، فاختلعت منه، وتزوجها رجل من أهل بَقعاء فأرضاها، فقالت:

**فمن يُهْدِ لي من ماءِ بَقْعاءَ شربةً**
**فإنَّ له من ماء لِينَةَ أربعا**

**لقد زادني وَجْداً ببقعاء أنّني**
**وجدت مطايانا بلِينَةَ ظُلَّعا**
**فمن مُبْلِغٌ تِرْبَيَّ بالرمل أنّني**
**بكيتُ فلم أترك لعينيَّ مَدْمَعا(٧)**

معاني بعض الكلمات كما يذكرها الشيخ العبودي «ففركته: كرهته ونفرت منه، اجتَوَت الماءَ: لم يلائم صحتها، ظُلَّع: جمع ظالع وهو البعير الذي يغمز بإحدى قوائمه كأنه يعرج(٨).

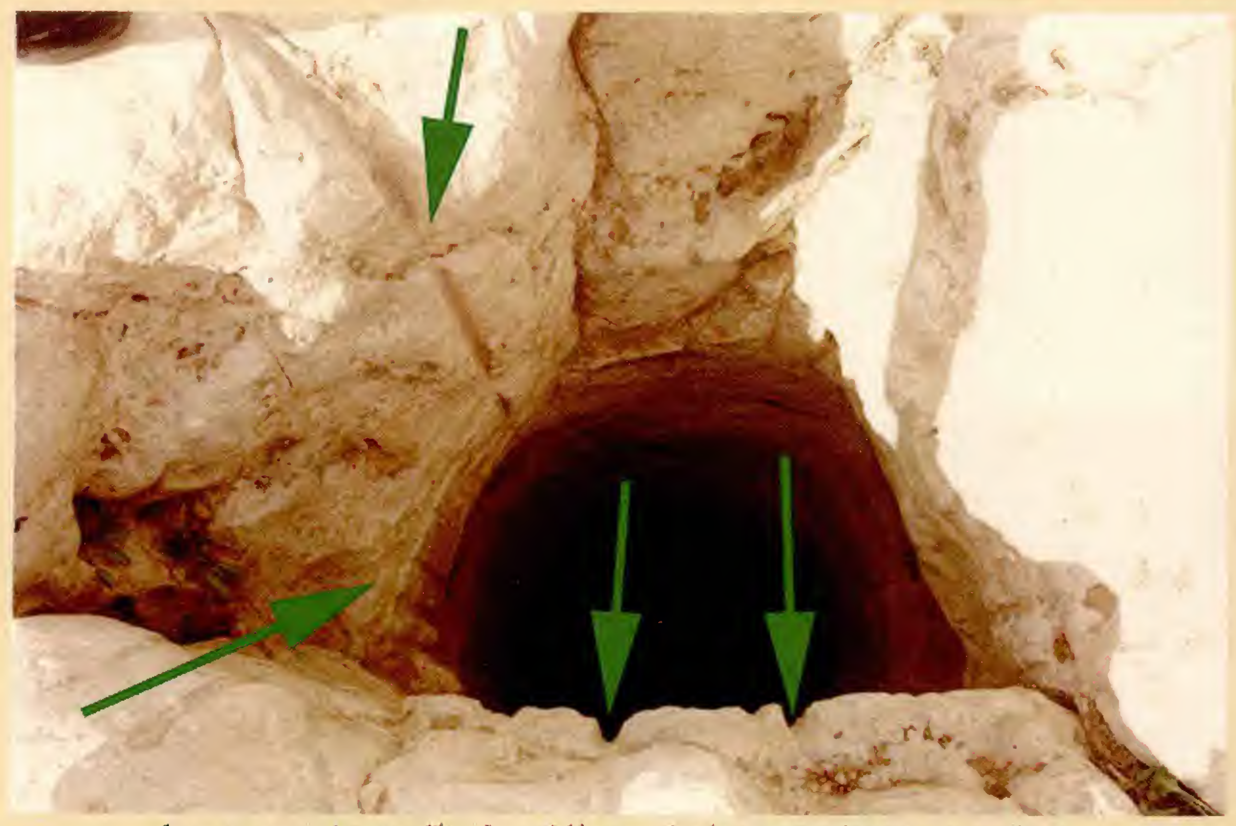
وأنشد الهجري لمزيق بن صالح القُشَيْريَ:

**أيَا أضْلُعَ الماءِ اللَّواتي بلِيْنَةٍ**
**سُقِيْتُنَّ مِنْ صَوْبِ الغَمَامِ اللَّوامِحِ(٩)**

وأورد البكري لِيْنَة في كتابه «معجم ما استعجم» في موقع آخر حين قال: لينَة، بكسر أوّله، وبالنون على لفظ اللِّينة من النَّخْلِ: بئر من أعذب الآبار بطريق مكة، قال زُهَيْر أبي سلمى:



قرية لِينَة القديمة نموذج لتركيب القرية القديمة يزيد عمرها على نصف قرن من الزمن



آثار الأخاديد التي حفرتها الأرشية (حزوز الأرشية) بحواف فوهة إحدى آبار لِيْنَة المنقورة في الصخور الرسوبية

كأنَّ رِيقَتَها بعدَ الكرى اغتُبِقَتْ
مِنْ طَيِّب الرَّاح لمَّا يَعْدُ أن عَتُقَا
شَجَّ السُّقَاةُ على ناجُودِها شَبِمًا
من ماءِ لِينَةَ لا طَرْقًا ولا رَنَقَا(١٠)

ولِينَةُ أخرى أيضًا: موضع عن يمين زُبَالَة، مذكور في مادة (يُسُر). والبئر المذكورة قريب من الرُّسَيْس، قال كَعْب بن زُهَيْر:

وأَمَّ بها ماءَ الرُّسَيْس فَصَوَّبَتْ
لِلِينَةَ وانْقَضَّ النجومُ العَواتِمُ(١١)

وقال الأشهب بن رُمَيلة:

ولله درّي أيَّ نظرة ذي هوى
نظرت ودوني لينةٌ وكثيبُها
إلى ظُعُن قد يَمَّمَتْ نحوَ حائلٍ،
وقد عَزَّ أرواحَ المصيف جنوبها(١٢)

## هل جنّ سليمان حفرت آبارَ لِيْنَة؟

يهمنا في هذا المقام توضيح أهمية لِيْنَة خصوصًا

**ما زعمه الباحثون المتقدمون والمتأخرون أن جن سليمان حفرت آبار لِيْنَة من دون دليل، والاستدلال بأقاويل العامة لا يعتد به**

بعد اهتمام الدولة - يحفظها الله - بأمور السياحة، وليس بسط الحديث عن جن سليمان، فهذا له مقام آخر، وتُحتِّم مكانة هذا الموقع الأثري، وأهمية الحديث عن جنّ سليمان، أن أبين ما حدث من لبس عما ذكرتُه آنفًا، ولهذا فإنني سأفرد لذلك حديثًا خاصًا عنه أتناوله بشيء من التفصيل.

## الوصف العام

تعدّ لِيْنَةُ صخرية مستوية وعرة ذات صخور رسوبية، وتحوي آبارًا منقورة في الصخر يصل عددها قرابة ثلاثمئة بئر، وتتفاوت ما بين كل بئر



وأخرى، وتقدر في المتوسط بنحو مئة متر، وهي - بلا شك عندي - موغلة في القدم.

## المشاهدات الميدانية

قمتُ بعدة زيارات ميدانية إلى منطقة لِيْنَة، بصحبة أحمد بن عبدالله السمحان وأحمد بن سليمان الشقيق، وأحمد بن عبدالعزيز الشيبان، وقد كانت آخر تلك الزيارات في يوم الأحد ٤ شوال/١٤٢٣هـ الموافق ٨ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٢م، وبلغ طول رحلتنا هذه قرابة ٤٠٠٠كم زرنا خلالها عشرات من المواقع الأثرية في شمال الجزيرة العربية في بلادنا الغالية. ويمكن وصف أهم المشاهدات الميدانية بمنطقة لِيْنَة على النحو الآتي:

**قصر لِيْنَة:**

يعد قصر لِيْنَة من أكبر القصور التي شيدت خلال القرن الماضي في منطقة الحدود الشمالية، وهو يقع في وسط بلدة لِيْنَة، وإحداثيات الموقع كالتالي:

| | | |
|---|---|---|
| ٦٥٠ | ٤٥َ | ٢٨ْ |
| ٢٧٦ | ٤٤َ | ٤٣ْ |

وهذا القصر شبيه كل الشبه بالقصور الكبيرة في


قصر لِيْنَة طراز هندسي رائع شيّد خلال القرن الماضي

الجزيرة العربية، التي شيدت بأمر من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لتوطين البادية ومراقبة المهربين، مثال على ذلك قصر قبة الذي بني في سنة ١٣٥١هـ، واستغرق بناؤه عدة سنوات، ومثل تلك القصور تبنى من الطين، وسمك جدرانها قرابة متر واحد، وتحوي مقر لسكن رئيس المركز، ومقر وسكن لمدير البرقية (راعي البرقية)، وكانوا يعتقدون أنها من ضروب السحر، وغرف الضيافة، ومسجد، وسجن، وبئر ماء، وأربعة أبراج للمراقبة في زوايا القصر، وغرفة داخل كل برج، ويصعد المراقب لأعلى البرج عن طريق درج، حتى يصل إلى سقف غرفة المراقب، ومن ثم سلالم من الخشب توجد في زوايا تلك الأبراج من الداخل، وفي أعلى تلك الأبراج توجد فتحات جانبية صغيرة.

**آبار لِيْنَة:**

هي مجموعة من الآبار منقورة في الصخر الرسوبي (حجر جيري)، تقول العامة: إن جن سليمان حفرتها، ولا ألومهم على هذه (السباحين)، فقد ذكر البلدانيون هذه الأقاويل، وهي تقع بالقرب

من بلدة لِيْنَة، وإحداثيات الموقع كالتالي:

٣٧٥ ٤٥َ ٢٨ْ

٤٣٣ ٤٤َ ٤٣ْ

ويبلغ قطر فُوَّهَة البئر الواحدة منها ٥. ١م تقريباً، ويزداد قطرها تدريجياً حتى يصل إلى نحو ٢م قرب قاعها، ويمكن مشاهدة آثار الأخاديد التي حفرتها الأرشية (حزوز الأرشية) بحواف فُوَّهة الآبار في الصخور الرسوبية، وعندما تفحصتُ تلك الآبار تبين لي أن في بعضها درجات منقورة في الصخر على قدر قدم الرجل لاستخدامها عند النزول

إحدى آبار لِيْنَة تقول العامة: إن جن سليمان حفرتها، وأقول: لا ألومهم على هذه (السباحين)، فقد ذكر البلدانيون هذه الأقاويل

## آثار لينة مهملة، وآبارها تشكل خطورة على زائريها

والصعود للصيانة، وبعض هذه الآبار بحالة شبه جيدة ويبلغ عمقها قرابة ٩م، وبعضها الآخر بحالة سيئة بسبب طمر مخلفات بلدة لِيْنَة، أما بعضها الثالث فقد طمرتها الرواسب ولا يشاهد منها إلا فوهة البئر. انظر الصور رقم(٣، ٤، ٥، ٦).

**بلدة لِيْنَة القديمة:**

أكد بعض البلدانيين القدماء أن لِيْنَة استوطنت قبل الإسلام، كذلك كانت بلدة لِيْنَة هي حاضرة المنطقة في الزمن الحديث، وكانت بداية التعليم فيها غير النظامي في عام ١٣٦١هـ تقريباً، أما النظامي فقد بدأ في حدود ١٣٧٣هـ. أما مدينة رفحاء فقد نشأت في عام ١٣٧٠هـ تقريباً - أي بعد إنشاء خط (التابلاين)، وقد ساعد على ازدهارها وجود إحدى محطات الضخ لتقوية جريان البترول بالقرب منها، ومما يؤكد ذلك أنه بعد الانتهاء من خط المشروع (التابلاين) لم تعد رفحاء منطقة جذب للسكان.

وتعد بلدة لِيْنَة القديمة من أفضل النماذج للقرى القديمة في منطقة الحدود الشمالية، وقد لفت نظري فيها جمال السوق وطريقة تصميمه، ولا ينقصه إلاّ الترميم والمحافظة عليه - انظر الصور رقم (٧) - وتعدّ قرية لِيْنَة القديمة نموذجًا لتركيب القرية القديمة يزيد عمرها على نصف قرن من الزمن، وتركيب هذه البلدة شبيه كل الشبه بالقرية الإسلامية - الذي يعتمد على وجود المسجد في الوسط يليه السوق يلي ذلك وجود المباني التي يقطنها سكان القرية. وفي وسط القرية ساحة تعرض فيها بعض المواشي والخضراوات والأشياء التي تجلب إلى المدينة.

### نتائج وتوصيات

- تعد منطقة لينة منطقة سياحية، وقد زرتُها عدة زيارات فشاهدتُ كثرة السيّاح فيها خلال العطلات الرسمية خصوصًا في فصلي الشتاء والربيع، ولفت نظري أن السائح يحتاج إلى وقت طويل للحصول على ما يحتاج إليه من سلع. مثال على ذلك اضطررنا عند تعبئة السيارة بالوقود إلى الانتظار خلف مجموعة من السيارات للحصول على الوقود.

- الآثار في لينة مهملة والمخلفات تُرمى فيها بطريقة عشوائية، وبعض ساكنيها ليس لديهم



فوّهة إحدى آبار لِينَة المنقورة في الحجر الجيري، يبلغ قطرها ١،٥م تقريباً

الحمية والوطنية لحضارة آبائهم.

- الآبار في لينة بحاجة إلى حماية فهي تشكل خطورة على زائري المنطقة، ولعل أبرز مثال على ذلك ترك الآبار الأثرية مكشوفة بحيث تشكل خطورة على المارة والصبية.

- أعتقد أن هذه الآبار ما هي إلا آبار منقورة في الصخر في إحدى المحطات في طريق قديم، شأنها في ذلك شأن عدد من آبار جزيرة العرب، مثال على ذلك آبار محطة رَامَة المنقورة في الصخر الرملي بطريق الحج البصري.

- أوجه دعوة إلى المختصين بالآثار والباحثين لزيارة الموقع.

- المنطقة بحاجة إلى دراسات دقيقة، ويمكن استثمارها في مجال السياحة.

## المراجع


١- ابن منظور، لسان العرب، (لين) المجلد١٣، ص٣٩٤ - ٣٩٥.

٢- الفيروزابادي، القاموس المحيط (لان).

٣- الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص ١١٧١.

٤- الحربي، المناسك، ص ٢٨٦، وانظر الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص ١١٦٩.

٥- ياقوت، معجم البلدان، (لينة) ج٥، ص٢٩.

٦- الشايع، الطريق التجاري من حجر اليمامة إلى الكوفة، ص١٢.

٧- ياقوت، معجم البلدان، (بقعاء).

٨- العبودي، معجم بلاد القصيم، ج٢، ص٦١٣.

٩- الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص١١٧١.

١٠- ديوان زهير ابن أبي سلمى: ص٣٩، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، المجلد١٠، ص١٢٧.

# التربية والصحافة

خيرية إبراهيم السقاف
الرياض - السعودية



**من المحقق أن الصحافة هي القناة الأولى منذ بدء تدوين القول وتبادله بأنواعه وأساليبه المكتوبة بين الناس حتى غدت الوسيلة الوسيطة التي يتحدث الإنسان عنها، بل يسمع، ويرى، ويعرف، ويقول، ويبوح، ويجادل، ويضيف، ويفكر، ويتبادل ما نحو ذلك.**

فهي كانت ميدان المفكرين، والأدباء، والشعراء، الذين يصنعون أحلام القوم، والمربين الذين يتناولون فضائل الأحلام، ومثاليات التطلع سواء للإنسان أو للحياة. وما الحياةُ إن لم تكن بالإنسان؟ بمثل ما كانت منتدى لكل أولئك ممن لديهم شيء للآخر، قبل أن يتطور مفهومُ الإعلام بوسائله، وآلياته، وتقانته، وفنياته، وأساليبه بل منهجياته، ويتحول إلى القاسم المشارك لهذه الحياة في يومهم وليلهم، الممتزج بصغير أمرهم وكبيره.

## الصحافة وتشكيل الوعي

ولم تعد الصحافة وحدها هي هذه المطبوعة المقروءة المرئية على الورق بين الأيدي وفوق رفوف الحوانيت

والمكتبات، يلمسون أوراقها ويشمون أحبارها، بل تطورت لأن تصبح مقروءة على الشاشات الإلكترونية، أو تلك التي تُعدُّ في مكان وتصدر في غيره، وتعاد طباعتها وقتما يشاء المرء، تخطت المواقع والمسامع من العالم الصغير بوسائل تقنية بالغة التطور والسرعة بما يؤهلنا للقول: إن الصحافة واجهة لوعي الإنسان، ممثلة لمدى رسوخه في تجربة الوعي، أو وقوفه على هامشها، وبهذه القدرة لها على التمازج والتداخل والمشاركة في حياة الناس غدت سلطة مشاركةً للسلطات كلها في مجتمعات تؤدي أدوارًا لا تقف عند القول، بل عند التنفيذ من أمور التوجيه والتهديف والتعليم والإعلام والإخبار والإنباء، وهي التي تعمل على تكوين الرأي والموقف والاتجاه. فأي دور أكثر أهمية من هذا حين تكون الحقيقة: هي أن كلَّ إعلامي مربٍّ. بينما ليس كل مربٍّ إعلاميًا؟ فإذا كانت الصحافة هي صانعةٌ مصنوعةٌ للفرد والجماعة، فإنَّ الصحفي هو مربٍّ في مجال مهنته على اختلاف جوانب توجهه واختصاص أدائه فيها، وبذلك تكون الصحافة هي من يعمل فيها.

فماذا يكون دور الصحفي كي تكون هناك علاقة بين الصحافة والتربية؟

إذا كان الصحافي هو الذي يلقن مساحات صحيفته أفكاره، وآراءه، وتوجهاته وتوجيهاته ومقترحاته، فهو إذن الذي يصنع «موقف» المتلقي من كل ذلك، والمتلقي هو الفرد في المجتمع فإن كان في طور التنشئة فهو إذن في طور التلقي،



الصحافة.. القاسم المشترك بين الناس

وإن لم يكن فهو إذن في موقع التأثير، وكلاهما يأخذان عن هذه القناة ما يقرر: تنشئة الصغير، أو تأثر الكبير، والصغير حين يُنشّأ فإن الكبير هو الذي يوجهه. وفي كلتا الحالتين يكون دور «الصحفي» هو الدخول إلى صلب العملية التربوية من جانب المواقف الفكرية التوجُّهية، ومن حيث القناعة، فالسلوك، بما يقدمه من موضوعات، وبما يستخدمه من أسلوب في معالجات الموضوعات التي تستقى أو تصب في واقع الإنسان الذي يتلقّى منه ليكون قادرًا على

العمل في صنع توجهات جديدة عن طريق ما يزرعه من القناعات بها فيتبناها القارئ في سلوكه.

### علاقة تبادلية

إن العلاقة المثلثة التبادلية بين من يعطي، وما يؤخذ، ومن يتلقى، تظل تعتمد على نمطية ما يتلقاه الطرف فيها من الآخر، ضمن هذه التبادلية التي لا تنتهي، ولكنها قد تتعثر إن لم يُحسن أحد الأطراف تقديم رموزه، وترجمة أهدافه، بالشكل الذي يكشف عن مفاهيم هذه العلاقة كي تتوطن في شكل تبنٍ، وليس في شكل تلقٍ، عندما يكون هذا التبادل واضحاً لا غموض فيه يعطل سيره، ولا قصور عنه يعرقل خدمته.

ولأن الصحفي الإعلامي مربٍّ، فإنه سائل ينقب، ومسؤول يؤثر، بالهيئة والكيفية اللتين تحددان دوره، وتقننان آلياته، وتمنحانه أطر مسؤوليته ضمن حدود حرية كي تُصنَع هذه التبادلية بينهما.

ولئن كان الصحفي عضواً في المجتمع العام بعمومية وسيلة الإعلام الصحافة الأكثر انتشاراً وتغلغلاً في نسيجه، فإنها به هي التي تؤثر في الأفراد والجماعات بوصفهم المجتمع. ولا أدل على ذلك إلا ما عرف في العالم من صلة وطيدة بين الصحافة والباحثين التربويين، وبينها وبين المفكرين بمثل ما بينها وبين سواهم من عناصر الساسة والاقتصاديين، إذ جميعهم يأخذون منها، ويغيِّرون وفق نتائجها، ويبحثون معتمدين على أفكارها، ويحسبون عنها حساباً لتوجهات المجتمع كلها، ولقد أكدت ذلك العلاقة التبادلية بين الإعلامي والمؤسسات المجتمعية عامة في المجتمع العالمي خلال الأحداث الراهنة في هذه المرحلة من تاريخ البشرية. فالصحافة هي الناطقة والممثلة لهم بينما ظل لدينا فهم خاطئ عنها، إذ نجد الباحث من التربويين - على سبيل المثال - وسواهم لا يعتمدون في توثيقهم لما يؤخذ عنها. بل يسِمون ذلك بعبارة لصيقة بالأفواه ممارسةً للتشكيك في مصداقيتها مصدراً للمعلومة البحثية والدراسات التطويرية بعبارة «كلام جرايد» وينم هذا عن عدم ثقة بها وبمصداقيتها، بينما هي المصدر الشامل للباحث في قضايا المجتمع بصوت العامة والخاصة الذين هم الشرائح المختلفة - وعلى وجه التحديد - في القضايا الماسة بحياة الإنسان، ولا ألصق به من قضايا التربية والتعليم، وكذلك هي مرجع للرأي فيها، فهي تتضمن أدق منطلقات البحث، وأبجديات المهام التي تنبض بما ينبغي الخوض فيه من قضايا الأفراد والجماعات التي هي كلُّ أمر، وأوله «التربية».

**العلاقة بين المؤسستين، التربية والإعلام، وبين التربويين والصحافة هي علاقة تعلم مستمر هدفها المواطن والوطن، فلا أجمل من رسم السياسات الواضحة، والسعي نحو تنفيذها**

وفي الوقت الذي يعمل فيه المربّون «المعلّمون» في صومعات التربية (المؤسسات التعليمية) لا يلتقي المجتمع هؤلاء إلا في حالات هي: عند التعامل المباشر مع العناصر البشرية الذين هم من يتلقون عنهم، فهم محاضن للفرد حين يأتيهم في تعددية مراحل نموه فيصنعون مع الآباء تنشئة هذا الفرد التي يكون من ثمارها: تكوينه العلمي، وخبراته المتعددة مع مفاهيمه وقيمه، وعاداته، وسلوكه، وتفكيره، بل أيضاً إحساسه وتفاعله.

وبمثل ما قصرت المؤسسات التربوية التعليمية إلى حد كبير في محو أمية العقل، وتنضيج القدرات بحيث تُخرِّج العنصر البشري الذي يحقق الأهداف البراقة فوق الورق كي يواكب متغيرات العالم من حوله عقلاً وخبرة وأداء،



دور الصحفي هو الدخول في صلب العملية التربوية

وابتكارًا وانتماءً واعتمادًا على النفس، فإننا نجد الصحافة قد حدث فيها القصور ذاته بعجزها عن تمثل مسؤولياتها المجتمعية إلى حد بعيد. وظلت هناك بين المؤسستين (التربوية) و(الإعلامية) فجوة.

ولعل في مشروع المشاركة بين التربية والإعلام الذي تضطلع به وزارة التربية والتعليم، والجامعات، ووزارة الثقافة والإعلام في المملكة العربية السعودية، ما يبشر بقرب زوال هذه الفجوة إن تحولت نتائج ما يقدم في هذا الشأن إلى طاولات العمل، وميدان التنفيذ، ومنهجية البرمجة بين المؤسستين في آليات مدروسة مقننة للوصول إلى تحقيق النتائج بينهما، ومتابعة ذلك وتطوير نتائج المتابعة، ولكن متى وكيف؟ هل بالأقوال التي تضمنتها أغلفة مجلدات أوراق العمل التي قدمت وتقدم في هذا الشأن أم بالطموحات التي تجمعُ من يتحلق في مناقشة تفاصيل هذه العلاقة؟

## ماذا يريد المجتمع؟

ولأن الأفراد في المجتمع هم المعنيون بهذا الشأن، فإنَّ ما توصلت إليه نتائج لقاء التربويين بأفراد المجتمع وهم بأولئك فيه الشيء الكثير الذي يتحرّى التنفيذ، ولا يبعد الصحافة عن حلبة الركض في هذا الشأن. فالمجتمع يريد (ماذا يريد المجتمع من التربويين ...، ١٤٢٣هـ)(١):

١ - تعلمًا أمثل، ولا يتم التعلم الأمثل إلا إذا أدرك الصحفي أن حديثه عن المعلم لا ينبغي أن يكون تبجيلاً مخلاً بدور السائل عن مدى تحقق أمر اختيار المعلم الصالح في أروقة المدارس والجامعات ونحوهما، القدير الكفؤ الذي إن لم

يُحْسَنَ اختياره فإنّ تعثراً كبيراً يحدث في واقع مستقبل الفرد إذ لن تتحقق فيه الأهداف المرسومة له.

٢ـ والمجتمع يريد تبادلاً للأفكار مع التربويين، وهذا لا يتاح في واقع الزمن المتاح بينهما لمثل هذا الحوار، والصحافة ضمن وسائل الإعلام الأخرى هي المجال الأرحب الأوسع لبناء جسور هذا

تطورت الصحافة لتصبح مقروءة على الشاشات الإلكترونية

التبادل بما تقدمه من طروحات تتناول الأفكار الكثيرة اللصيقة باحتياج الأفراد والجماعات في المجال التربوي والتعليمي ومجال الحياة العام بمثل الموضوعات الملحة التي ظهر الاحتياج إلى مناقشتها وإقامة حوارات حولها والوصول إلى نتائج عنها من خلال الأحداث الداخلية في المجتمعات العربية، وكذلك في المجتمع العربي الإسلامي بشكل عام؛ وذلك بوصفها الوسيلة القادرة على الاستمرار في توثيق الرأي وتقليبه وتبادله وإيصاله والتأثير في المتعاملين معه. فقد أظهرت هذه الأحداث ضرورة التغيير والتبديل والإضافة والتحوير في كثير من سلوكات الأفراد كي يتم علاجها تربويًا عن طريق توجه جمعي لا يتحقق بجهود الأفراد دون أن يكون للمؤسستين التربوية والإعلامية دور فيهما.

٣ـ والمجتمع يريد حفزاً إلى الانتماء إلى كل القرارات الصائبة وتبنيها ومناقشتها وتعديلها والإضافة إليها، بل تكوينها في كل ما يرتبط بالشأن التربوي والتعليمي الذي يعني كل ما يتعلق بفكر الإنسان ومواقفه مما حوله؛ ذلك لأن القرار هو القاعدة لمنطلق التنفيذ. والقرار الذي يصدر عن المجتمع التربوي يفترض أن يكون نتيجة مبنية على خبرات كثيرة. ولكي يصل إلى الأفراد في كل مكان، ويتم تعزيز القناعة به يحتاج إلى صحافة تتبناه. فالقرار في النهاية هو: خلاصة مراد المجتمع من خلال الاحتكاك بواقع أفراده الذين من أجلهم تبنى القرارات، وهم يناط بهم أمر تنفيذها، في ضوء أهدافها للوصول إلى نتائجها، فكيف إن كانت في شأنهم التربوي الذي هو أساس وضعهم المستقبلي؟

والصحافة هي الوعاء الذي فيه توضع بذور هذا القرار كي تنتشر في تربة المجتمع، ومن ثم تنمو شجيراته مع كل قول مؤيد ورأي مناقش ونافذة فكر يؤثر من خلال هذا الوعاء فيغرف منه المجتمع ثمر ما يزيده رياً وشبعاً.

٤ـ والمجتمع يريد تنمية الإحساس بالمسؤولية المشتركة نحو الأداءات التجديدية أو تلك الجيدة غير القابلة للتغير أو الاستبدال، ونحو الأفكار البناءة دون تقويضها أو التعارض معها في الشأن

التربوي، والاجتماعي، والديني، والثقافي، وكلها شأن وطني.

والصحافة هي الرابط المؤثر في تحقيق هذا الحوار، وتكوين هذا الإحساس بشكل لا يدع منافذ هواء من شأنه أن يعبث بهذا الإحساس، أو يقطع هذا الحوار.

٥- والمجتمع يتطلع لرؤية مستقبلية لتكوين مجتمع «تعلم» يوظف فيه الأفراد جميع مواردهم من مال، وفكر على المستويين الفردي، والجمعي، ويهيّئ هذه الموارد لتنمية بيئة تعليمية تربوية في المدرسة، وفي المجتمع ولا أقدر على تهيئة الدوافع لهذا التطلع كي تغدو أداء منفذاً وعملاً قائماً إلا الصحافة التي تسري آثارها في أي جماعة تكون محاور طرحها وأفكار كتّابها وصور واقعها طاولات غدائهم أو حلقات سمرهم أو محاور مهاتفاتهم وحواراتهم.

٦- والمجتمع يتطلع إلى علاقة بين احتياجاته من مؤسسات التربية والتعليم التي هي بدورها تتطلع إلى المجتمع؛ لأن يتفهم أدوارها وبين وسيلة قادرة على بسط هذه الاحتياجات، والصحافة هي هذه الوسيلة بكل ما تستطيع أن تحققه عن هذا البسط، بل تعمل على تقوية الشعور بقيمة الاحتياج، وتصعد الإحساس به وتحفز الرغبة في تسديده. ولا تتحقق أحلام المجتمع ويتم الوصول إلى طموحاته، ويبلغ مواقع نشأتها ثم نموها إلاّ عندما تهيأ له صحافة قادرة على التزام مبادئ العلاقة المتبادلة.

**«كلام جرايد» عبارة تنم عن عدم الثقة بالصحافة وبمصداقيتها، بينما هي المصدر الشامل للباحث في قضايا المجتمع بصوت العامة والخاصة الذين هم الشرائح المختلفة**



## أكدمة العمل الصحفي

ولو عدنا إلى العلاقة القائمة بين الصحافة والتربية لوجدنا أنها نحت إلى أكدمة العمل الصحفي، ليس فقط من خلال توظيف خريجي أقسام الصحافة فيها، وتوابعها، وإنما باستكتاب الفئة الكبرى من الأكاديميين. والسؤال الذي تفرضه الحقيقة هو هل في وجود هذه الفئة كتّاباً ومحللين ومعلقين ومصرحين وناقدين وذوي رأي في القضايا المختلفة ما حقق لهذه العلاقة بين التربية والمجتمع والصحافة، ما تتطلع إليه هذه التوجهات الفكرية الحوارية، والبحثية القائمة بين المؤسستين؛ انطلاقاً من علاقة الأكاديمي التربوي، والتربية الأكاديمية، وكليهما بالصحافة، أم بقي دور الأكاديمي إما باتراً لنظرية، وإما مقتضباً لرأي، وإما متسيداً بلقب مذللاً كل ما يأتي عنه بما يحمله من مهابة الموقع الاجتماعي؟

إنَّ ترف الشكل الخارجي لهذه العلاقة، ومهابتها معًا يفترضان أن يتغيرا تغيراً عملياً يتحكم في إجرائية هذه العلاقة. بحيث يتحقق عن وجود هذه الفئة فتحُ أبواب المنطلق نحو أهداف هذا التوجه. إذ إن كل أكاديمي عنده ما يفيد في مجال التربية أو سواها ليتم:

أولاً: الاستفادة من طبيعة الصحافة من أجل طبيعة التربية. ولا يتحقق ذلك من خلال ما حدث من تأكدم الصحافة الذي حاصر دافعية

الموهبة. وتفرُّد القدرة تلك التي لها شأن يماثل شأن الأكاديمية عند وضعها في محك التجربة بمثل ما تحقق الصحافة في كل مكان نجاح عناصرها في تحرر من مظلة الأكاديمية، كما كان نجاح الصحافة قبل الأكدمة، أما بعدها فإن النجاح بينهما يتحقق عند المزج الواعي بين الفطرة في التوجه الصحفي عند الصحفي والرغبة فيه عند الأكاديمي، بحيث لا يتوقف أمرهما عند أحدهما الأكاديمي وغير المتجه للصحافة أو عند أحدهما فلا تواكب مستحدثات المنهجية العلمية بالاستفادة من خبرات الأكاديمي صاحب التوجه، ولا تضفي رهجة الدافعية بحماس التوجه الذاتي للاستفادة من المواهب الخاصة في مجالها.

ولعلَّ هذا الأمر يكون من الشؤون التي يُعنى بها هذا التوجه فيما يتم من بحث في الشأن التربوي الإعلامي من قبل أكاديميين/إعلاميين لهم الاهتمام بالشأنين التربوي، والإعلامي.

**ثانيًا**: النظر إلى طبيعة الصحافة واستغلال هذه الطبيعة من أجل خدمة التربية بوصف الصحافة «المربي المشارك» كما أرى؛ وذلك في تأطير مخرجات الصحافة من نقل المعلومة الصحيحة، والعناية بصدق التوجه بربط جميع موضوعاتها وأخبارها ونقدها وتحليلها بالعقيدة السليمة الخالية من مؤثرات المتغيرات حول الإنسان، بل الحذر مما تتلقاه الصحافة من سواها من وسائل الاتصال، ويتعارض مع التوجيه لبناءالذات السليمة عقلاً وفكرًا ووجدانًا، وفي ذلك مهمة تربوية تشاطر فيها الصحافة قاعات الدرس وبيئة التربية مع التعلم. ويتحقق ذلك عن الاستفادة من مقدرات الأكاديمي التربوي ذي العلاقة بالصحافة في مجالات أساليب تقديم المعلومة والتوجه المضاميني لما تنشره.

**ثالثًا**: عدم إغفال حقيقة أن الصحافة غدت في المرحلة الراهنة مؤسسة تربوية يمكن أن تصل بالأهداف العليا من طموحات التربية إلى ما يحققها. ولا يتحقق ذلك إلا بتبادل الاحترام بين التربوي والصحفي بما يحفظ للطرفين كرامة الدور، وأهمية المسؤولية.

رابعًا: الاستفادة من طبيعة الصحافة في الهيمنة على الاهتمام بوسائل جذبها وإغرائها وتشويقها كي يتم التواصل في خدمة تطلعات تبني المواهب وصقل الدُّربة



الصحافة هي الرابط المؤثر في تحقيق الحوار البنّاء

لدى فئات الشباب، ويتحقق ذلك عن طريق إقامة حوار، وتبادل ثقة بين التربوي والإعلامي، فتوضع برامج مشتركة موجهة للتربية والتعليم والتثقيف على وجه التحديد للأفراد في مختلف مراحل تنشئتهم وتعلمهم من جهة. وفي العناية من قبل الصحافة بالبرامج المقدمة للتربويين ولمريديهم من الدارسين بتوعية البرامج التربوية الموجهة لهم لإخبارهم وإعلامهم وتعريفهم وتكوين رأيهم، بل توجههم إلى ما يدورفي العالم من حولهم كي يتحقق الوعي الشامل، وينهض المجتمع بوعي الأفراد.

**خامساً**: التوجه الجاد نحو ترسيخ ثوابت الأمة في علاقة حميمة مدروسة مقننة بين الصحافة والتربية كي لا يتم تناقض بين الأهداف وإجرائها على صعيدي الإعلام والمؤسسات التربوية فيما يوجهان نحوه أو يدعوان إليه أو يكونانه أو يحفزان إليه ويتعلق بعقيدة هذه الأمة ومعاييرها ونهجها الأساس.

**سادساً**: العمل على إنشاء مراكز بحث وتدريب في المؤسسات التربوية لتدريب موظفي العلاقات العامة فيها بالاشتراك مع المؤسسات الإعلامية على كيفية التعامل وآلياته بين المؤسستين بحيث يخدم دور موظفي العلاقات العامة أهداف التأثر والتأثير في الأخذ والعطاء بين المؤسستين، ويعكس ذلك ما يحقق أهداف التوعية والتطوير في المجتمع.

**الصحافة واجهة لوعي الإنسان، ممثلة لمدى رسوخه في تجربة الوعي، أو وقوفه على هامشها، وبهذه القدرة لها على التمازج والتداخل والمشاركة في حياة الناس، غدت سلطة مشاركة للسلطات كلها، وهي التي تعمل على تكوين الرأي والموقف والاتجاه**

**سابعًا**: العمل على تكوين بنك معلومات إعلامي تربوي يرصد كل ما له علاقة بين المؤسستين للاستفادة منه ورفدهما في الموقف المناسب بما يحتاجان من المعلومات.

إن العلاقة بين المؤسستين، التربية والإعلام، وبين التربويين والصحافة هي علاقة تعلم مستمر هدفها المواطن والوطن، فلا أجمل من رسم السياسات الواضحة، والسعي نحو تنفيذها في برامج تقريبية لخطوات اللقاء بينهما ليتحقق الرسوخ لقيم هذا المجتمع من خلال ما يتلقاه ويتفاعل معه الفرد والجماعة من عطاء يضطلع به المربون والإعلاميون في صحافة ومؤسسات تربوية تتضافران ولا تتعارضان، هدفهما زيادة المعرفة والكشف عن المتغيرات وتوعية القدرات والاتجاهات، والعناية بطموح التطور هاجس الفئتين من شراكة يتحقق عنها شعار: شركاء في التربية الذي أطلقته وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية وأقامت من أجله اللقاءات العلمية التي أسفرت عن الكثير من المقترحات وأوراق العمل التي تنتظر تنفيذ نتائجها.

المراجع

١- وزارة المعارف، أوراق العمل المقدمة لندوة ماذا يريد المجتمع من التربويين، ماذا يريد التربويون من المجتمع.- الرياض١٤٢٣هـ.
٢- الإدارة العامة للعلاقات والإعلام التربوي، ملف صحفي خاص بندوة ماذا يريد المجتمع من التربويين، وماذا يريد التربويون من المجتمع.- الرياض.. الإعلام التربوي - وزارة المعارف، ع١، ١٤٢٣هـ.
٣- الإدارة العامة للعلاقات والإعلام التربوي، ملف صحفي خاص بندوة ماذا يريد المجتمع من التربويين، وماذا يريد التربويون من المجتمع.- الرياض.. الإعلام التربوي - وزارة المعارف، ١٤٢٣هـ.

# الشهود الحضاري ودور المرأة في التنمية

**سعاد رحائم**
الجديدة - المغرب



**الحمد لله الذي جعل الناس أمة واحدة، وجعل أمة الخير أمة وسطًا، والحمد لله الذي خلق الناس من نفس واحد وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء: قال تعالى:** *يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً.* **النساء: ١**



دور رئيس للمرأة في اقتصاد المجتمع

لقد شغل موضوع المرأة خلال مراحل التاريخ فكر المهتمين، فقهاء وأدباء ومفكرين، وفلاسفة وعلماء نفس، وكثرت الكتابات في الموضوع؛ وذلك لأن المرأة تمثل نصف الأمة، من حيث العدد ومن حيث المهام التي تقوم بها في المجتمع على جميع المستويات، أو قل من جهة مساهمتها في البناء الحضاري للأمم.

## ثلاثة فرقاء

وانقسم المهتمون بالموضوع إلى ثلاثة فرقاء:

**الأول:** أبرز حقوق المرأة ومكانتها من خلال فهم مقاصدي للخطاب الشرعي، الذي سطر حقيقة كينونتها، وأبرز معالم كرامتها، وهذا الفريق سار على النهج الصحيح، إذ فهم أن موضوع البحث في كرامة المرأة وحقوقها قد انتهى بنهاية الوحي لما صان لها خالقها كرامتها في نصوص القرآن الكريم الذي بقي محفوظاً خلال خمسة عشر قرناً من الزمان، وسيبقى محفوظاً وذكرى للذاكرين. ومن ثمة فكل محاولة لإبراز حقوق المرأة بعيدة عن الفهم الصحيح للكتاب والسنة تبقى حبراً على ورق لا تثير اهتمام النخبة من الأمة والواعين بسنة الاستخلاف.

وبحق يبقى سَعْيُ من فهم الخطاب الإلهي في موضوع المرأة من خلال رؤية إسلامية تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله مساهمة جليلة عبر كتابات جادة عن المرأة خلال قرون طويلة، نشيد أيضاً ببعض الدراسات الحديثة التي أكدت حقوق المرأة ودورها الفعال في الشهود الحضاري، والتي نهجت نهج المفكرين المسلمين نفسه.

**أما الفريق الثاني** فيتمثل في بعض الكتابات التي لم تفرق بين المرأة الغربية والمرأة المسلمة وجعلتهما سواء، فقد انتهج هؤلاء المفكرون نهج الفكر الليبرالي المتحرر، وحاول أصحابه بدعوى المساواة في الحقوق الإنسانية إخراج المرأة من دائرة العفة والطهارة والصون إلى دائرة التفسخ والانحلال الخلقي. ومن سلبيات هذا الفكر خلق هوة وصراع قويين بين مكونات المجتمع رجلاً وامرأة، وأصبحت المرأة ترى من شقيقها الرجل عدواً لها سلب منها حقوقها ومكانتها، وهذا ناتج من عدم الوعي والبعد عن ينابيع

الفضيلة والصفاء والالتزام والاتزان.

**وهناك فريق ثالث** متشدد ضيق الفهم للخطاب الإلهي، وبعيداً عن إدراك سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي جعل من الرجال والنساء سواء في نصرة الحق واتباع الأوامر واجتناب النواهي وفي الرفع من شأن الأمة وتنميتها.

فجاءت كتابات هؤلاء متشددة، وانحصرت في موضوعات ضيقة، كالحديث عن موضوع الطلاق والزواج والحيض والنفاس، وإن ذكرت المرأة فينبغي أن تذكر في هذا الإطار الضيق وماعدا ذلك هو من خصوصية الرجال أهل القوامة والولاية ـ على حد فهمهم وزعمهم.

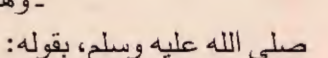
وصفوة القول: أن المرأة ينبغي أن تفخر بكتاب ربها الذي قرر حقيقة أساسية هي المساواة التي تقتضيها وحدة الأصل البشري، وعدّ التقوى معيار التمايز وليس الجنس أو اللون أو العرق، كما جعل الأنوثة جزءاً من الذكورة، وجعل استمرار الحياة وامتدادها منوطاً بهما معاً.

وينبغي أن تفخر أيضاً بنبيها محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جعل من المرأة في بيت النبوة محل الاستشارة والرأي والحكمة والبصيرة والعطاء والفداء.

إن الغاية من بسط هذه الأفكار هو إزالة بعض الشبهات حول موضوع المرأة الذي أصبح قضية عند بعض المفكرين، وذلك من خلال العناصر الآتية التي أجملتها في هذا السؤال:

ما أوجه المقاربات بين المرأة والرجل، وهل استطاعت المرأة فعلاً أن تحقق تنمية منشودة؟





للمرأة وجود في كل المحافل

## الموازنة بين الرجل والمرأة في القدرات والكفاءات

إن الحديث عن موضوع الموازنة بين الرجل والمرأة هو البحث عن أوجه التشابه والتطابق والتناظر في مجموعة الملكات والمكونات الأساسية: الفطرية والعقلية والبيولوجية والنفسية لكل من الرجل والمرأة. والجواب الحاسم عن هذه المكونات تجيب عنه نصوص الشريعة الإسلامية والعلم اليقيني والحصيلة التاريخية.

ذلك أن التوجيه الرباني في هذه القضايا واضح وجليّ لكل ذي عقيدة، ولكل ذي لب وبصيرة، بعيداً عن كل تعصب مذهبي أو حزبي أو أي طرح بشري مهما كان منطلقه وأساسه، ومهما اختلفت مقاصده وتوجهاته.

إن الخلق السوي لكل من الذكر والأنثى أصله فطرة سوية لا اختلاف فيها بين جنس وآخر:

ـ *فطرة الله التي فطر الناس عليها* .الروم: ٣٠

فطرة ربانية فطر الناس عليها في مجموعة من الخصائص والمكونات، فطرهم على سلامة الجبلة وسلامة العقل والقلب والذوق وأيضاً صفاء التصور والمعتقد.

ـ وهو ما أكده الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، بقوله:

ـ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه».

إذن تبقى المؤثرات الخارجية هي التي تتحكم في إفراز القبح أو الحسن بالنسبة إلى الإنسان ذكراً أو أنثى.

أما المكون العقلي، فالقدرات العقلية التي تتمتع بها




إسهام وافر للمرأة في الحركة العلمية لمجتمعها

المرأة لا تقل أهمية عن تلك التي يتمتع بها الرجل، لذلك نجد شمولية الخطاب الإلهي لكل من الذكر والأنثى ودعوة صريحة لكل منها إلى:

ـ العلم: *اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم* .**العلق: ١ـ٥** .

ـ*قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون* .**الزمر: ١٠**.

ـ التذكر: *إنما يتذكر أولوا الألباب* .**يونس: ٢٤**.

ـ التفكر: *إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون* .**الرعد:٣** .

ـ التبصر: *أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا تبصرون* .**السجدة: ٢٧**.

ـ التعقل: *فتكون لهم قلوب يعقلون بها* .**الحج: ٤٦**.

ـ التفقه: *وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون* .**الأنعام:٩٩**.

ـ التدبر: *كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا* . **سورة ص:٢٩**.

ـ الاعتبار: *فاعتبروا يا أولي الأبصار* .**الحشر:٢**.

هذه نصوص صريحة ترشد إلى المساواة في القدرات العقلية بين الرجل والمرأة لا تدع مجالاً للشك، ومن ذلك المنطلق عملت المرأة المسلمة في المجتمع الأول، وشاركت في جل أنشطته العلمية والعملية، وإذا قمنا بدراسة استقرائية لتاريخ المرأة منذ العهود القديمة فإننا نجد المجال واسعًا لتأكيد هذه القدرات والكفاءات، هذا مع حصول ركود في فترات معينة من تاريخها وانبعاث أخرى وتقدمها. فقد ولجت مجالات متعددة، وأبرزت مهارات عقلية

باهرة في مجال الطب والهندسة والرياضيات، وتحملت رواية الحديث النبوي الشريف، وساهمت في أمور بطولية وجهادية ولها مشاركات سياسية جادة ...

ويرى عزالدين الفارسي أحد الكتاب العرب المسلمين: أن تشابه القدرات العقلية بين الرجل والمرأة يجعلهما يشتركان في الكثير من الأعمال؛ لأنه إذا كانت هناك فروق جوهرية في التكوين البيولوجي والجسماني بين الرجل والمرأة فإنه لم يثبت أن عقلية المرأة تقل عن عقلية الرجل : «من هنا تجيء المساواة الحقيقية بينهما في ضرورة التعليم والتأهيل والإعداد» (١).

بالطبع هنا مفارقات وخصائص تميز كل منهما من الآخر مما يطبع تكليف المرأة في بعض المجالات بنوع الخصوصية والتخصص لقوله تعالى: *إنا كل شيء خلقناه بقدر* . **القمر: ٤٩.**

وانطلاقًا من هذه الخصوصية في الطبيعة والتكوين البيولوجي والنفسي للمرأة يرى بعض المفكرين ضرورة توزيع المهام بين الرجل والمرأة بما يتناسب وطبيعة كل منهما، يقول الفارسي: «يجب أن نلاحظ أن ما يعد له الطالب غير ما تعد له الطالبة، فلكل نوع من التعليم يتفقان في الأساسيات والعلوم الشرعية ويختلفان في التخصصات، فتعلم فنون الاقتصاد المنزلي، وعلوم الإدارة المالية والتربية، وعلم النفس والتمريض والطب والآداب بمختلف فروعها ... من شأنها أن تعد المرأة لتولى أعمال تتناسب مع طبيعتها» (٢).

إن من مقتضيات إصلاح المجتمع العربي الإسلامي تصحيح مجموعة من المغالطات؛ وذلك بتعديل نظرة المجتمع إليها؛ لأنه، بعدم إعادة النظر في هذه القضايا ومحاولة تصحيحها، يؤدي إلى تعطيل طاقة مهمة تساهم بشكل أساسي في البناء والتقدم. يقول مالك بن نبي: «فالمرأة والرجل يكونان الفرد في المجتمع، فهي شق الفرد كما أن الرجل شقه الآخر ... فالمرأة والرجل قطبا الإنسانية، ولا معنى لأحدهما بغير الآخر. فلئن كان الرجل قد أتى في مجال الفن والعلم بالمعجزات إن المرأة قد كونت نوابغ الرجال» (٣).

ويزيد قائلاً: «فالمرأة كإنسان تشترك في كل إنتاج إنساني أو هكذا يجب». (٤).



الطب من أكثر الميادين التي برزت فيها المرأة

إن القصد من طرح هذه الموازنة هو الإشارة إلى مجموع المقاربات بين الرجل والمرأة، وليس القصد هو المساواة بينهما في الخصائص والمميزات، علماً أن الله تعالى خص كلاً منهما بخصائص تؤهله لوظيفة اجتماعية محددة، والمساواة بمفهوم الإسلام هي حرية المعتقد والتملك واختيار الزوج وحق تحصيل العلم والحق في الإرث وأيضًا المساهمة في تنمية المجتمع في جميع النواحي، اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وحضارياً كل حسب مؤهلاته وقدراته.

وفي هذا السياق يقول محمد الغزالي متحدثًا عن المرأة في الشريعة الإسلامية: «إن المرأة في الشريعة الإسلامية ذات شخصية قانونية كاملة تماثل شخصية الرجل وتساويها، فهي موضع التكليف الديني بوصفها إنسانًا قائمًا بذاته، وهي تدخل الدين مستقلة أصيلة من نفسها لا تتبع الرجل في ذلك ولا يتبعها. وهي تخضع بذاتها للفروض العينية مسؤولة في شخصها عما تقوم به أو لا تقوم به من فروض



المرأة وإبداع في كل المجالات

العبادة المأمور بها مسؤولة في شخصها عما تعصيه من أوامر الدين ونواهيه»(٥).

انطلاقًا من هذا التصور نخلص إلى القول بأن المرأة هي شخص كامل الأهلية وليس قاصراً ينبغي إرشاده والولاية عليه في كل أشكال ضروب الحياة، وكيف يحصل هذا وخالق البشر قد منحها كل الصلاحيات والحقوق في التكليف والتطبيق وجعلها شقيقة الرجل في الأحكام، وكيف لا تكون شقيقته في نماء المجتمع وتقديمه علميًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا؟!.

## مفهوم التنمية

**المفهوم اللغوي:**

النماء معناه الزيادة وهو من نمى ينمو نمواً، وأنميت الشيء ونمّيته: جعلته ناميًا، ونمى الحديث ارتفع. وقال الجوهري: وتقول نميت الحديث إلى غيري نميًا إذا أسندته ورفعته. والنماء الريع ونمى الإنسان: سمن، والنامية من الإبل السمينة. والنامي الناجي: قال التغلبي:

**وقافية كأن السم فيها**
**وليس سليمها أبدا بنامي (٦)**

**المفهوم الاصطلاحي:**

إن مفهوم التنمية في الاصطلاح تقصد به عادة الزيادة في النمو الاقتصادي لبلد ما والتقدم التكنولوجي والعلمي، ويراد به أيضًا التحضر والتطور في مجالات الحياة على أشكالها وأنماطها كافة. ويرتبط مفهوم التنمية بمفهوم الحضارة التي هي سلوك ونظام، وقيم ومعان، وأسس ومبادئ، ومنظومات، وطبيعة حياة يزخر بها مجتمع ما يسيطر على مجريات الأحداث فيه، يدعمها ويحافظ على بقائها عمل متصل وفعالية عالية مرتفعة، يسهم فيه كل إنسان رجل وامرأة قادر مؤهل بقدر طاقته وتأهيله، وتبقى الحضارة والرقي ما بقي العمل

المتصل، والعطاء المتجدد، والفعالية المرتفعة، فيتطور الفكر ويتفاعل، وتبرز المخترعات وتتطور الاكتشافات لتنتج أدوات تلك الحضارة ومنجزاتها. وهي عند ابن خلدون صناعة القوة وقوة الصناعة(٧).

أما مفهوم التنمية في الفكر الغربي: فهي تنشيط الاقتصاد الوطني، وتحويله من حالة الركود والثبات إلى حالة الحركة والديناميكية عن طريق زيادة مقدرة الاقتصاد الوطني لتحقيق زيادة سنوية ملموسة في إجمال الناتج الوطني مع تغيير في هياكل الإنتاج ووسائله(٨).

أما تعريفها في الفكر الإسلامي فهي ليست عملية إنتاج فحسب، وإنما هي عملية كفاية في الإنتاج، مصحوبة بعدالة في التوزيع، وأنها ليست عملية اقتصادية بحتة، وإنما هي عملية إنسانية تهدف إلى تنمية الإنسان وتقدمه في المجالين المادي والروحي وهو ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «حسن الخلق نماء وسوء الخلق شؤم»(٩).

هذا في الجانب الروحي أما في الجانب المادي فهو المشار إليه في قوله تعالى: كي لا يكون *دولة بين الأغنياء* منكم. **الحشر**: ٧. أي تحقيق العدالة الاجتماعية وتقليل الفوارق الاقتصادية، وهذا يؤدي إلى ترقية الفرد في جسمه وخلقه وبيئته.

وقيم التنمية من المنظور الإسلامي: هي الحفاظ على كرامة الإنسان ذكراً وأنثى مع تحقيق العدل الشامل لإنسانيته كمستخلف في الأرض مع استحضار البعد العقدي في الإيمان بالله ووحدانيته.

ولأن اجتناب المعاصي النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية يؤدي بالأمة إلى الانهيار وتوقف نموها، وهذا واضح في الخطاب الإلهي المتمثل في قوله تعالى: *ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض* . **الأعراف**:٦٨. وقوله تعالى أيضاً: *فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا* . **نوح**: ١٠ـ ١١. وفي وقوله تعالى أيضًا: *وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون* . **النحل**: ١٢٢.

## دورة المرأة في تنمية المجتمع

إن الإنسان رجلاً كان أو امرأة هو محور التنمية ومخططها بناء على قاعدتي التوحيد والاستخلاف، ولا شك أن المرأة بوصفها مستخلفة مثل الرجل لها دور مهم في التنمية الشاملة، وهذا الدور ثابت لها بكونها نصف المجتمع قال تعالى: *من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحييه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما* كانوا يعملون .**النحل**:٩٧.

**للمرأة البالغة أهلية كاملة في الولاية الذاتية على نفسها، إذ لا يملك وليها إجبارها على الزواج ممن لا تريد، كما أن لها ولاية على أموالها وغير ذلك من الولايات الأخرى**

إن الحديث عن دور المرأة في تنمية المجتمع في شتى المجالات هو نتيجة طبيعية لأن عمارة الأرض بما فيه خيرها ونماؤها لا يمكن أن يتم إلا بوجود عناصر متزاوجة في هذا الكون قال تعالى: *ومن كل شي خلقنا زوجين*. **الذاريات**: ٤٩. والحديث في هذا الموضوع هو من قبيل التذكير بدورها المنوط بها حتى لا تنسى المرأة دورها الحقيقي في رقي المجتمعات لسبب من الأسباب، أو لضغط من الضغوط الذاتية النفسية أو الخارجية بجميع أشكالها.

ولا تنتظر المرأة أن تعطى لها الفرصة، بل ينبغي أن تسارع في الاستباق إلى أخذها؛ لأنها حق إلهي منحها الله إياه، وكل حق إلهي غير منتزع، إذ ساوى الإسلام بينها وبين الرجل في جميع المجالات الحسية والمعنوية، والدينية والدنيوية.

ومن هنا يمكن القول: إن للمرأة دوراً فعالاً



مشاركة فاعلة للمرأة في تنمية مجتمعهامنذ القدم

وأساسياً في تنمية مجتمعها على جميع الأصعدة والمجالات.

## في المجال العلمي والثقافي

حققت المرأة شهوداً حضارياً واسعاً وناجحاً زمن البعثة النبوية وقبله وبعده وبين كل مرحلة من هذه المراحل التاريخية عرفت ركوداً وفتوراً.

ويتمثل العهد النبوي أوج التقدم العلمي الذي عرفته المرأة (١٠) آنذاك حافظة وراوية للحديث وشاعرة ومناظرة وطبيبة فعائشة أم المؤمنين زوج الرسول صلى الله عليه وسلم قد شهد لها كثير من الرواة بسعة حفظها ومبلغ علمها ونبوغ حلمها، لقد روت فوق ألف حديث أخرجها أصحاب الكتب الستة. وأمثال عائشة كثيرات، كأم سلمة رضي الله عنها، وأسماء بنت يزيد بن السكن، وأم المؤمنين ميمونة، وأم حبيبة، وحفصة، وأسماء بنت عميس، وأسماء بنت أبي بكر، وأم هانئ بنت أبي طالب.

وشمل هذا التقدم العلمي، مرحلة الصحابيات والتابعيات وتابعات التابعيات، وممن برز في هذه الطبقة هجينة الوصابية الحميرية زوج أبي الدرداء، وقد كانت من أهل دمشق وقرأت على أبي الدرداء القرآن، وكانت تجلس معه في مجالس العلم وهي صغيرة، واشتهرت بالفضل والعلم والزهد، وعلمها مجموع في كتب العلم(١١).

وممن اشتهر بالشعر والأدب عامة سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكانت سكينة امرأة عفيفة مسلمة تجالس الأجلاء من قريش، ويجتمع إليها كبار الشعراء قصد الاستماع إلى شعرها والاحتكام إليها فيما تنازعوا فيه، وفي ذلك يحكي أبو الفرج الأصبهاني قائلاً: «اجتمع بالمدينة راوية جرير، وراوية كُثَيِّر، وراوية جميل، وراوية نُصَيْب، وراوية الأحوص، فافتخر كل رجل منهم بصاحبه، وقال: صاحبي أشعر، فحكموا سكينة بنت الحسين بن علي لما يعرفون من عقلها وبصرها بالشعر»(١٢).

وممن كانت متقدمة في الشعر أيضًا الخنساء بنت عمرو ابن الحارث (١٣)، ولا ننسى ما حققته المرأة أيضًا من تقدم علمي في الغرب الإسلامي وأيضًا في المشرق، وازدهرت إنتاجاتها الفكرية بين القرن السادس والثامن الهجريين.

وهاهي ذي اليوم حققت شهودًا حضاريًا لا مثيل له في مجالات علمية متعددة، فولجت الجامعات بجميع تخصصاتها في الأدب والطب والعلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والعلوم التقنية والهندسة، ومجال العلوم البحتة والعلوم التجريبية، ونبغت في كثير من الفنون، كالمسرح والرسم والرواية والقصة والأدب عمومًا. وبرزت في ميدان الصحافة والإعلام، وواكبت التقدم العلمي في مجال المعلومات والإنترنت، وأسهمت بحظ وافر في كل ذلك، وما زالت الجهود مبذولة ومتواصلة.

## في المجال الاجتماعي

شكلت المرأة أيضًا عنصرًا أساسيًا في شبكة من العلاقات الاجتماعية بدءًا من الأسرة ومرورًا بالجماعة وانتهاء بالأمة. فالأسرة تمثل اللبنة الأساسية في الحياة الاجتماعية، وهي الركيزة الأولى لأي تغيير منشود لذا وضع الإسلام أساسًا متينًا لتكوين الأسرة المتماسكة القادرة على مهمة التنمية والتغيير، ووضع لذلك قانونًا أخلاقيًا سليمًا للتعامل الأسري. فشكلت المرأة في هذا المجتمع الصغير عنصرًا ومكونًا أساسيًا فيه لمباشرتها مجموعة من المهام أكثر من الرجال بدءًا من القرار المكين الذي يحضن جنينها، ولا يمكننا أن نقول انتهاء؛ لأن دورها لا نهاية له حتى ولو صار أبناؤها شيوخًا على كراسي التقاعد من مناصب القرار العليا.

**قيم التنمية من المنظور الإسلامي: هي الحفاظ على كرامة الإنسان ذكرًا وأنثى مع تحقيق العدل الشامل لإنسانيته بوصفه مستخلفًا في الأرض مع استحضار البعد العقدي في الإيمان بالله ووحدانيته**

ومن هنا تتضح صعوبة هذا التكليف وهذه المهمة داخل الأسرة مهد التربية والتكوين والإعداد. والأسرة بفعل دور المرأة تشكل حلقة التواصل بين البيت مجمع العائلة وخارج البيت بجميع أشكاله وهياكله وشرائحه.

أما مهامها خارج البيت في المجال الاجتماعي فواسعة أيضًا بفعل احتكاكها بأفراد المجتمع في مجالات متعددة في الجامعة وهي طالبة، في الإدارة وهي موظفة، في المدرسة وهي أستاذة، في المستشفيات وهي طبيبة أو ممرضة، في المحاكم وهي قاضية أو محامية ...

ومن أهم المجالات الاجتماعية التي حققت فيها المرأة تنمية رائدة دورها الفعال في المؤسسات الجمعوية النسوية التي شملت ميادين متعددة في



تساهم المرأة في رفع المستوى المعيشي لأسرتها وبلدها

مجال الرفع من شأن المجتمع طفلاً أو رجلاً أو امرأة شباباً كانوا أو شيوخاً، فمن خلال هذه الجمعيات تمكنت المرأة من المساهمة في حل مشكلات البلاد والعباد بما أتيح لها من إمكانيات وفرص نافعة، ووفق سلوك تربوي رفيع.

## في المجال الاقتصادي

فلا شك أن المرأة وعت دورها الفعال في تنمية المجتمع، فقد حكمت منظومة النظام الاقتصادي في الإسلام الذي يراعي مصلحة مجموعة الأمة فأقر الملكية الفردية بوصفها غريزة تدفع إلى العمل والاستثمار الذي يساهم في عملية التنمية للفرد والأمة.

فالإسلام منح المرأة أيضاً حق التملك وعدّها مستقلة مادياً، فهي بذلك تعدّ فاعلاً اقتصادياً كامل الأهلية، فقد ساهمت في النشاط الاقتصادي بمباشرتها للعمل المهني أو الاستثماري في مجال التجارة أو في مجال إنشاء المقاولات أو باعتلائها مراكز أخرى تنموية كالتعليم والصحة والهندسة والزراعة وغير ذلك، أو بصفة غير مباشرة من خلال دورها في تدبير شؤون البيت الاقتصادي.

وقد حققت المرأة بحق نمواً اقتصادياً هائلاً جعلها تساهم في العملية التنموية، وتشارك في رفع المستوى المعيشي لأسرتها ولبلدها، وخففت من مشكلات المرأة المطلقة أو المرأة المتوفى عنها زوجها؛ لأن الكثيرات من النساء في وضعية الطلاق أو التأيم، أو حالة تخلي الزوج عن نفقة البيت في كل هذه الحالات استطاعت المرأة أن تسد هذا الفراغ الحاصل وتقلل من معاناتها. أما المرأة غير المتزوجة التي تزاول مهمة اقتصادية فقد عالت أسراً بعينها، ووفرت لهم ما يستطيع الرجل أن يوفره لأسرة أو أكثر.

## في المجال السياسي

كما استطاعت المرأة أن تحقق نهضة على المستوى العلمي والاقتصادي والاجتماعي، واستطاعت أيضاً أن تبرز كفاءاتها على المستوى السياسي، وشاركت في جميع الحقوق السياسية. والمقصود بالحقوق السياسية عند أهل القانون: «الحقوق التي يكتسبها الشخص بوصفه عضواً في هيئة سياسة، مثل حق الانتخاب والترشيح وتولى الوظائف العامة في الدولة»(١٤).

والنظام السياسي عموماً وخاصة في الإسلام هو روح العملية التنموية للأمة، ولا يقوم العمران الحضاري إلا بتمامه؛ لأنه أساس الأمن النفسي والاجتماعي لأفراد الأمة والمرأة أعطاها الإسلام حق المشاركة السياسية؛ لأنها أهل لوجوب الحقوق المشروعة، كما أنها أهل لصدور الأفعال مع عدم توقفها على رأي الآخرين، وهذه أهلية الأداء، علماً بأن علماء الأصول حددوا لصحة التكليف الشرعي شرطان:

أحدهما: أن يكون قادراً على فهم دليل التكليف بنفسه أو بالواسطة.

ثانيهما: أن يكون أهلاً لما كلف به.

وللمرأة البالغة أهلية كاملة في الولاية الذاتية على نفسها، إذ لا يملك وليها إجبارها على الزواج ممن لا تريد، كما أن لها ولاية على أموالها وغير ذلك من الولايات الأخرى.

ومن هذا المنظور الأصولي أكد العلماء حقها في الانتخاب. والانتخاب إما أن يكون لاختيار رئيس الدولة، وإما أن يكون لاختيار أعضاء المجلس النيابي.

ومن الحقوق المشروعة لها حق البيعة، وهي إعطاء الولاء للنظام السياسي الإسلامي، وتعد البيعة فرضاً عينياً على كل بالغ راشد من أفراد الأمة نساء ورجالاً قال تعالى: *يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم* **الممتحنة**:١٢.

فأصبحت هذه المبايعة إرادة عهد والتزام مجموعة من الحقوق والواجبات التي تساهم في تنمية البلاد على جميع المستويات.

وجاء في الحديث عن أم عطية: *بايعنا النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا: أن لا يشركن بالله شيئًا(١٥)*. **الممتحنة: ١٢.**

ومن الحقوق السياسية التي كانت المرأة حاضرة مساهمة فيها حق النيابة في مجلس النواب أو مجلس الأمة أو مجلس الشورى على اختلاف تسميته في الأقطار الإسلامية العربية، ثم إن من مهمة المجالس النيابية شيئين اثنين:

- مراقبة السلطة التنفيذية.
- تشريع القوانين.

**حققت المرأة بحق نمواً اقتصادياً هائلاً جعلها تساهم في العملية التنموية، وتشارك في رفع المستوى المعيشي لأسرتها ولبلدها**

أما مراقبة السلطة التنفيذية فتكون في التخطيط والأداء، ويدخل فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمرأة كالرجل في هذا سواء: ساهمت في إحقاق الحق وإبطال الباطل، قال تعالى: *والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر*. **التوبة: ٧١.**

وفي الحديث عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (١٦)، وخير شاهد على استخدام النصح تلك المرأة التي اعترضت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونهته عن تحديد قدر الصداق.

أما تشريع القوانين فليس في الشريعة الإسلامية ما يمنع من ذلك؛ لأن ذلك من الاجتهاد وإعمال الفكر الذي استطاعت المرأة أن تحققه زمن البعث وبعده وفي زماننا.

ونموذج عائشة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم حاضر في كل المناسبات من ذلك ما حكاه الزركشي: «أن أكابر الصحابة كان إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها» وذكر أبو عمر بن عبدالبر أنها كانت وحيدة عصرها في ثلاثة علوم: علم الفقه، وعلم الطب، وعلم الشعر.

وبهذا نقول: إن المرأة شاركت في صنع القرار السياسي، وكانت أول امرأة في الدنيا صنعت ذلك حواء، وبعدها هاجر وسارة وبلقيس ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ الأمة العربية منذ الخلق الأول إلى عصرنا كان وراء العظماء نساء عظيمات.

وهي اليوم في بلداننا العربية برزت وتوسعت دائرة مشاركتها السياسية في جميع الهيئات والمجالس والإدارات العامة، وأثبتت حضورها في المؤتمرات الوطنية والدولية الأممية، وهي بحق خليفة الله في أرضه.

وختاماً وحتى تسير المرأة قدماً نحو النماء والشهود الحضاري، وتكون في المرحلة المقبلة أرقى مما هي عليه، وتساهم أكثر وبشكل فعال إلى جانب أخيها الرجل نوصي لها بما أوصى لها به خالقها ونبيها محمد صلى الله عليه وسلم.

* أوصى بها أمًا وهذا ماثل في قوله تعالى: *ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير* . **لقمان:١٤.**

ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب» أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

وأوصى بها بنتًا من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه» أخرجه مسلم.

وأوصى بها زوجة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خيرًا».

كما نوصيها نحن بالعلم والتعليم وقراءة سيرة الصحابيات الجليلات ومن بعدهن من النساء العظيمات، فهن قدوة كل امرأة صالحة عاملة ومساهمة في نماء الأمة.

وأخيرًا نوصي بها أخاها وشقيقها الرجل وألاّ يكون عقبة نحو تقدمها وصلاحها.

## المراجع


١ـ حول المرأة المسلمة: عز الدين الفارسي، ص١٣٧، دار التبشير، عمان، ١٩٧٩م.
٢ـ المرجع السابق، ص١٣٨.
٣ـ شروط النهضة لمالك بن نبي، ص ١١٥.
٤ـ المرجع نفسه، ص ١١٨.
٥ـ قضايا المرأة المسلمة، ص ٤، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٤م، ط١.
٦ـ لسان العرب: مادة «نمى»، ج ٦م/ ٤٥٥٢، دار المعارف.
٧ـ مقدمة ابن خلدون، ص ٣٩٥، دار الجيل، بيروت.
٨ـ التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، لعبد الحق الكشميري، «كتاب الأمة ١٧»، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، ص ٢٤.
٩ـ أخرجه أحمد ابن حنبل في المسند، ٥٠٢/٣.
١٠ـ انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، دار الفكر بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق الشيخ على محمد عوض، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١١ـ انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، دار المأمون للتراث دمشق: ٣٥٣/٥، وتذكرة الحفاظ للذهبي، دار إحياء التراث بيروت: ٣٥/١.
١٢ـ كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني تحقيق لجنة من الأدباء، طبعة توني،١٩٨٣م : ١١٠/١٦.
١٣ـ المصدر نفسه: ١٥ ـ١.
١٤ـ أصول القانون: للدكتور السنهوري: ص ٢٣٨.
١٦ـ الحديث أخرجه البخاري: ٢٠٣/١٣، وانظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالعزيز محي الدين الخطيب، المكتبة السلفية.
١٥ـ أخرجه مسلم.

# الموارد المائية في دول مجلس التعاون الخليجي
# الواقع الراهن والتحديات المستقبلية

**نوزاد عبدالرحمن الهيتي**
الدوحة - قطر

**تعاني دول مجلس التعاون الخليجي التي تقع أغلب أراضيها في المناطق الجافة جداً اليوم ضغوطاً شديدة على مواردها المائية المتاحة، ومن المتوقع أن تزداد سوءاً في العشرين عاماً القادمة من القرن الحالي، نتيجة لتوقع زيادة في الطلب على المياه بمعدلات مرتفعة لمواكبة النمو السكاني المطرد، مما ينعكس سلباً على مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الخليج العربي، ما لم تتخذ دول مجلس التعاون إجراءات مؤثرة على الصعيد المؤسسي والاقتصادي والاجتماعي والتشريعي لوضع سياسة مائية تهدف إلى تخفيض استهلاك المياه والحد من تبذيرها وتلوثها وترشيد استخدامها، وتوفير موارد مائية إضافية لضمان استمرارها لمصلحة الأجيال القادمة.**

وسوف نتناول في مقالنا هذا النقاط الآتية:

**أولاً - الموارد المائية المتاحة:**

**مياه الأمطار:**

تقع أغلب أراضي دول مجلس التعاون الخليجي في مناطق شديدة الجفاف وشبه جافة باستثناء بعض المناطق الساحلية، ويتسم هطول الأمطار فيه بالتذبذب والشحة على مدار العام، وبتغييرات كبيرة من عام إلى آخر، وتغطي الرقعة الصحراوية ٩٧٪ من إجمالي مساحة مجلس التعاون الخليجي(١).

وتقدر كمية الأمطار الهاطلة في دول مجلس التعاون الخليجي بنحو (١٤٧) مليار م٣ سنوياً، ويلاحظ أن توزيعها جغرافياً وكمياً متفاوت على حد كبير بين دول المجلس، إذ تقدر حجم الأمطار التي تهطل سنوياً على السعودية وعمان بـ (١٤٣) مليار م٣ أي ٩٦٪ من كمية الأمطار الهاطلة في دول مجلس التعاون الخليجي، وإن المملكة العربية السعودية تنفرد بما يناهز ٨٦٪ من مجموع الأمطار، وعلى الرغم من إسهام مياه الأمطار في تنمية الزراعة المستديمة، وتغذية المياه الجوفية في دول مجلس التعاون الخليجي، غير أن الجزء الأكبر من مياه الأمطار يفقد عن طريق التبخر أو التدفق على البحر من الأودية(٢).



استخدامات متعددة للمياه وموارد محدودة

**- الموارد المائية التقليدية**

يعدّ تقويم الموارد المائية في الوطن العربي، ومن ضمنه مجلس التعاون الخليجي الذي قدّمه المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد) في الندوة الثانية لمصادر المياه واستخداماتها في الوطن العربي، من أحدث الدراسات التي تناولت موضوع الموارد المائية التقليدية، ويتبين من نتائج ذلك التقويم أن مجموع الموارد المائية التقليدية المتجددة المتاحة في دول مجلس التعاون الخليجي مجتمعة تناهز (٨.١٣) مليارات متر مكعب سنوياً، منها نحو (٣.٢٧) مليارات متر مكعب مياه جوفية متجددة، وبالاستناد إلى العدد الحالي للسكان في مجلس التعاون الخليجي، فإن حصة الفرد من هذه الموارد يقرب (٢٧٧) متراً مكعبًا سنوياً مقارنة بـ (٧٠٠٠) متر مكعب على الصعيد العالمي، كما أن هذه الحصة سوف تتناقص حتى تصل إلى (٧٩.٥) متراً مكعبًا سنة ٢٠٢٥م بسبب معدلات النمو السكاني المتزايدة(٣).

ووفقًا للتصنيفات العالمية، فإن وضع الموارد المائية يتصف بالحراجة، إذا انخفضت حصة الفرد عن ١٠٠٠ متر مكعب في السنة، كما توصف الحالة بالفقر المائي الخطير الذي يمكن أن يعيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية إذا انخفضت حصة الفرد عن (٥٠٠) متر مكعب في السنة.

**- الموارد المائية غير المتجددة:**

إن تزايد نقص المياه سوف يؤدي إلى تأكيد توجيه المزيد من الانتباه للموارد المائية غير التقليدية، مثل تحلية مياه البحر، وإعادة تدوير مياه الصرف الصحي، وتشتمل الموارد المائية غير التقليدية على الموارد المائية غير المتجددة، ومياه التحلية، ومياه الصرف الصحي والزراعي.

وتشكل المياه الأحفورية Fossil Water التي يرجع تجمعها إلى آلاف السنين أحد الموارد المائية غير

المتجددة، ويقدر حجم هذه المياه بـ (٢١٧٠) مليار متر مكعب، يوجد نحو ٩١٪ منها في المملكة العربية السعودية، وتتغير نوعية هذه المياه من عذبة إلى صالحة، ويستعمل جزء بسيط منها لأغراض الشرب دون معالجة خاصة، ولا يتم تغذيتها مرة أخرى(٤).
ويتفاوت استغلال المخزون الجوفي غير المتجدد من قطر إلى آخر فنجد بعض الدول بسبب ندرة المياه فيها قد اختارت استغلال هذه الموارد في الآجل المتوسط؛ وذلك من منطلق اجتماعي واقتصادي إستراتيجي لتحقيق الأمن الغذائي.
وتزايد اعتماد دول مجلس التعاون الخليجي خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين على تحلية مياه البحر، وقد ساعد توافر مصادر الطاقة في تطوير تكنولوجيا تحلية مياه البحر، مما يجعل المياه المحلاة المصدر الرئيس للمياه في دول المجلس كافة. ويبلغ الإنتاج السنوي للمياه المحلاة (١٧٥١) مليون متر مكعب في دول مجلس التعاون الخليجي كافة، أي ما يقارب ٢٥٪ من إجمالي الموادر المائية المتجددة، وتتفاوت الدول الخليجية في استخدام مياه التحلية بين (٧٩٥) مليون متر مكعب في السعودية كحد أقصى و(٧٥) مليوناً في البحرين كحد أدنى، وهذه المياه لا تستخدم في الزراعة، وإنما في الأغراض المنزلية والشرب فقط. وتستخدم محطات التحلية في دول مجلس التعاون الخليجي تكنولوجيا التقطير الوميظي M S F بكثافة؛ لأنها تتناسب مع الظروف الخليجية أكثر من تكنولوجيا التناضح العكسي في تحلية مياه البحر.
بالإضافة إلى المياه الأحفورية ومياه التحلية، تستخدم أيضاً مياه الصرف الصحي المعالجة في ري بعض الزراعات والمساحات الخضراء، وبلغ إجمالي مياه الصرف الصحي المعالجة حوالي (٣٠٢) مليون متر مكعب سنوياً، وتتفاوت دول المجلس في استعمال مياه الصرف الصحي، ما بين (١٠٨) ملايين متر مكعب في الإمارات و (٦) ملايين متر مكعب في عمان(٥).
وتعاني وحدات معالجة مياه الصرف الصحي عدة مشكلات نجمت عن التزايد المستمر فيما يرد إليها من مياه ربما تزيد على كفاءتها التشغيلية، وذلك نتيجة لتزايد استهلاك المياه في مدن يزيد سكانها عشوائياً، وينجم عن ذلك تلوث مياه الصرف الصحي للخزانات الضحلة للمياه الجوفية والسواحل.

### ثانياً: استخدامات الموارد المائية:

تبلغ الكميات المستخدمة من المياه سنوياً في دول مجلس التعاون الخليجي نحو (٧.٥٥) مليارات متر مكعب، يستهلك القطاع المنزلي نحو (٣.٧٢) مليارات متر مكعب، أي ما نسبته ٤٩٪، ثم يليه القطاع الزراعي الذي يستهلك (٣.٣٢) مليارات متر مكعب أي نحو ٤٤٪، ثم القطاع الصناعي الذي يستخدم ٠.٥٢

استهلاك كبير للماء في المدن


التكثيف الزراعي في المناطق الجافة يؤدي إلى زيادة الطلب على المياه

وارتفاع حصة الفرد منها، كما أن التكثيف الزراعي في مثل هذه المناطق الجافة يقود إلى زيادة مستمرة على طلب المياه.

واستناداً إلى المسارات الحالية، فإنه من المتوقع أن يزداد طلب المياه، ومن ثم ستزداد الفجوة المائية اتساعًا بين الطلب والموارد المتاحة حاليًا من المياه السطحية والجوفية المتجددة والمحلاّة والمعالجة.

خلاصة القول: أن حالة المياه في دول مجلس التعاون الخليجي تعكس حقيقة فحواها أن هذه الأقطار غير قادرة على تحقيق الاكتفاء الغذائي خصوصاً إذا ما علمنا أن خمس دول تقع تحت خط الفقر المائي، فضلاً عن ذلك فإن عدداً من الدراسات توضح أن هناك فجوة مائية ترتبط بتطور الفجوة الغذائية في دول المجلس واحتمالات زيادة حجم العجز المائي مستقبلاً نتيجة لزيادة السكان مما يستوجب الربط العضوي بين الأمن المائي والأمن الغذائي، وانتهاج سياسة لتحقيق الأمن الغذائي على المستوى الخليجي يمكن أن تشكل حلاً عمليًا لمشكلة نقص المياه في المنطقة.

### ثالثًا: المعوقات التي تحدّ من تنمية الموارد المائية:

تتعدد وتتشعب العوامل التي تقف حائلاً أمام تنمية الموارد المائية في دول مجلس التعاون الخليجي، فقسم منها هو نتاج سياسات غير مواكبة للتطور الاقتصادي والاجتماعي واحتياجاته، وقسم آخر متأتٍ من القصور في تطبيق الرؤية الاقتصادية السليمة لتنمية الموارد

مليار متر مكعب أي: نحو ٧٪، ويلاحظ أن حصة الفرد الخليجي من المياه المستخدمة للأغراض المنزلية والصناعية والزراعية قد بلغت (٣٢٨) متراً مكعبًا سنويًا، وتعدّ هذه الحصة بالغة الخطورة قياساً بالحدود التي وضعتها الأمم المتحدة بخصوص الوفرة والجوع المائي والبالغة ١٠٠٠متر مكعب سنويًا(٦).

وقد أدى الارتفاع المتزايد في الناتج القومي الإجمالي في دول مجلس التعاون الخليجي والتغييرات المصاحبة له في المستوى المعيشي، بالإضافة إلى توافر المياه في الشبكات الناقلة، إلى زيادة استهلاك المياه

المالية من نواحي الكفاءة الاقتصادية، ويمكن إيجاز أهم هذه المعوقات بالآتي:

**محدودية الموارد المائية:**

وهي نتيجة طبيعية لجغرافية دول مجلس التعاون الخليجي الذي تقع ٩٦٪ من أراضيه ضمن أقاليم مناخية شديدة الجفاف محدودة في مواردها المائية، ويتسم هطل الأمطار فيها بالتذبذب على مدار العام، بالإضافة إلى ضعف فعالية الأمطار إذ يصل الفاقد منها عن طريق التبخر إلى أكثر من ٨٥٪(٧).

**نقص المعرفة ببعض الموارد المائية:**

على الرغم من التقدم في معرفة أغلب الأقطار الخليجية لمواردها المائية، فإن المعلومات المتوافرة ما زالت تعوزها الدقة، وذلك لعدم وجود قياسات دائمة على مجاري الأودية الموسمية، كما تفتقر بعض دول المجلس إلى وجود محطات أرصاد دائمة لتحديد البراميترات المرتبطة بمعرفة مكونات الدورة الهيدرولوجية مثل التبخر والتسرب، فضلاً عن ذلك فإن المياه الجوفية مازالت تستدعي المزيد من الدراسات والقياسات لمعرفة خصائصها وتدقيق تقويم الأحواض ومتابعة استغلالها لتفادي الاستخدامات الجائرة وما ينجم عنها من أضرار بالغة الخطورة كتداخل مياه البحر.

**تدهور نوعية المياه والتربة:**

قاد التوسع في المساحات الزراعية المروية وتنمية المشروعات الإروائية بغرض تحقيق الأمن الغذائي إلى الإسراف في الموارد المتاحة، كما قاد تكثيف استعمال المبيدات والأسمدة الكيماوية إلى تدني نوعية المياه وخصوصاً السطحية، كذلك قاد الاستخدام الجائر للمياه الجوفية إلى انخفاض المنسوب في بعضها وتملحها. علاوة على أن تدهور نوعية التربة قد أدى



اعتماد زائد على تحلية مياه البحر



الجفاف وقلة مصادر المياه مشكلتان تستحقان الاهتمام

إلى تفشي ظاهرة التملح والغدق وتدني الإنتاجية واختلال الخصوبة.

**إهمال الجانب الاقتصادي للمياه:**

ساهم إهمال الجانب الاقتصادي في تنمية الموارد المائية واستخدامها خاصة في مجال الري بدرجة كبيرة في هدر هذه الموارد وتدني كفاءتها، ولأن استرجاع كامل التكلفة لجلب المياه وتوزيعها قد لا يكون وارداً في الوقت الحاضر في دول مجلس التعاون الخليجي، نتيجة لعوامل اجتماعية وسياسية، فإن معظم هذه الدول تتجه نحو استرداد تكاليف إتاحة المياه على المستوى الحقلي وصيانة منشآتها. ويقيناً فإن هذه السياسة سوف تسهم في توجيه المنتجين الزراعيين إلى استخدام نظم الري الأكثر تقدماً وكفاءة، وإلى ترشيد استخدام المياه.

**ضعف أجهزة إدارات المياه ودورها في أحكام الرقابة:**

مع أن لدى معظم دول مجلس التعاون الخليجي أجهزة متخصصة في تنمية الموارد المائية غير أن دورها في إحكام الرقابة على أسلوب استثمار المياه وخاصة على المزارع الخاصة مازال يشوبه الكثير من القصور.

## رابعًا: الخلاصة:

لم يعد خافياً أن أزمة المياه ستزداد حدة في دول مجلس التعاون الخليجي في العقدين القادمين ما لم يتم تبني سياسات مائية تحقق الإدارة المثلى لترشيد استهلاك المياه والمحافظة على نوعيتها. ولوحظ أن الاستخدام الأكبر لموارد المياه في دول مجلس التعاون الخليجي يتمثل بالاستخدام المنزلي ويمثل نحو ٤٩٪ من مجموع المياه المستثمرة، في الوقت الذي تصل فيه هذه النسبة إلى ٤٤٪ للأغراض الزراعية، وإلى نحو ٥٪ للأغراض الصناعية، كما لوحظ أن نسبة استثمار



جزء كبير من مياه الأمطار يفقد عن طريق التبخر أو التدفق على البحر من الأودية

المياه تبلغ نحو أن نسبة استثمار المياه في كل من المملكة العربية السعودية وعمان تبلغ ٨٠٪ و ٢٧٪ على التوالي في الوقت الذي تمتلكان فيه أكثر من ٥٠٪ من المياه المتاحة في المنطقة.

وتقع دول مجلس التعاون الخليجي دون خط الفقر الشديد للمياه؛ لأن معدل حصة الفرد السنوية تبلغ أقل من ٥٠٠ متر مكعب، ويبلغ إجمالي معدل حصة الفرد من المياه المتاحة ٢٧٧ متراً مكعباً في السنة.

واستناداً إلى دراسة الواقع الحالي، والتقديرات المستقبلية المائية المتاحة، والطلب المستقبلي عليها يتبين أن الموارد المائية في دول مجلس التعاون الخليجي لا تمثل مطلباً فحسب، بل هي ضرورة حتمية تعتمد عليها التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأن مواجهة الأزمة المائية في مجلس التعاون الخليجي تستدعي تبني مجموعة من السياسات والإجراءات من أهمها ما يأتي:

- العمل على تطوير حصاد الأمطار وفقًا للظروف المحلية لكل دولة بإنشاء السدود الترابية والبحيرات وتوجيه مياه الأمطار والسيول إلى أماكن مناسبة لاستقبالها والاستفادة منها.
- ضرورة موازنة الاهتمام بين محاولة حل مشكلة المياه عن طريق توسيع نطاق الموارد المائية ودراسة نمط الطلب والاستخدام، وإذا لم يتم التصرف بخصوص تغيير هيكل الطلب فسوف يستمر في الزيادة مع النمو السكاني وارتفاع مستويات المعيشة بحيث يتجاوز الواردات المحتملة في المستقبل القريب.
- ضرورة مراجعة السياسات التنموية الهادفة إلى تشجيع رأس المال الخاص في المشاركة في مجالات التنمية المتعلقة باستثمارات مائية؛ وذلك من خلال وضع ضوابط وشروط ومعايير لاستخدامات المياه والمحافظة عليها.
- تطبيق الإدارة المثلى للموارد المائية بوصفها مفتاح التخفيف من حدة ندرة المياه في المستقبل، وتفادي إلحاق المزيد من الأضرار بالنظام الأيكولوجي المائي.
- الاهتمام بدراسة الموارد المائية البديلة والتركيز في استثمارات المياه المالحة في الزراعة.

## الهوامش والمراجع

١- نوزاد عبدالرحمن الهيتي، وحسيب الشمري، التصحر - التحدي والاستجابة - دراسة تطبيقية في دول مجلس التعاون الخليجي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١م، ص١٠٤.

٢- احتسبت النسبة من الباحث بالاعتماد على: صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٩٧م، أبو ظبي ١٩٩٧م.

٣- نوزاد عبدالرحمن الهيتي، التنمية في دول مجلس التعاون الخليجي - إنجازات الماضي وتحديات المستقبل، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢م، ص ١٢٦.

٤- نوزاد عبدالرحمن الهيتي، وعصام الحديثي، أمثلية استخدام المياه في دول مجلس التعاون الخليجي، السجل العلمي لمؤتمر الخليج الخامس للمياه، جامعة قطر، الدوحة، ٢٠٠١م، ص٣.

٥- المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة، الموارد المائية واستخداماتها في الوطن العربي، بحث مقدم إلى الندوة العربية الثانية لمصادر المياه واستخداماتها، الكويت ١٩٩٧م.

٦- صندوق النقد العربي وآخرون، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٠١م، أبو ظبي، ٢٠٠١م.

٧- عبدالملك التميمي، المياه العربية - التحدي والاستجابة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٩م، ص٢٠٠.

# أدب ذوي الاحتياجات الخاصة عنهم ولهم

**عبدالتواب يوسف**
القاهرة - مصر

**إننا نكاد نكون غافلين تماماً عن أدب الطفل ذي الحاجات الخاصة. لقد أوليناه اهتماماً كبيراً في ندوة مركز تنمية الكتاب عام ١٩٨٢م، وقبلها في العام الدولي للمعوقين ١٩٨٠م، وهو الذي جاء بعد عام الطفل، وكان لذلك صدى، ثم دعان مركز توثيق كتب الأطفال في أسلو بالنرويج - وهو تابع للمجلس العالمي لكتب الأطفال - وأقيمت ورشة عمل خاصة بهذا الموضوع في مركز توثيق وبحوث أدب الأطفال بالقاهرة عام ١٩٩١م .. وكالعادة نبدأ عملنا في حماسة هي في ذروتها، ثم تخبو؛ لأننا لا نتابع جهودنا، بل ننساها إلى أن يغطيها التراب ومقالتي هذه تريد أن تنفض جانباً منه، كما أننا سنذكر بما ورد عن هذه الفئة في المواثيق العالمية، وسوف نشير إلى أسباب ندرة هذا الأدب لدينا، ونوضح السبيل إلى تنميته.**

## ذوو الاحتياجات الخاصة في الأدب: قديماً وحديثاً

مما لا شك فيه أنه كانت هناك نظرة غاية في السوء إلى هذه الفئة من الناس، تغيرت جذرياً في العصور الحديثة ... كان الناس ينظرون إلى هذه الفئة نظرة نستنكرها اليوم استنكاراً شديداً، وليس أدل على ذلك من محاولاتنا المستمرة للبحث عن كلمات «إنسانية» أكثر رقة عندما نتحدث عنهم؛ لأننا لا نرضى عن أغلبها، إذ لا نراهم معاقين أو معوقين أو أصحاب عاهات أو حتى ذوي احتياجات خاصة، ولا متحدّي الإعاقة، وأظن أن البحث سيظل مستمراً .. بينما كان الناس في الماضي يبحثون عن تعبيرات قاسية، وتفسيرات أشد قسوة، وكان بعض الكتاب والأدباء يجارونهم في هذا، إلى الحد الذي صوروهم على أن الشياطين تسكن أجسامهم، بل ونفوسهم، وأن حالاتهم هذه تدفعهم إلى الكراهية والبغض والحقد على الأسوياء، والرغبة في إيذائهم.

وحقيقة الأمر أنهم كانوا يدفعون عن أنفسهم هذه الصورة المشوهة التي تُظن بهم، ويدافعون عن كياناتهم الضعيفة وظروفهم الصعبة .. وكان بعض الناس ينظرون إليهم نظرة عطف وإشفاق، وهذه النظرة أيضاً كانت تزعجهم إزعاجاً شديداً، فينفرون

من أصحابها ... بينما كان هناك من يتبرك بهم ويحسن الظن بهم، إلى حد عدّهم حكماء، بل أكثر حكمة من الأسوياء. ونشير هنا إلى شخصية عبيط القرية الذي استخدم كثيراً، وهو أوضح ما يكون في «يوميات نائب في الأرياف» لتوفيق الحكيم. ونحن نستطيع أن نلمس كل هذه الاتجاهات والتيارات فيما وصل إلينا مما كتب عنهم .. لكن العصر الحديث له وجهة نظر أخرى، ليست منطلقة من العطف، بل وراءها أن هناك إحساساً عميقاً بأنهم أصحاب حقوق، خاصة في طفولتهم التي يمكن من خلالها الأخذ بيدهم ليعيشوا حياة معقولة مقبولة، ولأن من بينهم من ثبت أنه يستطيع أن يقدّم للإنسانية الكثير من جلائل الأعمال ... ونستطيع أن نشير هنا إلى قائمة طويلة من هؤلاء، وكيف كان من الممكن أن نفقد الكثير لولا أن ظروفاً طيبة يسرت لهم العمل والعطاء ليصبحوا أعلاماً في شتى المجالات، ومن بين هؤلاء شعراء خلدتهم قصائدهم، من أمثال المعري، ذلك أن الشعر بالذات كان فيما مضى فناً «قولياً»، وكنا نردد (قال الشاعر)، وليس (كتب الشاعر) ... والكتّاب والمبدعون من بينهم لا يقلّون عدداً وهنا يبرز اسم هلين كيلر»: العمياء الصماء البكماء، التي قدمت للإنسانية ثمانية عشر عملاً أدبياً رائعاً ..

**نحتاج إلى أن تفرد المجلات لأدب ذوي الاحتياجات الخاصة بعض المساحات اللازمة لنشره، كما يجب أن تفسح الإذاعة مرئية ومسموعة المجال لأصحاب الأقلام للكتابة فيه، ونتطلع إلى المسرح الذي يمكنه معالجة الموضوع بشكل مؤثر**



أحمد شوقي

وقد بدأت نظرة جديدة تتبلور في السنوات الأخيرة: هذه الفئة يجب أن تعيش حياتها؛ وذلك هو حقها الطبيعي كما أنها تستطيع أن تعوض ظروفها هذه بالتفوق في مجال ما، ونحن نتكلم عنهم بشكل عام على الرغم من إدراكنا أن بعضهم لا ينطبق عليهم هذا، كما أنهم درجات في الإعاقة حتى لقد أصبح لهم علومهم الخاصة التي تدور كلها من حولهم، وهناك من نراهم متخصصين في شؤونهم وبالذات في المجالات الاجتماعية .. ونجد أن القانون يحاول إنصافهم اقتصادياً واجتماعياً وإنسانياً حين يفرض على كل هيئة أو مؤسسة أن تخصهم بنسبة معينة من وظائفها وأعمالها، كي لا يعيشوا عالة على الآخرين اقتصادياً واجتماعياً، ويكفيهم احتياجهم إليهم من أجل الرعاية الخاصة بهم ...

والدراسات العلمية: طبياً قد أصبحت تخصصاً مهماً في فروع مختلفة، وتنبه الكثيرون؛ لأن الجميع لديهم إعاقة ما، وقد انتشر قصر النظر، وصعوبة السمع وما إلى ذلك بين الناس، كما تحول عدد كبير من الأسوياء إلى غير هذا بسبب حوادث السيارات، والآلات والكوارث الإنسانية ... وظهر اهتمام واسع بالأجهزة التعويضية والمعينة التي تساعد على تحدّي الإعاقة، كالنظارات، والكراسي المتحركة، وصولاً إلى تصنيع سيارات خاصة ليقودوها بأنفسهم ... وهناك جديد في كل يوم في هذا الأمر.

والأدب الذي يكتب عنهم، والشخصيات التي نقوم بأدوارهم في السينما والمسرح تختلف جذرياً عما كان في الماضي، بل لقد أصبح هناك أدب مكتوب لهم، وليس عنهم فحسب، فهناك قصص لفاقدي البصر

تكتب بطريقة (بريل)، وقصص تقول لهم باستمرار: أن تحدوا الظروف، أنتم قادرون على أن تحيوا حياتكم في سعادة على الرغم من كل شيء، وتستطيعون أن تضيفوا الكثير.

## حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة والوثائق الصادرة بشأنها

رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة ليست وليدة حنان وعطف وشفقة، وليست بحثًا عن طه حسين آخر، وهيلين كيلر أخرى .. وليس استثماراً أو استغلالاً للمشاعر الفياضة تجاههم، وإنما هي حق لهم، وواجب على من نراهم «أسوياء»، والوثائق الصادرة في هذا الشأن تؤكد ذلك وتركز فيه؛ إنه «مبدأ» يجب علينا أن نلتزمه مؤمنين به ساعين إلى تحقيقه مهما كلفنا ذلك من عقبات ومشقات ومسؤولية من الضروري تحملها، والنهوض بها على أعلى مستوى؛ وهذا هو ما ورد في الوثائق الرسمية.



توفيق الحكيم

أولاً - الإعلان العالمي لحقوق الطفل الصادر في ٢٠ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٥٩م.

المادة الخامسة: «يجب توفير العلاج الخاص، والتربية، والرعاية، التي تقتضيها حالة الطفل المصاب بعجز بسبب إحدى العاهات».

ثانياً - اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عام ١٩٨٩م.

المادة ٣٣: «١- تعترف الدول الأطراف بوجوب تمتع الطفل المعوق عقليًا أو جسدياً بحياة كاملة وكريمة في ظروف تكفل له كرامته، وتعزز اعتماده على النفس، وتيسر مشاركته الفعلية في المجتمع.

٢- تعترف الدول الأطراف بحق الطفل المعوق في التمتع برعاية خاصة.

٣- إدراكًا للاحتياجات الخاصة للطفل المعوق توفر المساعدة المقدمة وفقًا للفقرة ٢ من هذه المادة مجانًا كلما أمكن ذلك، مع مراعاة الموارد المالية للوالدين أو غيرهما ممن يقومون برعاية الطفل، وينبغي أن تهدف إلى ضمان إمكانية حصول الطفل على التعليم والتدريب فعلاً وخدمات الرعاية الصحية، وخدمات إعادة التأهيل والإعداد لممارسة عمل، والفرص الترفيهية وتلقيه ذلك بصورة تؤدي إلى تحقيق الاندماج الاجتماعي للطفل ونموه الفردي بما في ذلك نموه الثقافي والروحي، على أكمل وجه ممكن.

٤- على الدول الأطراف أن تشجع بروح التعاون الدولي، تبادل المعلومات المناسبة في ميدان الرعاية الصحية الوقائية، والعلاج الطبي والنفسي والوظيفي للأطفال المعاقين، بما في ذلك نشر المعلومات المتعلقة بمناهج إعادة التأهيل والخدمات المهنية وامكانية الوصول إليها؛ وذلك بغية تمكين الدول الأطراف من تحسين قدراتها ومهاراتها وتوسيع خبراتها في هذه المجالات وتراعي بصفة خاصة بهذا الصدد احتياجات البلدان النامية.

وفي وثيقة إعلان عقد حماية الطفل المصري ورعايته (٨٩ - ١٩٩٩م) ورد في المادة التاسعة ما نصه: «توفير قدر مناسب من الرعاية الاجتماعية

والصحية والنفسية للأطفال المعوقين».

وفي وثيقة العقد الثاني لحماية الطفل المصري ورعاية (٢٠٠٠ - ٢٠١٠م)، جاء في الفقرة الخاصة بالتعليم: البند السادس: «إتاحة فرصة التعليم النظامي وغير النظامي والتأهيل بمختلف أنواعه للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وعلى أساس استيعابهم في النظام الذي يناسب ظروف كل منهم بنسبة ١٠٠٪، وأبرزهم الأطفال العاملون والأطفال المعاقون».

وفي الفقرة الخاصة بالصحة ورد في بندها الأول: «التأمين الصحي لكل أطفال مصر بنسبة تصل إلى ٩٠٪ شاملة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة».

وفي الفقرة الخاصة بالمجال الاجتماعي جاء في البند الأول: «حماية الأطفال في ظروف صعبة».

ونعلم يقيناً أن الطفل المعوق له كل حقوق الأطفال المنصوص عليها في جميع هذه الوثائق، وأنه يجب أن يحظى بحقوق أخرى إضافية نص عليها بوضوح، وبين عقدي الطفل نلحظ التطور الواضح في النظرة الخاصة به، مواكبة لما يجري على الساحة العالمية في هذا المجال.

## أدبيات ذوي الاحتياجات الخاصة وأدبهم: ما هو عنهم وما هو لهم

ونحن نتساءل: إذا كان هؤلاء الأطفال قد حظوا بهذا الاهتمام الكبير من جانب وثائق حقوق الطفل، فهل لقي الأدب الخاص بهم القدرمن الاهتمام نفسه؟

نعرف يقيناً الجواب، ومن المؤكد أن الإجابة بالنفي ... وإن كانت البحوث والدراسات والكتب التي تصدر عنهم كثيرة وغزيرة، ونحن بحاجة ماسة إليها، لأنها تبصر الرأي العام بالقضية، وتعين الآباء على مهمتهم إذا ما واجهوا المشكلة، كما تساعد معلمي هذه الفئة والعاملين معها. وإذا ما جرت مقارنة بين هذه الكتابات العلمية عن المعوقين، والكتابات الأدبية



ندرة في الأدب الموجه لذوي الاحتياجات الخاصة

فسوف نجد أن الأخيرة لم تواكب الأولى ولم تسايرها أو تجاريها، ويحق لنا أن نتساءل عن الأسباب، خصوصاً أن الكتّاب يستلهمون أعمالهم الأدبية مما يدور ويجرى في المجتمع، وكان جديراً بهم أن يعالجوا هذا الموضوع بإبداعاتهم شعراً ونثراً، لكننا مع الأسف نجد جهوداً متواضعة في هذا المجال، هل لأنه صعب ؟ هل لأنه حساس؟ .. الحق أنه من الواجب علينا أن نعطي هذا الأمر ما هو جدير به من دراسة وعناية.

هناك من كتبوا سيراً عن معوقين تحدوا الإعاقة، ونجحوا بل حققوا شهرة كبيرة على المستوى الوطني والقومي والعالمي.

والأدب المكتوب للكبار عن هذه الفئة من الناس كثير ومتنوع .. لكن الأدب المكتوب لهم أقل، والذي يوجه إلى الأطفال من بينهم: نادر وهو مرفوض من جانبهم إذا شعروا أنه قد كتب عطفاً عليهم وشفقة بهم ... وأذكر سيدة مهيضة الساق دعتنا إلى العشاء، وكانت تدور علينا بالسلاطة، وعند ما حاولت أن أقوم عنها بهذه المهمة غضبت وقالت لي: لماذا تريد أن تحرمني من شيء أحبه؟ وقد أفسدت هذه العبارة عليّ العشاء والليلة كلها. إن ردود الفعل لديهم ليس من السهل توقعها، لذلك نقول للمتعاملين معهم: توقعوا ما لا يتوقع ! .. ويوم هتف بعض الطلاب ضد د. طه حسين، وآذوه بالإشارة إلى فقد بصره قال عبارته الشهيرة: أحمد الله أنني كذلك حتى لا أرى وجوهكم! ... وعندما صحبت زميلة لنا طفلتها إلى العمل، وعلى عينها عصابة سوداء، رجعت الصغيرة إلى البيت ساخطة على كل زملاء أمها، وقالت كلمات طيبة عني نقلتها إليّ الأم، وكان تعليقي:

ـ السبب أنني ببساطة قد تكلمت معها دون أن أسأل أو أشير إلى هذه العصابة على عينها! ولا شك أن العطف الزائد والمبالغ فيه قد أصابها بالضيق.

وإذا كان الأدب كما يراه بعضهم هو «أثر الوجود في الوجدان»، فإننا نرى عدداً من الأدباء يتأثرون بظروف هذه الفئة، ويعبرون عن ذلك، وبعضهم يحالفه التوفيق، إذا هو استوعب الموقف كاملاً، وآخرون يخفقون.



طه حسين

وهناك قصة الأم أمينة التي تجلس إلى مقعد متحرك؛ والسبب أنها تبرعت بواحدة من عظامها لطفلها الذي ولد قدرياً تنقصه هذه العظمة، فتبرعت بها له ليمضي على قدميه، وارتضت لنفسها هذا المقعد، وصار الابن طبيب عظام ! وعندما تصل إلينا مثل هذه الحكاية الواقعية، ولا نصيغها بشكل أدبي، نفقد الكثير .. وجدير بنا أن نحافظ عليها ونتشبث بها .

وكان من بين كبار مشجعي كرة القدم شخص فاقد البصر، شد الانتباه إليه في ملاعب الكرة بين المشاهدين، وله حكاياته ونوادره. وكانت لفتة طيبة من كاتبة الأطفال السيدة نعم الباز أن تكتب مجموعة قصصية لفاقدي البصر، لتنشر لهم بطريقة بريل، وليقرأها الأطفال المبصرون، وينفعلوا بها ولها، والحقيقة أنه ليس لدينا قائمة بالكتب والأعمال الأدبية

المتعلقة بذوي الاحتياجات الخاصة، وإن كان عمو حسن - أ. حسن شمس - يقدم أسبوعًا كاملاً في برنامجه بإذاعة الشرق الأوسط قصصًا عنهم يوميًا، وذلك خلال الاحتفال بيومهم السنوي، وتتسم هذه الأعمال بإنسانية فياضة وحس رفيع.

## أدب ذوي الاحتياجات الخاصة .. لماذا هو قليل ونادر؟!

سؤال يطرح نفسه، إذ كان من المتوقع إزاء هذه الاهتمامات المتزايدة أن يلقى هذا اللون من الأدب اهتمامًا متوازيًا، متوازنًا سواء في الكتابة عنهم أو لهم، لكن الملاحظ أنه نادر، حتى إننا نستطيع أن نعد هذه الأعمال على أصابع يد واحدة مما يؤكد أنه ليس بالقليل فحسب، بل هو نادر، ويبدو أن ذلك نتيجة لصعوبة ارتياد هذا المجال، ولأن الكتابة فيه ستكون مباشرة، وتحاول استدرار الشفقة والعطف، وليس ذلك مطلوبًا على المستوى الإنساني، أو الفني ..

وفيما نرى، لابد أن نشجع هذا الأدب، ليواكب العناية والرعاية، وليجاري البحوث والدراسات، ونحتاج إلى ان تفرد له المجلات بعض المساحات اللازمة لنشره، كما يجب أن تفسح الإذاعة مرئية ومسموعة المجال لأصحاب الأقلام للكتابة فيه، ونتطلع إلى المسرح الذي يمكنه معالجة الموضوع بشكل مؤثر، على أن يكون العمل إنسانيًا، وفنيًا على درجة رفيعة من الجدّية والجدّة .. ومن الممكن أيضًا ترجمة بعض الأعمال الأجنبية الأدبية التي سبق أن صدرت فيه .. ومن أساليب التشجيع تخصيص جوائز لمن يقدم عليه، وأيضًا إجراء مسابقة بين شباب الكتّاب لخوض هذه التجربة المهمة.

كما أنه من الممكن - بل من الضروري - أن يقيم مركز بحوث ودراسات أدب الأطفال بالقاهرة ورشة عمل لتدريب الكتّاب الشباب على الكتابة في هذا المجال الحيوي .. أسوة بورشة سابقة سنتحدث عنها.

وهناك عدة أسباب لعدم ارتياد كتّاب الأطفال لهذا المجال، وقد أضاف إليها أديب كبير سببًا لم نكن على علم به ..

لدينا شهادة في غاية الأهمية من المرحوم أ. د. عبدالحميد يونس في مقدمة ترجمته لكتاب الأمريكية بيڤرلي بتلر وعنوانه «أضئ شمعة واحدة»: «عندما فرغت من نقل هذا الأثر الأدبي إلى اللغة العربية، أدركت أنه أقرب إلى الترجمة الذاتية، منه إلى الرواية



قدرات هائلة على التعبير على الرغم من الإعاقة


عبد الحميد يونس

بالمفهوم الفني؛ وذلك لأن المؤلفة إنما عبرت عن تجربة واقعية تماثل التجربة التي واجهتها في حياتي، ففي بواكير الصبا أيضاً أسدلت الستائر لتحول بيني وبين عالم المرئيات .. ولكم حاولت بجهدي على مدى عشرين سنة أو تزيد أن أكتب ترجمه ذاتية تستوعب هذه التجربة، وكنت أواجه ما يشبه «التحريم» في مرحلة الذروة الانفعالية التي اقترنت بالتحول من «عالم البصر» إلى «عالم النور والأمل»، وصح عندي أن أستاذي الدكتور طه حسين كان موفقاً غاية التوفيق عندما جعل من ذاته شخصاً آخر يصوره في مرحلة الطفولة وبواكير الصبا، ويتحدث عنه بضمير الغائب لا بضمير المتكلم، ومع أنني لم أقنع بهذه الوسيلة النفسية والفنية إلا أنني أقرّ بان التعبير عن مثل هذه التجربة يجاوز الطاقة، ويكاد يقترب من الاستحالة».

هذه الشهادة من أديب كبير وكاتب متميز تقطع بصعوبة الكتابة عن تجربة الإعاقة، بل ويعترف باستحالتها، مما يؤكد لنا أن الكتابة الأدبية في هذا المجال ليست سهلة ولا يسيره، ومن هنا تأتي قلتها وندرتها.

وإذا كان أصحاب التجربة غير قادرين على تسجيلها، فما بالنا بالآخرين الذين يجدون الأمر فوق طاقتهم؟ ثم ماذا لو أنه خطر ببالهم أن يكتبوها للأطفال؟ وماذا لو أنهم فكروا في تقديمها للأطفال المعاقين ؟! .. لم يكتب د. عبدالحميد يونس سيرته الذاتية كاملة، مع أنه مارس الإعاقة، وانتصر عليها انتصاراً كبيراً، وحقق لنفسه مكانة فريدة، كانت وما زالت حلم آلاف المبصرين. ولقد أضاف بشهادته هذه صعوبة أخرى بالنسبة إلى الكتابة إلي المعوقين، وما كان باستطاعتنا أن نعرفها أو نستنتجها إلا من خلال أديب مثله، أثرى أدبنا وفننا الشعبي، وفتح لنا أبوابه وعرفّنا إليه.

وقد لقي ذوو الحاجات الخاصة من الشعراء اهتماماً كبيراً .. ونحن نذكر أبياتاً قالها أمير الشعراء أحمد شوقي - رائد شعر الأطفال في وطننا العربي - يطيب لنا أن نوردها هنا وهو يتحدث عن إصلاح وتطوير كان يجري في الأزهر الشريف ..

**نظراً وإحساناً إلى عميانه**
**وكن المسيح مداوياً ومجَبراً**
**والله ما تدري لعل كفيفهم**
**يوماً يكون أبا العلاء المبصرا**
**لو تشتريه بنصف مالك لم تجد**
**غبناً وجلَ المشتري والمشترى**
**إن فاتكم من نور وجهك فائت**
**لم يعدموا لوجوه برك منظرا**
**لمسوا نداك كمن يشاهد مزنة**
**ويد الضرير وراءها عين ترى**

إنه نداء لتلك المؤسسة العلمية الدينية - الأزهر الشريف لكي يرعى فاقدي البصر، ولقد كان من بين هؤلاء د. طه حسين، الأديب، والمعلم، والوزير ..

ورشة عمل عام ١٩٩١ عن أدب ذوي الاجتياجات الخاصة

حظي ذوو الحاجات الخاصة باهتمام الهيئات العالمية، وحاولت بكل السبل رعايتهم، وأولت تعليمهم وثقافتهم، وأدبهم وكتبهم عناية خاصة، ومن بين هذه الهيئات «المجلس العالمي لكتب الأطفال» الذي انضمت إليه مصر عام ١٩٨٦م، ترأس السيدة سوزان مبارك الفرع المصري للمجلس، ويضم ما يزيد على مئة من الكتّاب والرسامين .. وقد أقام المجلس العالمي لكتب الأطفال مركزاً لتوثيق كتب الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، في أسلو بالنرويج وهو تابع لجامعة أسلو، وقد دعت السيدة سيسيل هوف جارز سوينسون المسؤولة عنه لزيارة مصر، وأقامت في نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩١م، ورشة عمل في مركز توثيق وبحوث أدب الأطفال بالقاهرة، شهدها عدد من كتّابنا ورسامينا، ومن المهتمين بقضية ذوي الاحتياجات الخاصة، وقدمت في الورشة أبحاث ضافية، كما عرضت الضيفة عدداً كبيراً من الكتب المهمة في هذا المجال، وألقت محاضرة أساسية عن هذا المركز وماليديه من كتب، وأهدتنا قائمة بها، وكان من المتوقع بعد هذا أن يلقى أدب الأطفال وكتبهم دفعة، وأن يزداد الاهتمام به وبها من جانب كتابنا وفنانينا، لكن الأمر بقي على ماهو عليه إلى حد كبير، ولم يزدهر هذا اللون من الأدب، وإن صدرت عدة كتب تعليمية لهم معقولة ومقبولة.

وقد قدمت الضيفة ورقة بعنوان «كل الناس تحتاج إلى الكتب: كتب خاصة بالأطفال المعاقين»، نضع بعضاً مما جاء فيها فنترجمه وننقله عن هذه الورقة..

هتف «ديبز»: كتب، كتب، كتب، وجرى بأصابعه من فوق الكتب، وهو يضيف:


تأثير سحري للأدب في الطفل

ـ انا أحب الكتب، أليس شيئًا ممتعًا ورائعًا أن نجد علامات سوداء صغيرة على الورق، وإذا نحن أمام قصة جملية؟ وقالت الضيفة: إن هذه الفقرة مأخوذة عن كتاب للسيدة ڤيرجينيا آكسلين «ديبز يبحث عن نفسه» .. وديبز طفل هروبي من الواقع Autistic، لم ينطق بكلمة واحدة إلى أن بلغ الثامنة من عمره.. وأضافت:

ـ لقد اخترت هذه الفقرة بالذات لأكشف لكم أي تأثير سحري يفعله أدب الأطفال في المعاقين ..لقد أصبح ديبز الآن قادراً على القراءة، بينما هناك أطفال «أسوياء» لا يقرؤون ..

وأوردت السيدة المحاضرة قائمة طويلة بما لديهم في هذا المركز من كتب ـ وأهدتنا هذه القائمة وتضم عناوين خاصة بالمتخلفين لغوياً، والمتأخرين في تعلم القراءة، ولقصار النظر، وللأقليات التي تتحدث بلغة خاصة بها .. وهي تحتوي على أغان، وأشعار، وحكايات شعبية وما إلى ذلك .. وهناك كتب مصورة، مكتوبة بلغة الإشارة، بجانب كتب للمتخلفين عقلياً، ولفاقدي البصر والبطيئي التعلم .. بجانب كتب ناطقة ـ أي مسجلة على شرائط ـ فضلاً عن دراسات إضافية وبحوث حول الكتب والمعوقين .. وقد افتتح هذا المركز عام ١٩٨٦م، وهو يقدم الاستشارات للأسر التي لديها أطفال معوقون، وللمعلمات والمعلمين في المدارس الخاصة بهم، وأيضاً للمؤلفين والناشرين وأمناء المكتبات وللصحافة وأجهزة الإعلام .. وفي المركز كتب من أربعين دولة .

واختارت المحاضرة عدداً من هذه الكتب لتكون موضع حديثها .. وقدمت كتاباً من تأليف مارتا تكانين عنوانه (أونسكانز تراد) ويروي حكاية الطفلة مارا التي ما إن

عادت إلى البيت حتى دخلت غرفتها وراحت تبني نموذجًا لسيارة، ونسيت طعامها، وظلت في عملها هذا إلى أن أنجزته على مدى اليوم، وخرجت بهذا النموذج لتريه لأخيها، وكانت المفاجأة الضخمة لهذا الأخ أن الإرشادات الموجودة مع رسوم النموذج مكتوبة باللغة اليابانية التي لا تعرف أخته كلمة واحدة منها، ممّا يعني أن هناك من هم قادرون على قراءة التصميمات والرسوم بدقة، وتنفيذها ... وعندما انتهت من تركيبها رأت أن تطليها باللون اللازوردي .. والطفلة مارتا لا تستطيع أن تقرأ الترجمات الخاصة بالأفلام على الشاشة الصغيرة لكنها دربت نفسها على فهم ما يقال من طريق النطق به، بل هي تفهم أحاديث المتكلمين بلغات لا تعرفها، وتترجمها، ولتقول لأمها وأخيها موضوع تلك الأحاديث!.

ثم أشارت السيدة سيسل إلى قصة «موكوكا» التي عاشت في قرية صغيرة في زامبيا، ثم أصيبت بمرض جعلها معوقة، وانتقلت بها أسرتها إلى مدينة صغيرة بحثًا عن فرصة للتعليم تعينها على تحدي إعاقتها .. وتستكمل القصة نضال الصغيرة لكي تعيش حياة أفضل، وقد روت هذه الحكاية كاتبة من النرويج، تدفع إليها الحكومة مكافآت سخية، لكي تكتب للمعوقين وكل كتبها صور ملونة، أو رسوم يستطيع الأميون أن يتفهموها ويستوعبوها، وهي قد تحتوى على كلمة أو عبارة قصيرة أو جملة بسيطة تحتها لمن يستطيعون «فك الخط»!..

وهناك كاتبة أخرى هي «أنيتا ديسان» تكتب للمتخلفين عقليًا حكايات بسيطة، وتعطي جانبًا لفاقدي البصر في أعمالها الأدبية .. ولخصت واحدة من أعمالها عن دمية، بلا شعر، رآها خروف صغير، وسخر منها لأنها صلعاء، وأشار عليها أن تتخذ شعرًا مثل صوفه، فذهبت إلى المدينة واشترت شعرًا مستعارًا «باروكة»، وعندما عادت وجدت من يقول لها: ما هذا الشعر المجعد؟ الأفضل أن يكون شعرك مرسلاً، لكن عندما عادت به لم يرض عنه الأرنب، وطلب إليها أن يكون شعرها ناعمًا مثله، فاستجابت ورجعت ليقول لها الثعلب: إن فراءه أجمل، وأن الشعر الطويل يناسبها أكثر.. وهكذا إلى أن رآها واحد من الدمى، وقال لها: ألا تشعرين بالحر مع هذا الشعر المستعار، ونصحها أن تتخلص منه، فعادت كما كانت وأبدى إعجابه الشديد بها ـ صلعاء ـ وسعدت بمن أحبها كما هي!

وكانت ورشة العمل هذه فرصة لنا لنكشف عما في تراثنا عن المعوقين عامة، وفاقدي البصر خاصة، وتحدثنا طويلاً عن أبي العلاء المعري وبشار بن برد، وأيضًا عن د. طه حسين، الذي ترجم كتابه «الأيام» إلى عدد من لغات العالم، وكتب بطريقة بريل، ورأينا في صدر معرض ميونخ لكتب الأطفال، في نافذة زجاجية خاصة به، سلطت عليها الأضواء من كل جانب، ووضعت بجوارها سيرة الكاتب الأديب، ورئيس الجامعة، وزير التعليم .. ولم يفتنا أن نشير إلى نكت العميان التراثية الشهيرة، فضلاً عن حديث طويل عن أبي العيناء، وامتد كلامنا إلى الموسيقيين عثمان الملا الموصلي، وسيد مكاوي، والشيخ إمام ... وأيامها وقع معي حادث غاية في الطرافة، في مصعد الإذاعة، وكاد يودي بنا، ذلك أن سيد مكاوي كان بيننا، وقال له واحد ممن معنا: شيخ سيد، الشيخ إمام يبعث بتحياته إليك، صمت سيد مكاوي قليلاً، قبل أن يقول: ـ سلم عليه، وقل له: إن الفن ليس «عمى» فقط! وضحكنا كما نضحك في عمرنا، وراح بعضنا يضرب بأقدامه على أرض المصعد، ممّا كان يمكن أن يتسبب في سقوطه، واضطر العامل إلى إيقافه..

**رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة ليست وليدة حنان وعطف وشفقة، وليس استثمارًا أو استغلالاً للمشاعر الفياضة تجاههم، وإنما هي حق لهم، وواجب على من نراهم «أسوياء»**

وكان تعليق السيدة سيسيل: هذا تراث خصب اكتبوه للأطفال، وأعيدوا صياغته، وأضيفوا إليه، وترجموه وابعثوا به إلينا .. كم هو في حاجة إليه أدب الأطفال العالمي !.

# المخطوطات العربية في باكو

**عائدة قاسم شاهلار**

باكو - آذربيجان

**باكو من مدن العالم الموغلة في القدم، التي كأن كل شارع من شوارعها وكل بناية من بناياتها يتكلم، ويخبرنا عن حوادث الماضي المثيرة، وكوارثه المدهشة، وعن بلايا الشعب الآذري الذي عدت عليه العوادي، وعانى كثيراً خلال تاريخه الدامي، الشعب الذي ميزته التقاليد المجيدة القيمة، والحضارة النبيلة السامية.**

ثمة بناية في شارع «الاستقلالية» شيدت على الأسلوب القديم (الكلاسيكي) لا تتميز بفرق كبير من البنايات المجاورة والآثار المعمارية الأخرى، ولها أهمية بالغة لدراسة تاريخ الرقي المعنوي للشعب الأذربيجاني. هذه هي البناية الحالية لمعهد المخطوطات لأكاديمية العلوم لجمهورية آذربيجان.

تجاورها بناية أخرى تنبهر النفوس والقلوب من رؤيتها، إذ تجمع بين الأناقة الرائعة والفخامة السامية، تلك هي «البناية الإسماعيلية»، هكذا يسمى هذا النموذج المعماري الرائع الذي قد مضى أكثر من مئة عام على إنشائه، وهي تعدّ من المعالم الرئيسة للمدينة. بناها موسى نقييوف - صاحب المليارات في

مخطوطة القصيدة الشاطبية تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري

بداية القرن العشرين، وكان واحداً من ملوك النفط قبل العهد السوفييتي. وكان إخراج النفط وصناعته يتجمعان في يديه وفي أيدي أصحاب رأس المال


الأثر الإسلامي واضح في معالم باكو

الآخـرين أمثـال: الحـاج زين العابدين نقيـيوف، والأخوين نُوبيل اللذين أسسا فيما بعد الجائزة المعروفة، وغيرهم من أهل الثراء.

كان موسى نقيـيوف إنسانًا غنيًا وفي الوقت نفسه إنسانًا شقـيًا جدًا؛ إذ مات ابنه إسماعيل في ريعان شبابه من علة السل، وأخذ الأب المحزون في إنشاء بناية فخمة لتخليد اسم ابنه الراحل، وسماها «الإسماعيلية».

وفيما بعد في أثناء الحكم البلشفي الذي صادر جميع أملاك موسى نقييوف أصبحت الإسماعيلية مكانًا لصيانة المخطوطات القديمة التي توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل على مرّ السنوات والعصور، وكادت تُمْحَق محقًا نهائيًا على أيدي الثوريين الشيوعيين الذين شنّوا حربًا عنيدة ضد التراث والحضارة القديمين.

هكذا أصبحت هاتان البنايتان شاهدتي العيان الحيويتين على تطور آذربيجان الثقافي.

وبعد حصول الشيوعيين على الحكم في آذربيجان، سرعان ما أصبحت البناية المجاورة للبناية الإسماعيلية مكانًا جمعت فيه مخطوطات أكاديمية العلوم.

قبل أن أتحدث عن المخطوطات القديمة وعن اقتناء أبناء الأمة البررة لها وحفظها وصيانتها أتناول بعض مراحل تاريخ آذربيجان، وعلى وجه التحديد تاريخها في مستهل القرن العشرين - هذه الحقبة المظلمة التي أصبح الشعب الآذريّ فيها مهددًا بفقدان هويته وتقاليده الثقافية القديمة.

## رحلة إلى التاريخ

شهدت بدايات القرن العشرين تفتح الوعي القومي، وتبلوره لدى الشعوب المسلمة فيما وراء القوقاز وآسيا الوسطى نتيجة حصول هذه الشعوب، ولو لمدة قصيرة، على حريتها واستقلالها بعد انهيار النظام القيصري في

فبراير/شباط عام ١٩١٧م، وهو الذي بعث موجة عارمة من الحركات التحررية القومية التي نضجت في خضمّها أحزاب سياسية مختلفة بشتى الأهداف والمبادئ والأفكار، وقدمت أغلبيتها شعارات الحرية، وتقرير الشعوب لمصيرها. منها حزب المساواة في آذربيجان الذي كان أكثر نشاطًا بين الأحزاب المتعددة، وكذلك كثر نظام أصحاب الفكر البلشفي في الأراضي المنسلخة عن القيصرية وازداد نشاطهم، واستطاعوا بشعاراتهم الخادعة التي كانت تستر أفكارهم العدوانية ومبادئهم الرجعية لفت أنظار الكادحين الذين عانوا كثيرًا من ظلم القيصر، ورأوا بصيصًا من الأمل في أفكار الشيوعيين. وترّهات



حميد آرسلي

مدخل أحد المساجد

الأمل هذه دفعت الكادحين في روسيا إلى تأييد الحزب البلشفي في نضاله لأجل الحكم والسطوة اللذين أحرزها في ٢٥ أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩١٧م، ولكن على عكس ما كانوا يصورونه للناس من آمال وأحلام حلوة ما كاد يستقر سلطان الشيوعيين على روسيا حتى استمروا في سياسة القيصر الاستعمارية، وما تركوا أي وسيلة لإعادة الحكم في المستعمرات السابقة، بما فيها في البلدان المسلمة مثل آذربيجان ووسط آسيا وقد اتّكؤوا في مشروعاهم الخبيثة هذه على القوى المحلية التي مالت إلى الشيوعية التي - يا للأسف - كانت تضحّي أحيانًا بالمصالح القومية من أجل المصالح السياسية الحزبية.

أصبحت هذه السنوات سنوات المكايد القبيحة ضد القوى الديموقراطية القومية وضد الشعب الآذريّ عامة، التي دبّرها الشيوعيون الروس وأتباعهم وأذنابهم من الدَّشْنَقيين الأرمن. وهؤلاء الآخرون قد اشتهروا آنذاك بأعمالهم الإرهابية التي كانت تمت بصلة عضوية حية إلى مشروعات الشيوعيين الروس بقيادة لينين، المشروعات الشديدة القاسية الهادفة إلى طمس الذاكرة، ومحو الهوية، وغسل جميع ما يربط الشعوب المسلمة بماضيها المجيد.

وكان زعيم الإرهابيين ستالين الذي كان الساعد الأيمن للينين فيما وراء القوقاز والذي برع في قتل آلاف المسلمين وإبادتهم بالجملة، ونصبت المشانق في شَاماخي وباكو وقتل عشرات الآلاف من الناس وبينهم الأطفال والشيوخ والنساء، قتلوا بأقسى الطرائق الوحشية، وكثيرًا ما أحرقوا في المساجد - ملجئهم الأخير هذا، وكان الغرض من هذه النكالات القاسية هو تخويف الشعب الآذريّ الذي قد بدا يخطو في طريق الحرية خطوات حاسمة متينة معتمدًا على البلدان المسلمة ولاسيما على تركيا الشقيقة التي اندفعت لنجدة مسلمي آذربيجان، وكافح الأتراك والآذريون كتفًا إلى كتف في النضال ضد الإرهابيين الروس والأرمن.

سرعان ما أثمر هذا النضال ثمراته، إذ أقيمت في آذربيجان في مايو/أيار عام ١٩١٨م حكومة مستقلة



منظر عام لباكو ويظهر متحف نيزامي

بقيادة زعيم حزب المساواة محمد أمين رسولزاده، وأطلق على هذه الحكومة اسم «جمهورية آذربيجان الديمقراطية»(١).

واندهش الحكم البلشفي في روسيا من انتصار القوى الديمقراطية في آذربيجان، وبذل قصارى الجهود لقمع الحكومة الديمقراطية فيها، واتفق البلاشفة وأذنابهم من الأرمن ضد آذربيجان واستؤنفت النكالات والاضطهادات ضد السكان الآمنين. وكل هذا لإعادة آذربيجان من جديد إلى استعمار روسيا، وأخذت تكثف الضبابات السوداء على سماء آذربيجان وتحيك المؤامرات والدسائس ضد الشعب الآذريّ المسلم، وانتهى الأمر بهجوم الشيوعيين الروس بقيادة الجيش الأحمر الحادي عشر على باكو، الذي قضى فيها على الحكومة الديمقراطية قضاء مبرماً، هكذا خابت الآمال، وأُخمدت رغبات الشعب الآذريّ الظمآن إلى الحرية والاستقلال. وأصبحت آذربيجان من جديد تحت وطأة عدوها اللدود ـ

**ما عانت آذربيجان بكونها دولة مستعمرة باستنزاف ثرواتها فحسب، بل تألمت وتأذت من اجتياح مثقفيها نتيجة عمليات النكال التي مارسها الشيوعيون**

المستعمر الروسي الذي كان ينطلق في هذه المرة من منطلق شعارات الاشتراكية والشيوعية. وأهرقت في شوارع باكو دماء الأبرار وشهدت البنايات الجامدة على همجية البلاشفة الروس ووحشيتهم التي لا مثيل لهما.

وقامت هذه السلطة الشيطانية بأولى خطواتها بالاضطهاد المعنوي ضد الشعب الآذريّ، وبالدعايات الشيوعية الهادفة إلى تكوين مجتمع منعزل عن جميع العالم، وإلى ابتعاد الناس عن جذورهم الأصلية، وإلى

غسل ذاكرتهم، وإلى نسيانهم هويتهم وقيمهم المعنوية القديمة.

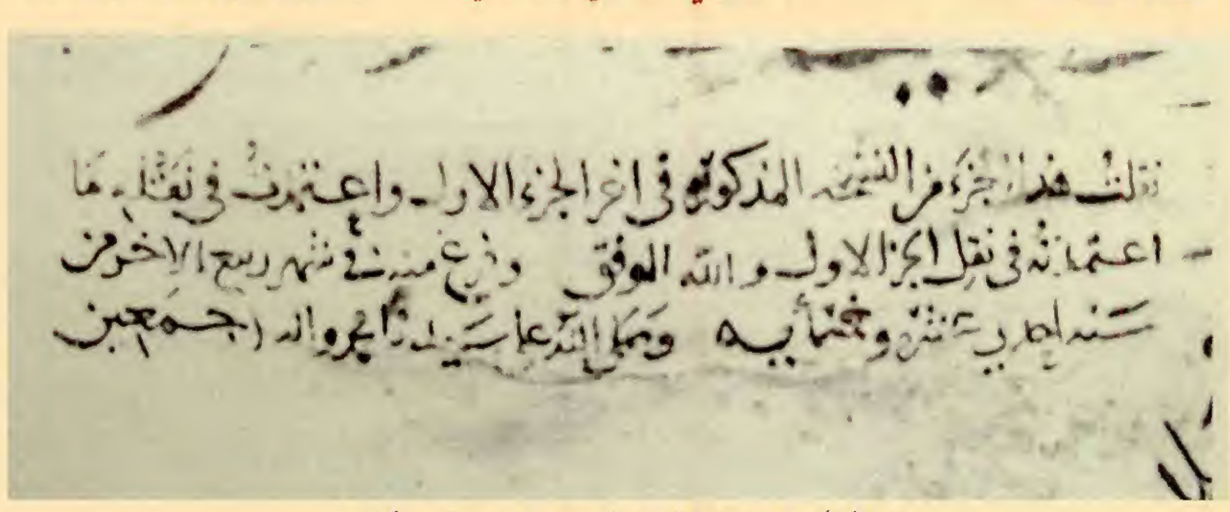
وخلال ٧٠ سنة استطاعت مكنات الدعاية الشيوعية القوية التي كانت دائرتها واسعة تشمل جميع طبقات الناس. ويمكن القول: إن هذه الدعايات الملفقة قد أحرزت بعض «النجاحات» إذ فرضت على الناس بعض الأفكار الباطلة وليس من باب المصادفة أن أعدى أعداء الشعب أمثال لينين وستالين وغيرهما، أصبح «صديقًا مخلصًا» و«منقذًا حقيقيًا» للأمة، نُصبت لهم التماثيل في أبرز شوارع مدن آذربيجان وميادينها، وتسمت الجامعات والمدارس والمستشفيات والمؤسسات الأخرى بأسمائهم، وأثنى عليهم في الأشعار والروايات، ولكن التاريخ لا ينسى قديمًا وجديدًا، ولا تطمس الذاكرة الدموية، وأخفقت هذه الدعايات الكاذبة الخداعة بأسرها في لمحة واحدة عقب انحطاط الإمبراطورية السوفييتية، وأصبحت هذه التماثيل التي نصبت في الشوارع والميادين ألعوبة يلهو بها الأطفال في الشوارع، وتحطمت وتهدمت بأيدي الشعب الذي تحرر مرة أخرى من قيود العبودية.

## سياسة ذات الوجهين

ما إن استقر حكم الشيوعيين في روسيا حتى أقاموا عدة ندوات دعائية لكي يستروا الوجه القبيح لحكمهم الرجعي ومرسوماتهم المسماة «تقرير الشعوب مصيرها» و«حرية المعتقدات» التي كانت مراءاة ولم تدم مدة طويلة حتى بدأت النكالات والاضطهادات الأكثر قسوة وشدة مما كانت عليه في الحقبة القيصرية.

ما عانت آذربيجان بكونها دولة مستعمرة باستنزاف ثرواتها من النفط والغاز والحديد الخام والذهب والفضة، وكذلك ثمرات الزراعة من القطن والعنب فحسب، بل تألمت وتأذت من اجتياح مثقفيها نتيجة عمليات النكال التي لم يكن لها مثيل بقسوتها وجورها. وبدأت هذه النكالات والإرهابات المدهشة الهادفة إلى تغيير العقائد التي درجت عليها الأمة عصوراً بعد عصور في عهد لينين وأدام سياسته القاسية هذه خلفه ستالين الذي برع في هذا الأمر إلى درجة عالية حتى عُرفت سنوات حكمه في الإمبراطورية السوفييتية - السنوات التي دامت أكثر من ٣٠ عاماً - بعهد النكالات الذي ساد فيه الظلام، وتحكم الظلم والقوة، وبالعهد الذي قُمعت فيه الآمال

**هذه القلة القليلة من المخطوطات تظهر لنا التراث الثقافي الكبير للشعب الآذريّ، وتبرز علاقاته الوطيدة بالعالم الإسلامي، والورقات الجامدة للمخطوطات شاهد حي علي تاريخ الشعب الآذريّ الثقافي والعلمي**



الورقة الأخيرة من مخطوط الصحاح للجوهري الذي يرجع إلى سنة ٥١١هـ



إحدى المخطوطات في المعهد

العالية، واقتلعت من جذورها الأفكار النبيلة واجتيحت الطبقة الراقية في المجتمع من المثقفين والشعراء والأدباء ورجالات الدين، وكانت تتكئ سياسة هذا النظام في التعاون والتعامل مع المثقفين على التخويف والترهيب والإبادة والنفي. فمنهم من أعدم أو زُج في غياهب السجن، ومنهم من لقي حتفه في منافي سيبيريا.

لم يكتف النظام السوفييتي في سياسته تجاه الأحرار والأبرار بقتلهم ونفيهم، بل شوّه اسمهم ومرّغت سمعتهم بالأراجيف والاتهامات الملفقة ووسموا بألقاب مثل: «عدوالشعب» و«خائن الوطن» هذه التسميات كانت أشدّ على المتهمين من القتل والنفي، إذ لم يعان منها هم أنفسهم فقط، بل أولادهم وأقاربهم بالحبس والنفي، وكذلك مؤلفاتهم التي تعرضت للتحريم والحظر والحرق، ولاقت مساجدهم ومعابدهم وكنائسهم وديورهم الويلات. إذ هم رجالات الدين من الأشياخ والرهبان والخوارنة والقسوس، بالتحريق والتدمير والتحطيم، وتألمت من الإرهاب الأحمر جميع الشعوب: الروس، والبلروس، والأكرين، والأمم المسلمة في القوقاز ووسط آسيا. بما فيها الشعب الآذربيجاني الذي عانى كثيراً من جور الشيوعيين وظلمهم، واتهم أبرز أبنائه بشتى الاتهامات، منهم حسين جاود، وأحمد جواد، وميكائيل مُشفِق، وعلي رضى شامْجيزادَه، وعمر فائق نعمانزاده، وسليمان ممتاز، ويوسف وزير جَـمَنزَمِـيْنلي الذين كانوا من الأصوات المدوية للأدب الآذري آنذاك، ولهم إسهامات كبيرة في رقي الوعي والمعرفة والثقافة الآذريّة، وكذلك في الحفاظ على تراثنا القديم وصيانته(٢).

ما دمنا بصدد الاضطهاد المعنوي في العهد البلشفي، فلابد لنا من ذكر أن البلاشفة كانوا يحتذون حذو ماركس الذي سمّى الدين «أفيونًا» للشعب وكان زعيمهم «لينين» يمتاز بكفره وإلحاده، ولكنهم لم يحاربوا

المعتقدات والإيمان في بداية حكمهم لكي ينالوا تأييد المؤمنين ودعمهم، بل وجهوا النداءات المنافقة المرائية أمثال إلى «الكادحين المسلمين لروسيا والشرق»، أو إلى «جميع مسلمي الشرق» وكانوا قد التزموا حماية المسلمين وعنايتهم بمشكلاتهم المتعددة، ومع كل الأسف علينا أن نشير إلى أنهم نسوا وعودهم، وعهودهم وحينما استقرت وتعززت سطوتهم على البلدان المسلمة نصب النظام البلشفي لرجالات الدين حرباً لا هوادة فيها، وزُجَّ كثير منهم في غياهب السجون، ولقي بعضهم حتفه في منافي سيبيريا، وأعدم بعضهم الآخرون، وحُرمت قراءة الكتب المقدسة(٣). وبذل البلاشفة قصارى جهودهم لطمس الذاكرة الدينية، ولقمع الأفكار النبيلة، ولإبادة الهويات، ولنزع الناس من جذورهم وأموالهم. ومن جراء مكايدهم ونكالاتهم التي كانت تخدم غاياتهم الباطلة احترقت الكتب القديمة والمخطوطات القيمة التي كانت تربط الشعوب بماضيها وتاريخها ومعتقداتها. كذلك شهدت شوارع باكو ـ هذه المدينة المسلمة في القوقاز المحارق المتعددة للكتب والمخطوطات القيمة.

وأخدع خطوة تلت هذه الخطوات الشيطانية كانت تبديل الحروف العربية بالحروف اللاتينية في البلدان المسلمة للاتحاد السوفييتي، وتبديل الحروف مرة أخرى من اللاتينية إلى الروسية، هكذا خلال فترة قصيرة غيرت الحروف مرتين، وكانت هذه الخطوة الحِيليّة تعني إبادة التراث القديم ومحوه ومحقه من المخطوطات والمطبوعات القديمة للأجيال الناشئة التي ما استطاعت قراءتها، وكل هذه المؤامرات لإقامة مجتمع منعزل عن جميع العالم ومنطو على الدعايات الباطلة الكاذبة.

إننا لا نبعد عن الحقيقة إذا زعمنا أنه في مثل هذه الحقبة المدهشة حقًا كانت كل خطوة في سبيل تأسيس رصيد المخطوطات وجمعها وحفظها وصيانتها والمحافظة على التراث القديم بسالةً لا مثيل لها.

## تأسيس رصيد المخطوطات

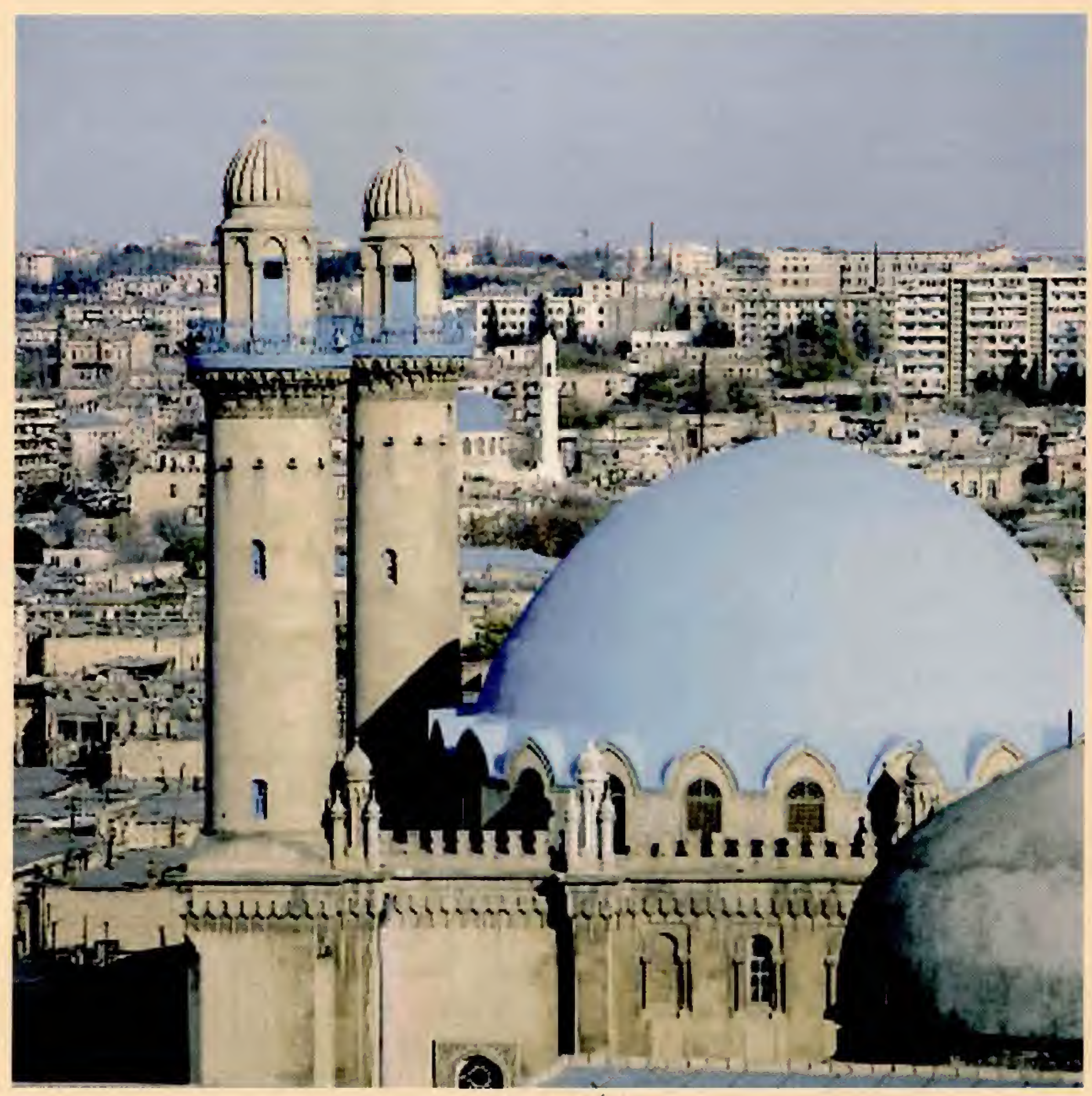
إن الشعب الآذريّ الذي هداه الله تعالى إلى سواء السبيل، وأنار طريقه بنور الإسلام منذ خمسينيات القرن السابع الميلادي لم يبق بمعزل عن موجة الحضارة الإسلامية، بل أسهم إسهاماً ملموساً في نموها ورقيها.



من المنمنمات العربية

يكفينا أن نذكر ما قاله ابن قتيبة لكي نفهم دور الآذريين في إرساء أسس الثقافة العربية الإسلامية: «ليس بالمدينة شاعر من الموالي إلا وأصله من آذربيجان»(٤).

كان أبناء آذربيجان يتلقون العلوم على أيدي العلماء العرب ويتقنون العربية، ويعبرون بها عن أفكارهم وأحاسيسهم ويبرعون في أخذ العلم والثقافة عن العلماء، هكذا شأن خطيب التبريزي الذي تعلم مختلف العلوم عند ابي العلاء المعري، وفيما بعد أصبح إماماً من أئمة العلم والأدب في عصره. ومن جراء هذا التخالط الثقافي صار العلماء والأدباء والفلاسفة الآذريون أمثال: الخطيب التبريزي، ونظامي، وفضولي، ونسيمي، وعين



أحد مساجد باكو

القضاة الهمذان، وشهاب الدين السهروردي، وعمر السهروردي، وعباس قولي آغا باكيخانوف، وغيرهم من أبرز ممثلي الثقافة الإسلامية، ولهم قسطهم الوافر في ازدهارها.

ومدن آذربيجان أمثال: باكو، وشامخي، وكنجة، وبردعة، وتبريز، وماراغة، كانت تعد من مراكز العلم والحضارة بمكتباتها ومدارسها حيث تحفظ النماذج القيمة من الكتب المخطوطة من مؤلفات كبار العلماء والأدباء والشعراء المسلمين، وكذلك بيوت الأعيان كانت حافلة بها فهم يجلبونها من البلدان البعيدة من أثناء زيارتهم لها بسبب الحج أو التجارة أو المقاصد الأخرى(٥).

وسرعان ما بدأ الكتبة الآذريون أنفسهم يتبارون في نسخ المؤلفات القيمة. هكذا أصبحت خزائن الكتب حافلة بالروائع الأنيقة للمخطوطات القديمة.

وقد أصبح هذا التراث القديم في خطر كبير عندما استولى البلاشفة على الحكم في آذربيجان، وأخذوا في طمس ذاكرة الشعب وإبعاده عن أصوله الدينية وتراثه الثقافي، ونصبت المحارق للكتب القديمة، وأبيدت المخطوطات القيمة، وهذا ما أدّى إلى أن المثقفين الآذريين بدؤوا يقلقون على مصير التراث القديم، وبذلوا الجهود لحفظه وصيانته وفي هذا السبيل الشاق تحققت بعض الأعمال المفيدة بفضل أبناء الشعب الآذريّ - أرباب المناصب في النظام الشيوعي الذين استفادوا من وظيفتهم فحاولوا أن يدبروا الأعمال لنفع الوطن وبفضلهم عُقد في سبتمبر/أيلول ١٩٢٤م في باكو مؤتمر العلماء الدارسين أحوال البلد وتاريخه، وقرر هذا المؤتمر جمع المخطوطات والمطبوعات القديمة وحفظها في مركز واحد للحيلولة دون إبادتها النهائية وابتداء من هذا الوقت بدأ جمع المخطوطات وحفظها في رصيد المخطوطات، وازداد عددها يومًا بعد آخر، وكانت تشكل نواة هذه الذخيرة المجموعات الشخصية لكبار العلماء والأدباء أمثال: عباس قولي آغا باكيخانوف، ومير محسن نوّاب، وميرزا فتح علي آخوندوف، وحسين أفندي غائبوف، ومهمان ميرزا وغيرهم. وجُلبت إلى هذه الخزانة المخطوطات والمطبوعات القديمة، وبعض صور المخطوطات القيمة، والوثائق التاريخية من مختلف المكتبات، ومؤسسات العلم والحضارة(٦). وعلى مر الأعوام والسنين أصبح جمع المخطوطات أكثر نشاطًا وثمرة نتيجة استجلاب الأهالي إلى هذا العمل النبيل، واستخدام قواها وجهودها لبلوغ هذه الغاية السامية، وتحقيق المآرب العالية الهادفة إلى صيانة هوية الشعب المعنوية، فبدأ الناس يقدّمون المخطوطات المحفوظة عندهم للخزانة إما مجانًا، وإما مقابل مكافأة رمزية، هكذا ازدادت المخطوطات يومًا بعد آخر عددًا. واحتوت المكتبة مؤلفات فحول العلماء والشعراء والأدباء للعالم الإسلامي، أمثال: ابن سيناء، والطبري، والبيضاوي، والطوسي، والمتنبي، وابي العلاء المعري، ونظامي، وفضولي، وابن خلدون، وجلال الدين الرومي، وأئمة العلم والأدب الآخرين. كانت ولاتزال هذه المخطوطات تحفظ في الخزانة بعناية مع إصلاحها، وتكميل ما سقط أو طمس من أوراقها حتى تخرج إلى عالم النور لكي يقف الشعب على تراثه القديم عن قريب.

إن الرصيد الغني الحالي للمخطوطات القديمة هو برهان ساطع على قدرة الشعب على الحفاظ على تراثه القديم.



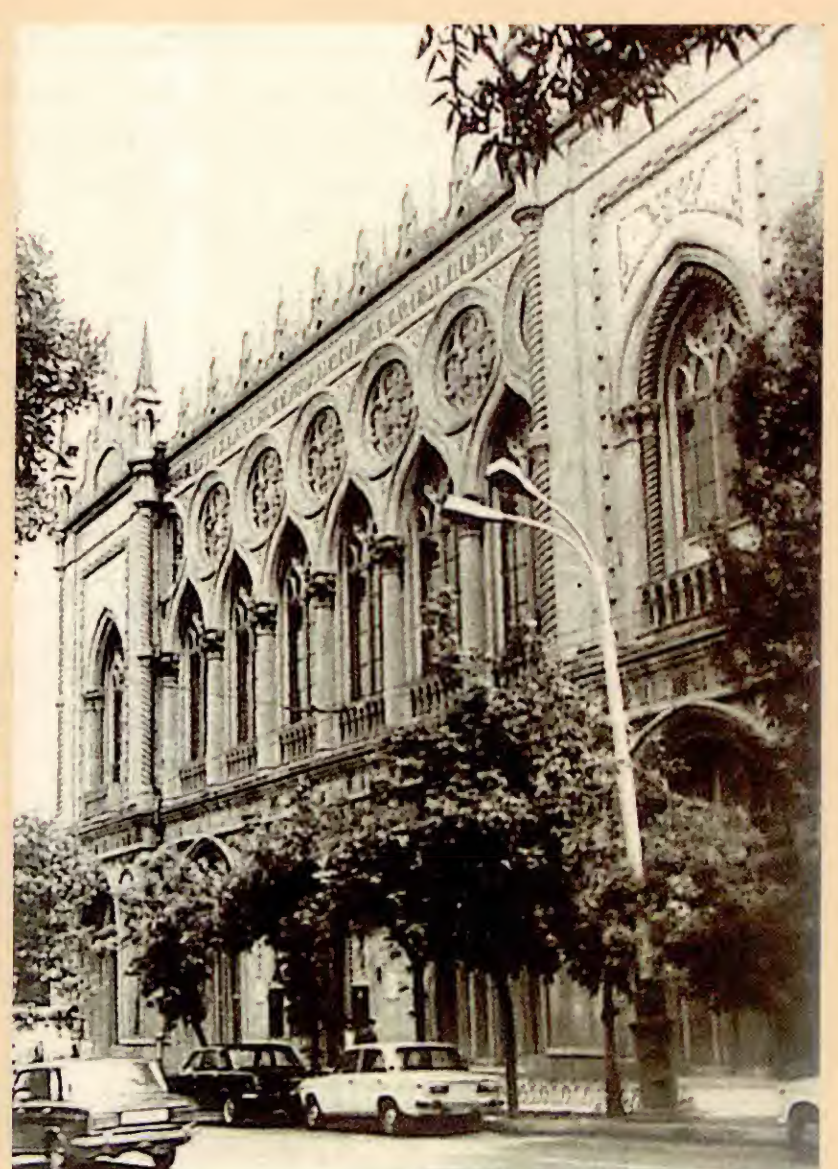
كماندار شريفوف مدير شعبة المخطوطات العربية

**كانت مدن آذربيجان أمثال: باكو وشامخي وكنجة وبردعة وتبريز وماراغة مراكز علم وحضارة بمكتباتها ومدارسها وكبار علمائها وأدبائها**

في سنة ١٩٨٦م قرر مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي تشكيل معهد المخطوطات على أساس خزانة المخطوطات لأكاديمية العلوم لآذربيجان.

وينبغي لنا ألاّ ننسى أن خزانة المخطوطات، وفيما بعد معهد المخطوطات لم يشتهرا بصيانة المخطوطات القيمة فحسب، بل بحفظ تلك الكوكبة الوهّاجة من فحول العلماء ورجالات الدولة - حفّاظ الأهداف السامية المتجهة إلى صفاء المعتقدات وعلاء الغايات والتي نضجت وترعرعت في حضنها. وربما يعود الفضل في هذا الأمر أيضًا إلى المصادر القديمة الحافلة بالأفكار النبيلة والغايات العالية.

ومنهم حميد آرسلِي الذي له فضل كبير في وضع بذور صيانة التراث القديم بتشكيل رصيد المخطوطات وإرساء دعائمه ومنذ سنوات دراسته في معهد المعلمين ولع بالمخطوطات والمطبوعات


البناية الإسماعيلية

ودراسة التراث القومي.

يقال: إنه كان يجلب إلى هذا العمل النبيل طلاب معهد المعلمين، وكان يعطي بعض الجوائز لمن قدّم مخطوطًا قيمًا للخزانة، وقد أعطى ساعة يده لأحد الطلاب وأشياءه القيمة الأخرى للآخرين التي كانت تحفز الطلاب إلى بذل المزيد في هذا الشأن. كما أن اقتناء بعض الأشياء العائدة للأستاذ المحترم التي ستبقى تذكارًا عند من يقدم مخطوطة كانت حافزًا آخر للناس.

وكان حميد آرسلي، هذا الموظف السوفييتي مرتبطًا ارتباطًا أوثق بدين الإسلام، وموصولاً بهواجسه ومشاعره بثقافة الشرق، وكان ضليعًا في العربية، متبحرًا في الآداب متمكنًا في العلوم الإسلامية، إذ كان أبوه آخُنْد محمد تقي أرسزاده من الأشياخ البارزين في مستهل القرن العشرين وهنا لا يسعنا إلا أن نذكر أن حميد آرسلي أصبح فيما بعد من الرجالات البارزين في العالم الإسلامي، وانتخب عضوًا فخريًا لأكاديمية العلوم في العراق وعضوًا حقيقيًا للمجمع الملكي في الأردن.

ومن العلماء المشاهير الذين ترعرعوا بين جدران رصيد المخطوطات ضياء الدين بنياتوف ـ الأكاديمي الراحل الذي كان من مترجمي كتابنا المقدس إلى اللغة الآذرية، وكان اهتمامه بالمخطوطات العربية وبدراستها كبيرًا جدًا يكفينا أن نذكر أنه ترجم إلى الروسية المقالة العاشرة (أو الثلاثين) للزهراوي ـ هذا الزخرف القيم للطب الإسلامي في القرون الوسطى. بين هذه الكوكبة من العلماء جهانكير قهرامانوف، الدكتور الراحل الذي أسهم كذلك بقسط

القديمة التي كانت تخبر عن تاريخ الشعب المعنوي وارتباطه بالحضارة الإسلامية. ولكونه شابًا مفعمًا بروح الشرق وثقافته وذوقه جذبته رغبته الملحة في معالجة الأصول المعنوية لشعبه إلى شعبة المخطوطات لأكاديمية العلوم لآذربيجان وسرعان ما أصبح مديرًا لهذه الشعبة(٧).

أسهم حميد آرَسْلي إسهامًا بالغًا في أعمال جمع المخطوطات العتيقة وفي تأسيس خزانة المخطوطات

وافر في حقل المخطوطات ودراستها، وكان مشغوفًا بالمخطوطات، ويبذل قصارى الجهود لصيانتها ونشرها وقد رأس مدة طويلة معهد المخطوطات، وبفضله ظهر إلى عالم النور المجلد الأول لسجل المخطوطات العربية(٨).

كذلك الراحل الدكتور أبو الفضل عليوف كان يشتغل في المعهد السوفييتي في قسم المخطوطات العربية، وله دور كبير في ارتقاء الحركة التحررية في آذربيجان. كان يواجه النظام السوفييتي وكان منشقًا عنه، ويناضل لأجل حرية الشعب الآذري وخلاصه من قبضات النظام الرجعي، ولأجل تحطيم كل قيد يعوق الشعب الآذري عن النمو المعنوي وعانى كثيرًا في سبيل هذه الأهداف



الورقة الأولى من ديوان المتنبي - النسخة المذهبة

السامية حتى زج في غياهب السجن وفيما بعد أصبح زعيم الحركة التحررية في آذربيجان وأول رئيس لجمهورية آذربيجان بعد استقلالها عقب انهيار الاتحاد السوفييتي وجهود هذا الإنسان البارز لن تضيع هباءً، ولن تذهب سدى.

إذا حاولنا أن نتحدث عن العلماء الذين ترعرعوا بين جدران رصيد المخطوطات فهم كثيرون ولا يسع هذا المقال لذلك. ونقول: أن هذا المعبد العلمي يرأسه في الوقت الحاضر محمد عادلوف الذي يبذل كل ما في وسعه لجمع المخطوطات وحفظها وكذلك خروجها إلى عالم النور. إن هذا الإنسان المجتهد يمكن تسميته خادم هذا الحرم المقدس - معبد التراث والثقافة، وكذلك لكاماندار شريفوف - رئيس قسم المخطوطات العربية فضل كبير في صيانة النماذج القيمة من التراث العربي الإسلامي القديم ودراسته، بفضله نُشر المجلد الثاني لسجل المخطوطات العربية. وهو يبذل المزيد لدراسة المخطوطات العربية لكي تعطى لها حياة جديدة بالترجمة والنشر.

## المخطوطات العربية

عندما نتعرف دراسات العلماء العرب المعاصرين لمخطوط قديم يحيّرنا قولهم: إن المخطوط محفوظة نسخته المخطوطة في برلين أو لَيْدن أو لندن أو في مدينة أخرى من أوربا، بينما لا تُذكر النسخ الموجودة في باكو أو في مدن وسط آسيا التي كانت حقًا تعد في القرون الوسطى من أبرز مراكز العلم والحضارة الإسلامية وأشهرها. وقد حفظت ولا تزال في مكتبات باكو ومدن آسيا الوسطى المصادر المخطوطة على الرغم من محرمات النظام السوفييتي والجهود الهادفة إلى إبادتها لانفصال الشعوب المسلمة لهذه البلدان عن العالم الإسلامي. ومن جراء انحطاط هذا النظام ورفع الحجب الكثيفة وإزالة الحواجز التي كانت تفصل بين مسلمي الاتحاد السوفييتي وشعوب البلدان الإسلامية ظهرت حاجة ملحة إلى دراسة التراث القديم، بما فيها المخطوطات العربية.

لا يمكننا أن نغض النظر عن أن هذه الجهود الشيطانية التي اتجهت إلى محق التراث القديم وإبادته لم تنته بنجاح تام لأعداء الثقافة القديمة هؤلاء، ولا شك في أن المخطوطات العربية ضاعت أغلبيتها إلا قليلاً جداً، والمصادر التي وصلت إلى أيامنا هذه هي غيض من فيض، وقطرات من محيط التراث العظيم، ولكن هذه



مبنى معهد المخطوطات

القطرات القليلة تخبرنا عن ماضي شعبنا المجيد، وعن صلته بالوشائج الوطيدة بالعالم الثقافي الكبير للإسلام، وتؤكد هذا مرة أخرى عندما ننظر إلى المخطوطات المحفوظة في معهد المخطوطات لأكاديمية العلوم لأذربيجان، المخطوطات التي قد درس بعضها، وبعضها الآخر لا يزال بكراً، ولم تمسسه أيدي الباحثين بالمعالجة والترجمة.

أقدم مخطوطة من بين المخطوطات الثمينة القيمة هو عدة صفحات من المصحف الشريف، من سورة النساء التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري. عموماً مخطوطات القرآن الكريم ومطبوعاته القديمة من الآثار القيمة لهذا الرصيد وتاريخ نسخها وأنواع خطها مختلفة جداً، ومن بين هذه النسخ نماذج تعد آثاراً للصنعة الكتابية القيمة، إذ زُيِّنت بالزخارف والأرابسك والطلاء، ويلفت أنظارنا بعضها بأناقة دقتيه وزخارف هوامشها وتحفظ بعض النسخ من مخطوطات القرآن الكريم القيمة في قاعة الاستعراض لمعهد المخطوطات.

يجب أن نذكر أنه لدراسة المخطوطات العربية أهمية بالغة للتعرف إلى الوعي والمعتقدات والمستوى العلمي والثقافي لمثقفي آذربيجان في القرون الوسطى وتكثر بين هذه المخطوطات المؤلفات في حقل اللغة العربية والأدب العربي ودين الإسلام وعلوم الفلسفة والنجوم والكيمياء، وما إلى ذلك. وهذا مايدل على الاهتمام الكبير في آذربيجان بهذه العلوم.

إن أهمية اللغة العربية البالغة؛ لكونها لغة القرآن الكريم، وكذلك لغة العلم والثقافة في القرون الوسطى، كانت توجب على مثقفي آذربيجان حينئذ أن يتلقوا هذه اللغة لكي يستوعبوا المفاهيم العالية والأهداف السامية للقرآن الكريم، ولكي ينضموا إلى الحركة الثقافية العامة وأدى هذا الأمر إلى ازدياد المخطوطات وتكاثرها في حقل

العلوم، أمثال الصرف والنحو، وعلم اللغة. ودراسة العربية أصبحت أمراً واجباً للخروج من المحلية الضيقة إلى العالمية الواسعة.

من بين المؤلفات المتعددة في حقل اللغة العربية يلفت الانتباه «الصحاح» ـ المعجم الشهير لإسماعيل الجوهري الذي يعدّ من النسخ النادرة لخزانة المخطوطات. إذ كتبت هذه النسخة من الصحاح بعد أن مضى ١٠٠ سنة ونيف على وفاة إسماعيل الجوهري (١٠٠٥م) الذي حقًا بلغ فيه شأواً عالياً في حقل علم اللغة.

من المعلوم أن كتابة نسخ هذا المعجم بدأت في عهد الجوهري نفسه وعندما قام تلميذاه محمد النيسابوري وأبو سهل الحيروي بهذا العمل كان مؤلف «الصحاح» على قيد الحياة بعد. أما النسخة المخطوطة في باكو فهي كتبت بعد أن مضت ١١٠ سنوات على وفاة هذا اللغوي الشهير ويقع في أساس هذه النسخة النموذج الذي كتبه أبو سهل الحيروي المذكور آنفًا. أما الذي يعطي لهذا المعجم المخطوط أهمية خاصة فهو أنه توجد في هوامشه بعض التصحيحات والتعديلات والملاحظات للعالم الآذريّ البارز خطيب التبريزي الشهير. يذكرُ كاتبُ هذه النسخة علي بن عبدالحميد بن محمد في الصفحة ١٢٦ أنه نُسِخَ هذا الكتاب من النسخة التي كتبها أبو سهل الحيروي بيده، والتي صححها الخطيب التبريزي وعدّل بعض أخطائها الأمر اللافت للنظر هو أنه في هوامش هذا المخطوط توجد كذلك بعض الملاحظات لموهوب الجواليقي(٩) وهو لغوي من أسرة بغدادية قديمة، وكان معلماً في المدرسة النظامية (١٠٧٣ ـ ١١٤٤م)، وانعكست ملاحظاته في الصحاح تحت علامة «مو» فهي إشارة إلى اسم «موهوب».

فهناك أمر آخر يجدر ذكره هو أن الجواليقي كان من تلاميذ الخطيب التبريزي وهو نفسه كان مدرساً مدة في المدرسة النظامية(١٠) وإنْ أخذنا في الحسبان ارتباط كلا العالمين بالنظامية يمكن الاحتمال أن النسخة الباكوية للصحاح كتبت أو حفظت مدة بين جدران المدرسة المذكورة.

وكان صاحب هذا المخطوط محمد الشافعي، العالم الداغستاني الشهير الذي توفي في القرن (      ). وقد جاء بهذا المخطوط أجداده القدامى من دمشق. وفي الوقت الحاضر تحفظ هذه النسخة في رصيد المخطوطات.

وما دمنا بصدد الصحاح فنقول إن معجم الجوهري قد أثار موجة عارمة من المجادلات بين النحويين، ومنهم من أنكر أهمية هذا المعجم، ومنهم أثنى عليه وعدّه من أحسن المعجمات في حقل العربية. وفي النسخة الباكوية للصحاح في الصفحة الأولى عدة أبيات تعرض للجدال حول الصحاح، قائلها هو عبدالغني ابن إسماعيل المقدسي وهو يدافع من خلال هذه الأبيات عن الصحاح ويقوم ضد الأقاويل والخزعبلات التي تدعي أن الصحاح قد فقد أهميته وقيمته بعد ظهور القاموس المحيط للفيروزابادي(١١).


ضياالدين بنياتوف

مما يجدر ذكره أن الصحاح ونسخته المخطوطة المحفوظة في معهد المخطوطات قد لفتا ولا يزالان يلفتان أنظار الباحثين، وقد كتبت فيه الأطروحات، ومنها أطروحة المرشح للعلوم الموسومة «الكتاب المخطوط العربي للقرن الثاني عشر الميلادي: صحاح الجوهري في ضوء علم اللغة وعلم الكتب لمؤلفها خليوفا نيكَار مُقَدَّس بابيزوفُ وقد تناول في أطروحاته بعض الجوانب لهذا المخطوط.

هذا وتحفظ في خزانة الكتب لمعهد المخطوطات المعاجم الأخرى، منها «مفردات ألفاظ القرآن» للكسائي، و«القاموس المحيط» للفيروز ابادي .

وكثيراً ما نعثر على بعض مؤلفات ابن هشام النحوي كـ«الإعراب عن قواعد الإعراب»، وله أكثر من تسعين نسخة ويرجع تاريخ نسخ هذا الكتاب إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة. ربما كان هذا الكتاب آنذاك



صورة تاريخية لممثلي الشعب الآذري ترجع إلى بدايات القرن العشرين

كتاباً مدرسيًا لدراسة اللغة العربية. وفي رصيد المخطوطات كتب أخرى لابن هشام النحوي. منها «مغني اللبيب»، و«مثال موضع علم النحو» و«مجيب الندا إلى شرح قطر الندى».

من المؤلفات اللافتة للنظر في اللغة العربية «الهداية في النحو» لعبد الغني الغزنوي، و«العوامل المائة» لعبد القاهر الجرجاني، وهو لغوي من تلاميذ الفارسي. كذلك ثمة الأرجوزة الشهيرة لمالك بن عبدالله بن مالك (١٢٠٣ - ١٢٢٣) المسماة بـ «الألفية».

من المعلوم أنه قد كتب لهذه الأرجوزة كثير من الشروح ومن بينها الشرح المشهور لابن عقيل النحوي المسمى «شرح خلاصة الألفية» ومخطوطه كذلك يُحفظ في معهد المخطوطات.

ومما يثير الاهتمام من روائع خزانة المخطوطات «الأنموذج في النحو» للزمخشري بكثرة نسخها وشروحها، منها شرح عبدالغني الأردبيلي، وكان الأردبيلي عالمًا بارزًا ونحويًا شهيرًا لعهده ومتبحرًا في علوم الإلهيات(١٢) وشرح الأنموذج صار شهيرًا في القرون الوسطى، وأقدم النسخ لهذا الشرح محفوظة في خزانة المخطوطات هي النسخة التي كتبت في مدرسة مُلاّ أحمد القارامانلي(١٣) بيد الكاتب حاجي محمد بير محمد الصوفي ويعود تاريخها إلى سنة ١٠٨٨هـ. وكاتب النسخة القديمة الأخرى (سنة ١٠٩١هـ) عبدالكريم ولي بن محمد.

لا تتحدد المؤلفات المخطوطة للزمخشري في رصيد معهد المخطوطات «بالأنموذج» فقط.. بل هناك كتب مخطوطة أخرى له أمثال «أنواع المجاز»، و«بناءالأفعال»، و«المفصل في النحو» وكذلك تفسيره الشهير «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل».

## المخطوطات الدينية

لا شك في أن اهتمام الآذربيجانيين في القرون الوسطى باللغة العربية وحرصهم على إتقانها كانا

مربوطين قبل أي شيء آخر بالقرآن الكريم، بقراءته وحفظه وإدراكه، وكذلك بالرغبة في الاسترشاد بأفكاره العالية القيمة. المخطوطات الدينية المحفوظة في رصيد معهد المخطوطات دليل حيوي على اهتمام الشعب الآذريّ بالعلوم الإسلامية، وحفظ هذه المؤلفات المحرمة في العهد السوفييتي من قبل أبناء الوطن هو لا شك بسالة حقيقية، في العهد الذي كانت الكتب الدينية تحرَّق وتمحق لطمس ذاكرة الشعوب وانفصالها عن أصولها الدينية.

ولهذا السبب وصلت إلى أيامنا هذه القلة القليلة من تراثنا الديني، إذ ضاعت أغلبية الكتب الدينية في غياهب الكفر، كما ضاع رجالات الدين في تلك الحقبة المدهشة بشتى الاتجاهات في منافي سيبيريا.

إن دراسة المخطوطات الدينية المحفوظة في رصيد معهد المخطوطات مهمة جدًا لاستقراء الاتجاهات المعنوية المسيطرة على وعي مسلمي آذربيجان وإدراكهم، وكذلك لإظهار الإسهامات الكبيرة التي أسهم فيها علماء الدين من آذربيجان لتطوير الثقافة الإسلامية، وكذلك للاطلاع على مستوى العلاقات الثقافية بين آذربيجان والعالم الإسلامي عامة.

المخطوطات الدينية في رصيد المعهد ممثلة قبل كل شيء بالنسخ المختلفة لكتابنا المقدس القرآن الكريم، ويجب الذكر أن بعض النسخ المخطوطة للقرآن تحوي بين دفتيها كذلك كثيراً من الأدعية المختلفة. مثلاً حفظت في مخطوط قديم للقرآن المجيد الاستغفارات التي تنسب إلى الحسن البصري رضي الله عنه.

ثمة ٧ أدعية للاستغفار موافقة للأيام السبعة في الأسبوع. لكل يوم دعاؤه الخاص. وتبدأ الأدعية بدعاء يوم الجمعة وتتم بدعاء يوم الخميس. تنتهي الاستغفارات بهذه الكلمات.

«تمت الاستغفارات المنقذة من النار المنسوبة إلى سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه آمن بالله» وهذا المخطوط بين المخطوطات الدينية التي تثير الاهتمام المؤلفات الشهيرة أمثال: «الجامع الصحيح للبخاري» و«أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للبيضاوي، وتفسير الجلالين و«الكشاف عن حقائق غوامض القرآن» للزمخشري. وثمة مخطوطات تشرح مختلف سور القرآن، والمؤلفات المكرسة لشتى مسائل الإسلام ولتاريخه. منها «مختصر في مذاهب القراء السبعة» للدّاني، و«مفاتيح الأصول» لطباطبائي. وكتاب «الأنوار لعمل الأبرار» لجمال الدين يوسف بن إبراهيم الأردبيلي (ت ٧٧٦هـ) الذي يعدّ من أبرز المؤلفات في المذهب الشافعي، ذكره الحاج خليفة في «كشف الظنون» فقال: هو كتاب معتبر متداول جمع فيه ما يعم به البلوي من المسائل المهمة غير المذكورة في المعتبرات»(١٤).


محمد عادلوف مدير معهد المخطوطات

نسخته المحفوظة في خزانة معهد المخطوطات تعتبر من أقدم النسخ، إذ كتبت بعد ٢١ سنة من وفاة مؤلفها(١٥).

من المعلوم أن الإيضاحات والشروح والتفاسير للمؤلفات الشهيرة كانت ميزة مهمة من ميزات تدوين العلوم في القرون الوسطى. فقد كانت الشروح والتعليقات على الكتب الشهيرة منحت هذه الكتب شهرة أكثر من الأصل وقد تكون مساوية لها.

ومن هذه الشروح «إرشاد المهتاج في شرح المنهاج»، لمحيي الدين أبي بكر الشافعي - أحد الفقهاء والعلماء المسلمين البارزين في القرون الوسطى. (القرن الخامس عشر الميلادي) هذا الكتاب شرح «لمنهاج الطالبين» - أحد المؤلفات القيمة في الفقه الإسلامي لمحيي الدين أبي زكريا بن شرف النووي الشافعي - أحد أئمة الإسلام في القرن الثالث عشر الميلادي.

وتكسب النسخة الباكوية الشرح المذكور أهمية بالغة



جانب من سور باكو

لكونها كتبت بيد المؤلف عينه(١٦).

ثمة كتاب مخطوط آخر يسترعي الانتباه بكثرة نسخه - هو «إيضاح المبهم من معاني السلم» للدمنهور، ونعثر في رصيد المخطوطات على واحدة من أقدم المخطوطات (١٠٠٢م) «للاختيار في شرح المختار في فروع الحنفية» لأبي الفضل مجد الدين بن عبدالله محمد الموصلي الحنفي، كذلك على النسخ القديمة من «جمع الجوامع - كتاب في أصول الفقه» لابن السبكي الشافعي وعلى «كتاب من لا يحضره الفقيه» للقمي.

يوجد في الخزانة شرح آية «يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا» لابن محمد الهاشمي، و«تفسير آية الكرسي» لمعاذ بن جبل، وشروح الآيات الأخرى. هناك كثير من المخطوطات التي كتبت من دون إمضاء مؤلفها منها:

- معراجنامه.
- معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.
- مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم.
- وفاة إبراهيم بن محمد عليه السلام.
- أصول تفؤل من القرآن.
- إعلال البسملة.
- أسماء أهل بدر.
- أسماء الأنبياء.

وكل هذه المؤلفات التي سلمت من سنوات الإرهاب الأحمر تخبر عن اتصال الشعب الآذربيجاني بأصوله الدينية اتصالاً وثيقًا.

## المخطوطات في الأدب العربي

لهذه المخطوطات قسم خاص بين المخطوطات العربية للمعهد، ومن نماذجها القيمة ديوان المتنبي شاعر الدهر الذي ذاع صيته كذلك في آفاق آذربيجان، النسخة الباكوية لديوان المتنبي من أقدم نسخ هذا الديوان. (القرن

العاشر الهجري) يحفظ هذا المخطوط في قاعة المعروضات كنموذج للمخطوطات القيمة.

هناك في رصيد الكتب المخطوطة شرح الزوزني للمعلقات السبع، وقصيدة البردة لكعب بن زهير، وقصيدة بردة البوصيري، وأشعار علي بن أبي طالب رضي الله عنه بترجمتها إلى التركية من قبل عبدالغني، و«نثر اللآلي من كلام علي»، القصيدة المباركة التي تنسب لأبي بكر الصديق، وقصيدة في وفاة النبي لسلامة ابن زيد، وقصيدة تنسب إلى زين العابدين بن علي بن حسين بن علي، ومجنون ليلى للوالبي، وديون المجنون العامري، و«شرح في مقامات الحريري من الألفاظ اللغوية» للعسكر محب الدين بن البقا، وشرح شمس الدين الدهلوي للقصيدة الروحية لابن سينا وما إلى ذلك. وكل هذه النماذج تدل دلالة واضحة على الاهتمام الكبير لأذريي القرون الوسطى بالأدب العربي ونماذجه الرائعة.

تحفظ في رصيد المخطوطات شتى المؤلفات في علم البديع والعروض، منها «علم أوزان الشعر» للخليل بن أحمد الفراهيدي و«زهر الربيع في علم البديع» لشرف الدين حسين بن سليمان الحلبي الطائي.

ويثير الاهتمام مخطوط «وفيات الأعيان» لابن خلكان. والأشعار التي تنسب إلى الشاعر التركي الروشني، وكلها في الوجد الإلهي، وكثرة المؤلفات الصوفية تدل على اهتمام الأذربيجانيين بهذه الطريقة، منها بعض كتب محي الدين بن عربي أمثال «رسالة الاصطلاحات الصوفية» و«أسرار الخلوة»، و«رسالة الأمر المربوط مع ما يلزمه أهل طريق الله». و«آداب السالكين» لعبد الكريم بن هوازن القشيري، و«الأنهار الأربعة في طريقة النقشبندية»، و«نصائح النقشبندية للأحباء والإخوان» لسيد عبدالرشيد والمؤلفات الأخرى.

من بين المخطوطات العربية التي تثير الاهتمام مخطوط القصيدة الشاطبية في التجويد التي نالت ثناء العلماء والأدباء في كل عصر ومصر، وقد كتبها إمام القراء القاسم الشاطبي، وتتكون من ١١٧٣ بيتًا. النسخة الباكوية من أقدم نسخ هذه القصيدة، وقد فعل غربال الزمان فعله بهذه المخطوطة، إذ توجد على دفتيها وعلى هوامشها آثار التحريق، كأنها سلمت من النار. ومما يثير الغيظ والتحير هو أنه في الصفحة الأخيرة لهذه المخطوطة التي تحوي كذلك المؤلفات الأخرى، الكلمات التي تخبر عن سنة نسخه قد طمست بالفحم وتبرز عليها آثار الإصبع الذي حاول أن يمحو هذه المعلومات القيمة، وهو ما نعثر عليه كذلك في نهاية المخطوطات الأخرى.

**اهتمام الشعب الآذري بالعلوم الإسلامية، وحفظ هذه المؤلفات المحرمة في العهد السوفييتي من قبل أبناء الوطن هو لا شك بسالة حقيقية، في العهد الذي كانت الكتب الدينية تحرَّق وتمحق لطمس ذاكرة الشعوب وفصلها عن أصولها الدينية**

إننا لسنا نعرف يد أي خائن طمست هذه السطور القيمة، ولكنه أخفق في نيته الخبيثة، إذ كان إنسانًا جاهلاً، غافلاً لا يدري أن المخطوطات تحفظ المعلومات عن تاريخ كتابتها ليست في نهايتها فحسب، فيكون بعض المعلومات كذلك في وسط صفحاتها، حيث ينتهي قسم أو آخر. والمخطوط المذكور للشاطبي يتكون من أربعة أقسام، هي: «القصيدة في التجويد، والقصائد المقفاة من الألف إلى الياء»، وهي في المديح النبوي، وكتاب في القراءة والتجويد، وهو بالنثر ويسميه المؤلف «مخارج الحروف والإدغام والإظهار والإخفاء..»، ورابعًا تلا النماذج الشريفة من الأحاديث النبوية، وفي الصفحة ١١٣ من هذا المخطوط، أي في انتهاء القصيدة الشاطبية نقرأ:

«نجزت القصيدة حامداً لله ومصليًا على أشرف رسله يوم الأربع من شهر شعبان الواقع في سنة ألف وثلاث وأربعين من هجرة النبي العربي المختار عليه الصلاة والسلام آناء الليل وأطراف النهار على يد العبد الفقير الحقير المستغرق في بحر العصيان الراجي المذنب

التواب المسمى بعبد الكريم بن محمد بن علي بن لقمان ابن أحمد غفر الله لهم وجميع المؤمنين».

هكذا بعون الله تعالى تبين لنا هذه السطور تاريخ المخطوط المذكور واسم كاتبه.

## المخطوطات الأخرى

يجب القول: إن بعض الشخصيات البارزة في القرون الوسطى من العلماء والفقهاء والأدباء الشهيرين قد حفظ في رصيد المخطوطات عدد كبير من مؤلفاتهم. مثلاً: مؤلفات الإمام أبي حامد محمد الغزالي مخطوطات كثيرة أمثال:

- إحياء علوم الدين.
- بداية النهاية.
- بيان زيارة القبور، الدعاء للموتى، وما يتعلق به (من إحياء علوم الدين).
- جواهر القرآن ودرره.
- صلاة العارفين.
- منهاج الطالبين.
- تهافت الفلاسفة.
- الوسيط المحيط بأقطار البسيط.

أما مؤلفات جلال الدين السيوطي فتمثلها المخطوطات التالية:

- أذكار الأذكار.
- أحوال الأموات.
- البهجة المرضية في شرح الألفية.
- الجامع الصغير من حديث البشير.
- جزيل المواهب في اختلاف المذاهب.
- حصول الرفق بأصول الرزق.
- خواص الجمعة.
- رسالة متعلقة بالمعجزات.
- كتاب الفكر والذكر.
- تفسير الجلالين.. وما إلى ذلك..

ثمة في الخزانة النسخة المخطوطة القديمة (١٠٧٧هـ) لـ «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» لجمال الدين بن الحسن علي بن يوسف القفطي. أما العلوم الطبيعية ففي معهد المخطوطات كتب كثيرة في الطب والنجوم والهندسة وما إلى ذلك، ومن بين المخطوطات في النجوم التي تستجلب الأنظار قبل كل شيء مؤلفات نصير الدين الطوسي، وكذلك بعض المؤلفات الأخرى، بينها ما ذكر اسم مؤلفه مثل «نهاية الإدراك في راية الأفلاك» لقطب الدين الشيرازي، ومنها ما لم يذكر اسم مؤلفه مثل: «الأسطرلاب الشمالي» و«تشريح الأفلاك»، وفي الكيمياء «رسالة في الكيمياء» لعبدالرحمان الهمذاني، وفي الطب «القانون في الطب» لابن سينا، و«الحاوي في علم التداوي» لنجم الدين محمود بن المسعودي، و«المجلس للتحذير عن الوبا» للحلوقي الشيخ إسماعيل الحق، و«الطاعون من تفسير روح البيان» للمؤلف نفسه.

المخطوط الذي ينبغي أن تقف عنده هو «المقالة العاشرة» لأبي القاسم الزهراوي. هذا الكتاب من أقدم نماذج المخطوطات، ويعود تاريخه إلى القرن السادس الهجري(١٧). واستناداً إلى خبرته وحنكته المتعددة السنوات في حقل الجراحة يبحث المؤلف في هذا الكتاب في الجراحة وفي الآلات الجراحية، يصفها واحدة تلو الأخرى. وقد عالج هذا المخطوط القديم وترجمه إلى الروسية الأكاديمي الراحل ضياء الدين بن موسى بنياتوف. هذه هي مقالة في «العمل باليد والكي والشق والبط والجبر والخلع». ويقول الأكاديمي في توطئة المؤلفة المذكورة التي خرجت إلى عالم النور في سنة ١٩٨٠م: إنه «في الاتحاد السوفييتي (السابق) مخطوطات ثلاث مقالات من مقالات الزهراوي. ونسختا المقالتين الثانية والثالثة في مكتبة فرع لينينغراد (بتسبورغ الحالي) لمعهد الاستشراق لأكاديمية العلوم السوفييتية. أما المقالة الثلاثون(١٨) (أي المقالة العاشرة) فهي موجودة في مكتبة المخطوطات لأكاديمية العلوم في آذربيجان، وتعد نسخة باكو من حيث نوع الورق والخط والخصائص الإملائية واحدة من أقدم نسخ هذه المقالة.. إن أوراق نسخة باكو من القطن الشرقي وهو مندثر ثخين ضاع لمعانه بفعل الزمن، إن أطراف كثير من الأوراق متكسرة. أما الرسوم الكثيرة لآلات الجراحة فهي واضحة مرسومة بالحبر الصيني الأسود، احتفظت

بشكل جيد(١٩). لاشك في أن هذا الكتاب يعدّ من أحسن الكتب في الطب والجراحة في القرون الوسطى، ووجود مخطوطاته المتعددة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يدل على سعة انتشاره على مستوى هذا العالم.

لا يتطرق الشك إلى أن المخطوطات التي عرضنا لها في إطار هذا المقال هي غيض من فيض، ولو أني حاولت أن أتتبع جميع المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة معهد المخطوطات حيث لا يقلّ عددها من ١٢٠٠٠ مخطوط لطال عليّ الاستشهاد، ولم يتسع لها هذا المقال والدراسات حول هذه المخطوطات لا تزال في بداية الطريق، على الرغم من كثرتها، وكذلك بحثنا هذا لا يشفي ظمأ إخواننا العرب، هذا لأننا تناولنا القلة القليلة منها. ولكن هذه القلة القليلة تظهر لنا التراث الثقافي الكبير للشعب الآذريّ وتبرز علاقاته الوطيدة بالعالم الإسلامي، والورقات الجامدة للمخطوطات تثير انطباع الشاهد الحيوي لتاريخ الشعب الثقافي والعلمي، فهنا لا يسعنا إلا أن نذكر ما قاله المستعرب الروسي البارز، الأكاديمي I. KZACHKOVSKI الذي أنفق سنوات من عمره لدراسة المخطوطات العربية المحفوظة في مدينة بترسبورغ: «ها قد بدأت في تدوين مذكراتي عن العمل في المخطوطات العربية التي أدت دورًا مهمًا في حياتي والتي أسعدني الحظ بإيجاد بعضها فهي على ايدي طرقت أبواب عالم العلم. قد أثارت هذه المخطوطات في بالي الذكريات والخواطر عن المكتبات التي حفظت فيها وعن العلماء الذين كانت حياتهم متصلة بهذه الآثار القديمة. ولكن كل هذه الذكريات ليست بيت القصيد في كتابي هذا، بحيث أريد فيها إبراز حاسة من الحواس التي تهيّج العالِم أثناء عمله في المخطوطات والخوالج التي تساور قلبه، ولكنه يصمت بصددها مفضلاً عليها التعبير عن النتائج العلمية التي ظهرت له في أثناء الدراسة.

هكذا أود لو أقول عن سرور هذا العمل وغمومه الذي لا يفهم أغلب الناس ما هيّته ويعدّونه عملاً مملاً جدًا، عملاً منقطعًا عن الحياة. عندما أتذكر خوالجي النفسية عند الاطلاع على المخطوطات العربية ما أستطيع إلا أن أشير إلى أن قلة جزئية من هذا العمل قد تتصل بالقضايا المهمة لتاريخ الثقافة، وكل هذا في نهاية المطاف يمطر وابلاً في سبيل الأهداف العالية للبشرية. هذه هي الخواطر التي استحضرت في بالي في أثناء هذا العمل، وأتمنى أن يشعر بها كل من يقرأ كتابي هذا عن المخطوطات العربية».

## المراجع


١ـ محمود إسماعيلوف. تاريخ آذربيجان. باكو ١٩٩٥م، ص ٩٢ ـ ٩٤ (باللغة الروسية).
٢ـ جلال قهرامانوف. النكالات السياسية في الحياة والأدب. باكو ٢٠٠٠م، ص٢٥ (باللغة الآذربية).
٣ـ المصدر نفسه ص٣١.
٤ـ ابن قتيبة. الشعر والشعراء.. بيروت ١٩٦٤م، ص ٤٨١ ـ ٤٨٢.
٥ـ محمد عادلوف. ٥٠ سنة على تأسيس معهد المخطوطات باكو. ص٦ (باللغة الآذربية).
٦ـ المصدر نفسه ص٧.
٧ـ عزيز ميراحمدوف. توطئة لكتاب حميد آرسلي، تاريخ الأدب الآذربيجاني وقضاياه. باكو ١٩٩٨م ص١١ (باللغة الآذربية).
٨ـ (سجل المخطوطات العربية )عنى بتأليفه جهانكيز مهرامانوف باكو ١٩٨٠م)، (باللغة الروسية).
٩ـ نيكار خليلوفا. النسخة الباكوية للصحاح.. خزانة المخطوطات، المجلد السادس. باكو ١٩٨٣م ص٧٣، (باللغة الروسية).
١٠ـ المصدر نفسه.
١١ـ واسم محمد علييوف، النحو العربي. باكو ١٩٨٥م ص٢١٣ (باللغة الآذربية).
١٢ـ سجل المخطوطات العربية باكو ١٩٨٠م، ص٢٠٥ (باللغة الروسية)
١٣ـ المصدر نفسه.
١٤ـ سجل المخطوطات العربية. باكو ٢٠٠٠م، عنى بتأليفه أبو الفضل علييوف وكامندار شريفوف (باللغة الروسية) ص ٣٣ ـ ٣٤.
١٥ـ المصدر نفسه.
١٦ـ جهانكيز قهرامانوف. رصيد المخطوطات لأكاديمية العلوم. ـ خزانة المخطوطات، المجلد السادس ص١١.
١٧ـ ضياء الدين بن موسى بنياتوف. المقدمة أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي. المقالة الثلاثون في العمل باليد والكي والشق والبط والجبر.. النسخة المصورة للمخطوطة عني بنشرها وترجمتها إلى الروسية ضياء الدين بنياتوف، موسكو ١٩٨٣م.
١٨ـ المصدر نفسه ص١٧.
١٩ـ I. KZACHKOVSKI. المؤلفات. المجلد الأول. الافتتاحية ـ على المخطوطات العربية (أوراق المذكرات عن الكتب والناس. موسكو ـ لينتغراد ١٩٥٥م، ص٢٠ (بالروسية).

# التكعيبية في فنّ الرسم

**فاضل كمال الدين**
بابل - العراق

حين شــرع براك Braque، في نهـاية عـام ١٩٠٧م، في الابتعـاد عن المذهب الوحشي (فوڤيزم)، كان هدفه التقليل من القيمة المعطاة للَّوْن من أجل زيادة قـوة الشكل عن طريق تأكيد الخطوط أولاً والحجم ثانيًا.

رَسَم براك، بعد شهور قليلة، مناظر طبيعية في «الإستـاك» في فرنسا، على البحر الأبيض المتوسط، كأن كلّ شيء فيها صلدًا ومختزلاً إلى شكل هندسي، ولم تكن صلابة النبتة فيها تقلّ عن صلابة جذوع الأشجار وجدران البيوت.

ثم كتب لويس ڤولسيل عن تلك الرسوم قائلاً: «السيد براك اختـزَلَ كلَّ شيء ... المواقع والأشخاص والبيوت ... وجعلها تخطيطات هندسية .. فمكعَّبات !!»

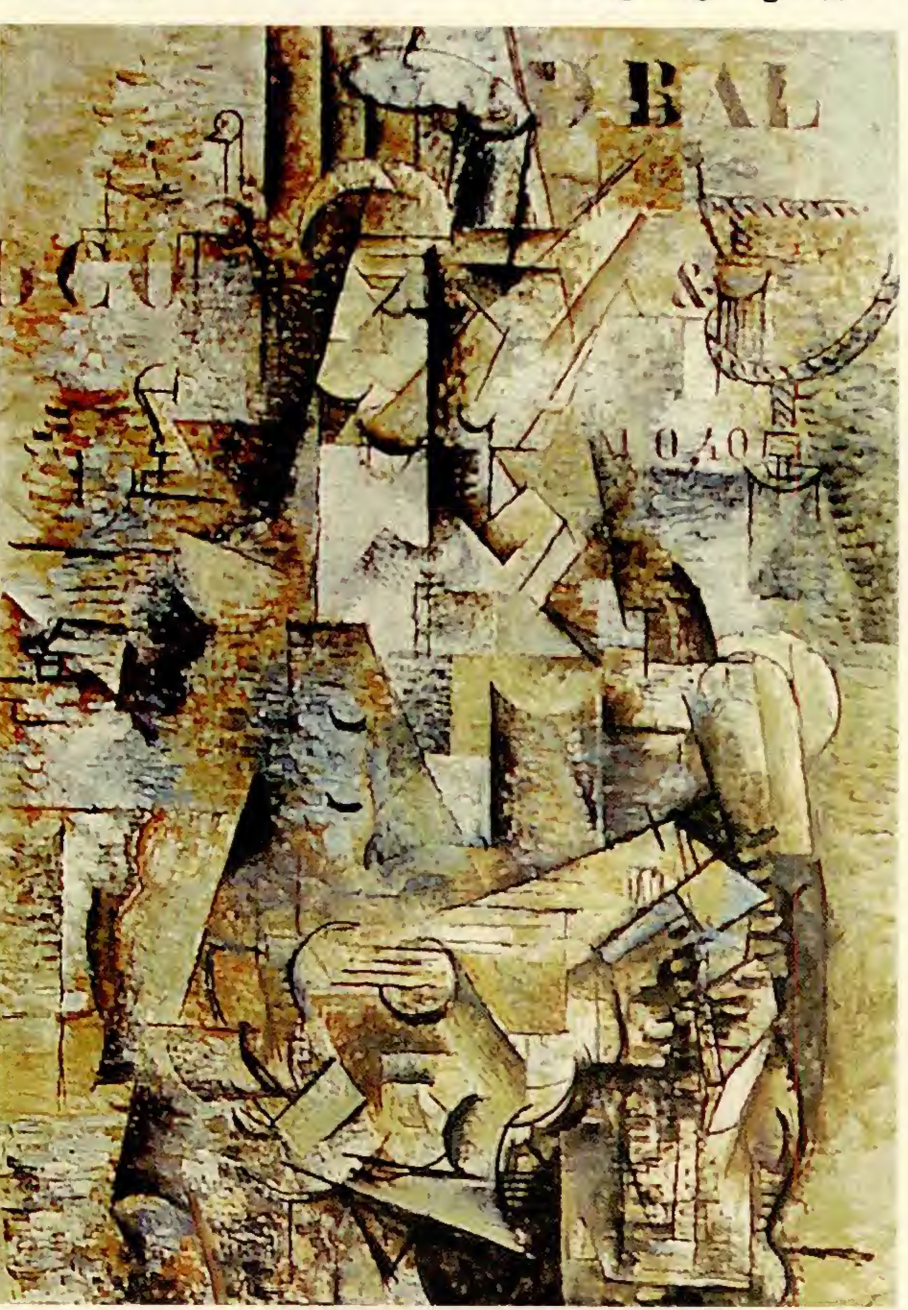
هنا بالذاتَ سنَّ لويس ڤولسيل الكلمة الدالَّة التي قُــدِّرَ لها أنْ تصف الاتجاه الجديد ... التكعيبيِّة (١).



بيكاسو: «بورتريه»

### مصدر نشوء التكعيبيّة

كان المذهب الوحشي (فوڤيزم) في الرسم، الذي سار فيه الفنان ماتيس وأعضاء جماعته - مثل: «ماركيه، وفليمنغ، وديران» - هو الينبوع الذي نبعت منه الحركة التكعيبية على حدّ قول بعض النقّاد.




براك : «البرتغالي»، ١٩١١م، زيت على قماش

وهناك رأي آخر منتشر يقول: إن الفنان سيزان هو الذي مهّد لفنّ براك وبيكاسو بسبب ما انطوى عليه إنتاجه الفنّي المتنوّع الذي فتح الباب على مصراعيه لشتى القيم الفنّية التي قام عليها إنتاج الفنانين المعاصرين الأوائل خصوصًا بما اتخذ سيزان من طرائق وأساليب تكعيبيّة وتعبيريّة في لوحاته. على حين أنّ أعمال الفنانين «الوحشيين» - وعلى رأسهم ماتيس - هي المنبع الثاني الذي استقى منه التكعيبيّون طرازهم في الرسم(٢).

ويقول الكاتب الفرنسي ميشيل جورج ميشيل ما يأتي عن مصدر نشوء التكعيبية: «ليس سيزان، وليس الوحشيّون، كانوا هم المصدر الحقيقي للمذهب التعكيبي، وإنما يعدّ الفضل الأول في ذلك لفنان الفطرة في البدائيين في مراحل ما قبل التاريخ حين كانت وسائلهم التلقائية الفطرية تقودهم إلى اتخاذ طريقة مبسطة للتعبير عن صور الكائنات، وكان من أسهل الطرائق والوسائل لديهم في التعبير عن تلك الصُوَر هو استخدام أسلوب التكعيب القائم على خطوط هندسية مستقيمة».

ويستطرد الكاتب نفسُه فيقول: «ولغرض التعرُّف إلى بداية اكتشاف بيكاسو



براك: «صالون داخلي»

للطراز التكعيبي، كان كافياً لذلك تلك الزيارة التي قام بها مع صديقه الشاعر «أبولينير» لمعرض الفنّ الزنجي فعند مشاهدته لتلك الأعمال الفنية ذات الطابع البدائي، بلغ ولعُهُ بذلك الفن الزنجي أقصاه، وكان ذلك مفاجأة مدهشة له لأنه قد وجدَ فيه ما كان يبحث عنه حين بدا له التخطيط في الفنّ الزنجي بسيط الأسلوب ويصل إلى هدفه بضربة واحدة وبسهولة ويُسْر. وقد لفَتَ نظرَ بيكاسو تمثال هناك كان في المعرض، وكان قد اتخَّذَ تكوينُهُ الفنيُّ شكلاً مكعَّباً ممّا دفع بيكاسو إلى اتخاذه نموذجاً في رسم الأشخاص.

وبهذا الجانب المحدود تتمثَّل قصة التكعيب إذ رأى الناس بعد ذلك بمدّة قصيرة هذا المذهب حقيقة واقعة»(٣).

### ماهيّة المذهب التكعيبي وخصائصهُ

يقول جه. تي. مولر، وفرانك إلغر في كتابهما «مئة عام من الرسم الحديث» عن التكعيبية: إنها كانت قد برزت كأكثر الحركات ثوريّة في مجال الرسم منذ القرن الخامس عشر.

فهي قد تخلّت في الواقع عن كل مفاهيم الواقعية البصرية، وأهمَلَت كلياً المنظور التقليدي والنمذجة. ولم يكن ذلك بسبب موقفها المغاير تجاه الأشياء، بل لأنها أرادت أن تحللّ الأشياء بصورة أدقّ. وحاولت التكعيبية تصوير الأشياء بشكل أشمل.

وكان التكعيبيون أول من أدرك أنه بواسطة اختيار زاوية نظر مفردة، طبّق عصر النهضة في الصورة نظاماً

لجيه: «لوحة المدينة»




براك : «كمان وغليون وكلمة بولكا» ١٩٢٠م



براك: «تركيب آلات موسيقية»

بتوحيدها من جديد.

وكانت موضوعات براك وبيكاسو عادية جداً إذ كانا يميلان إلى تصوير الحياة الصامتة التي تحتوي في الغالب على قنينة وقدح وغليون وصحيفة وقيثارة. وحين كانا يريدان رسم إنسان فإنهما كانا ينتزعان منه هيبته ووقاره وأهميته.

وفي عدد من أعمالهما في الفترة من (١٩١٠- ١٩١٢م)، عمد براك وبيكاسو إلى تجزئة الأشياء إلى حدّ تناثرها. وبلغا مشارف الفنّ التجريدي لكنهما لم يتجاوزا الحدود إليه.

وفي الفترة ذاتها، شرع براك وبيكاسو في إدخال الحروف المطبعيّة في أعمالهما وهي منّضدة بشكل كلمات - مثل: «Bal» و«Le torero» و«Ma jolie» - وذهبا إلى أبعد من ذلك فابتكرا طريقة لصق الأوراق المأخوذة من الجرائد، ومن ورق التغليف، ومن ورق مطلّي على قماشة الرسم رأساً.

وأدى اللون دوراً مهمّاً في تجارب اثنين آخرَيْن من الرسامين الذين كانوا على صلة بالتكعيبيّين وهما: ديلوني، ولجيه.

ومنذ أوائل عام ١٩١٠م، أعلن ديلوني أن براك، وبيكاسو يرسمان بنسيج العنكبوت !! وكردّ فعْل على ذلك استعمل ديلوني مندرجاً حراً من الألوان الدافئة بينما عَمَدَ لجيه إلى استخدام الأزرق والأحمر الخالصَيْن منذ عام

معيناً وأدان نفسه بإعطاء الأشياء منظراً جزئيًا فقط أي: الجانب الذي يراه الناظر في لحظة سكون. أما اليوم فالإنسان المعاصر يتحرك من مكان إلى آخر بسرعة، وتكون الصورة التي يتلقاها عن العالم معقدة. وهذا التعقيد هو ما سعى التكعيبيّون إلى نقله إلى قماشة اللوحة عن طريق وضْع مظاهر الشيء المتعدِّدة جنبًا إلى جنب على سطح مستوٍ واحد بحيث لا تستطيع العين رؤية كل الأجزاء مرةً واحدة غير أنه سيكون في مقدور العقل القيام

١٩١٢م. ولم تكن هذه النقطة الوحيدة التي اختلفا فيها مع زملائهم الفنانين الآخرين. فقد تأثَّرا كذلك بالفنان سيزان وقاما بهندسة الشكل دون تفكيكه وتقسيمه وتجزئته، ولم ينغلقا على نفسيهما في محترفيهما ليرسما أشكالاً متواضعة وموجودة على المائدة فقط، إنَّ ديلوني مثلاً قد استمدَّ إلهاماً من «برج إيفل»، في حين أن لجيه رسم «عبور السكة»، و«منظر باريس من النافذة».

وعلى الرغم من أنَّ براك وبيكاسو وديلوني ولجيه كانوا هم الذين جاؤوا بأفكار التعكيبية الثورية، غير أنهم لم يكونوا وحدهم في الحركة التي أيَّدها وانتصر لها فنانون آخرون.

ويمكن القول: إنَّ محاولات خوان غريس، ولويس ماركوسيس، وأميلو بيتوروتي هي محاولات ذات صلة بفن براك وبيكاسو.

وكان جاك ڤيّون وأخوه مارسيل دوشامب من المولعين بالحركة التكعيبية في حين أنَّ ألبرت كلير وجان



بيكاسو: «الموسيقيون الثلاثة»



كندينسكي : «ارتجال رقم ثلاثين» ١٩١٣م، زيت على قماش

ميتزنغر، و روجر دي لافريني، وأندريه لوت قد رأوا أن التكعيبية نظام منضبط ووسيلة لتبسيط الشكل وتقوية التكوين ومنح التقليد حياة جديدة.

وكان للتكعيبيين تأثير واسع في كل مكان. ويمكن العثور على رسامين في مختلف بقاع العالم من الذين كانوا قد تأثرًوا بالتكعيبية.

وتجاوز تأثيرُ التكعيبية ميدانَ فنّ الرسم وامتدَّ إلى ميادين النحت والعمارة والطباعة والديكور المسرحي والملصقات.

ويقول وليام فليمنغ في موسوعته «فنون وأفكار»: «إنَّ الثورة التكعيبية، في القرن العشرين، قد أوجَدَت طريقة جديدة في النظر إلى الأشياء، وإنه قد حدث أول تأثيراتها في مجال فنّ الرسم، ثم سرعان ما انعكست تأثيراتها على

مجالات النحت وفنّ العمارة وامتدّت أيضًا إلى الأدب والموسيقا بصورة غير مباشرة.

وكانت قد أتت قوة دافعة كبيرة باتجاه التجريد في المعرض الاستعادي الكبير لرسم الفنان سيزان الذي كان قد عُقِدَ في باريس في عام ١٩٠٧م، حيث دهش الرسامون الشباب الذين شاهدوه من البنيان التصويري في رسم الفنان سيزان الذي كان يرى أنه يمكن اختزال الأشياء الطبيعية إلى أشكال أسطوانية وكرويّة ومخروطيّة. وكان أولئك الرسامون الشباب يعتقدون أن الفنّ هو ليس محاكاة الطبيعة بالمعنى الاعتيادي، وإنّما هو أشكال هندسيّة مستخلصة من العقل البشري، وتفرض على الطبيعة. لذلك أصبح الرسم التكعيبي تفاعلاً لسطوح مستوية وزوايا على سطح منبسط، ولكن تجب الإشارة هنا إلى أنَّ سيزان لم يذكر المكعّبات أبدًا في العبارة التي أوردها، في حين أن الأسطوانة والكرة والمخروط - التي تحدَّث عنها سيزان - هي أشكال مدوَّرة ممّا يوحي برسوم ذات خطوط منحنية، ونجدُ أنَّ الرسم التكعيبي يكون ذا أشكال محتوية على زوايا وخطوط مستقيمة بالدرجة الأولى» (٤).



لجيه: «الجندي والغليون»

وكان النموذج المتبع في الرسم في عصر النهضة الأوربية هو الوصف الكامل للموضوع المراد تمثيله انطلاقًا من نقطة نَظر واحدة بحيث أنَّ نقطة النظر الأخرى تستلزم رسم صورة أخرى. وفي مجال الرؤية، أخذت النظرية التكعيبية في الحسبان تجزؤ وعدم استمرارية المشَهد الواحد في العالم المعاصر حيث يتمّ إدراك الأشياء بصورة عجلى وبشكل أجزاء، وليس بشكل كيانات كلية. ونتيجة لذلك، أصبح العالم يُرى في اللحظة الواحدة كأنه أجزاء عند النظر إليه في زوايا متعدِّدة بدلاً من صورة كليّة تُرى من زاوية معيّنة.

وهكذا تبّنى بيكاسو وبراك - وبصفتهما المبتكرين للتكعيبية -



بيكاسو : «امرأة تبكي» ١٩٣٧م، زيت على قماش



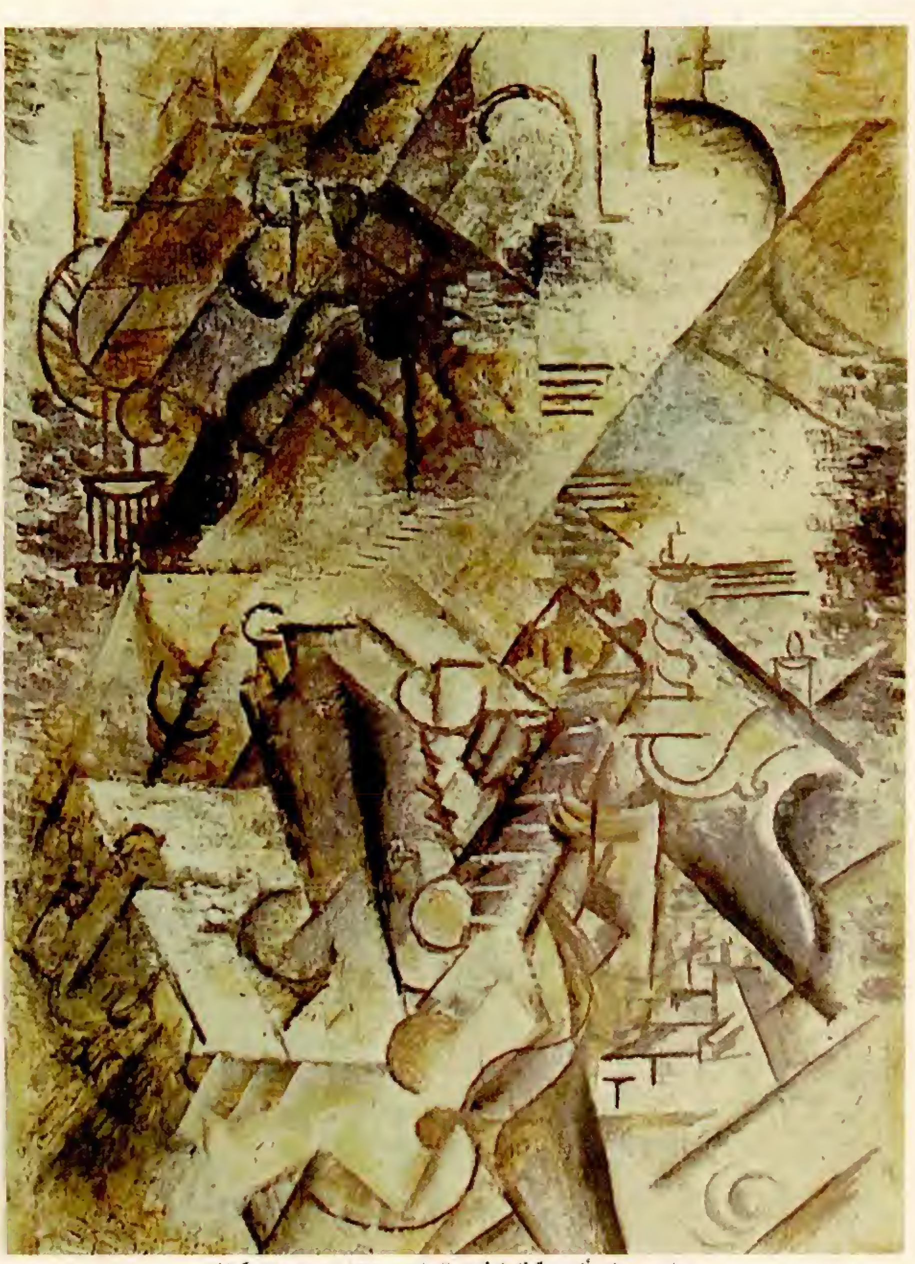
بيكاسو: «صورة أمبرواز فولار»، ١٩١٠م، زيت على قماش

تحديداً وتعريفاً جديدين للمساحة التصويرية حيث أصبحتْ الأشياء تُصَوَّر في وقت واحد، ومن زوايا بصرية متعدِّدة، وبصورة كيانات كليِّة أو أجزاء، وبصورة معتمة أو شفافة.

وكان التكعيبيّون مقتنعين أيضاً بأن المساحة التصويرية - المحددة في الواقع ببعدي قماشة الرسم المستوية - هي شيء يختلف عن المساحة الطبيعية. وابتداءً من عصر النهضة فصاعداً، أصبحت الطريقة المقبولة هي توليد خُداع البُعْد الثلاثي بواسطة نوع من منظور خطي مستخلص من مبادئ «إقليدس» الهندسية. وبدلاً من محاولة التكعبيين خلق خداع العمق، قاموا ببناء صورهم باعتمادهم على الخطوط المستقيمة في المثلّث والمربع(٥).

وقام التكعيبيّون أيضاً بتغيير طريقة التعبير عن الحجم الذي يتحقق بواسطة نمذجة الأشياء بالضوء والظل. وهكذا كان لدينا الإحساس الملموس والتماسُك الهيكلي في فنّ الرسم في عصر النهضة. وبدلاً من قيام التكعيبيِّين بتصوير الأشياء بشكل مكوّر، حلَّلوا تلك الأشياء إلى أشكالها الهندسية الأساسية، ثم كانوا يعيدون تجميعها، ثم يغيرونها حسب رغبتهم لتصبح نمطاً تصويرياً جديداً ومؤلفاً من سطوح ومستويات متشابكة ومتداخلة ومتراكبة.

وفيما يتعلق باللَّوْن، كانت ألوانهم مقصورة في البداية وعن عَمد، على درجات لونيّة متوازنة من الرمادي والأخضر والزيتوني والأصفر؛ لأن الاهتمام كان منصبّاً على التصميم والبنيان(٦).



بيكاسو : «امرأة مع قيثارة فوق البيانو»، ١٩١١م، زيت على قماش

وكانت التكعيبية تُعدّ، في وقت ظهورها، حركة سخيفة وغريبة وأثير التساؤل عمّا إذا لم تكن الإبداعات ذات الطبيعة الحسّية والمتعلقة باللّوْن والشكل ـ كتلك التي أبدعها «الوحشيّون» والتعبيريّون ـ أقلّ إهانة للتقاليد بالقياس إلى أعمال التكعيبيين المقدمة إلى العقل والنابعة من العقل والمؤلفة من تأملات هندسية وليس من موضوعات تصويريّة.

وحاول التكعيبيون اختزال فنّ الرسم إلى مبادئ أساسية قليلة لا يدركها سوى العقل. وتمَّت تجزئة بعض المفاهيم التي تمّ فصل بعضها عن بعضها الآخر. وهكذا تمّ فصل مفهوم الضوء عن مفهوم الظِلّ، ومفهوم الشيء الظاهر عن مفهوم الشيء المخفيّ الذي لا يُعْرَف منه إلاّ نقيضه. وهذه المفاهيم المنفصلة كانت تعالج في وقت واحد وعلى قماشة رسم واحدة. والمطلوب منّا هنا هو أنْ تؤثّر فينا الجرأة العقلية أكثر ممّا يؤثر فينا الإفراط في الإحساس.

وكانت هناك موضوعات قليلة، ولكنّها كافية لأن تسمح للرسام التكعيبي بأنْ يقوم بتحليلاته، وكانت تلك الموضوعات تتألّف في عالم الحياة الصامتة كالغلايات والأباريق والقيثارات وأشياء أخرى شائعة الوجود في

ويرى لاروس في موسوعته «الفن الحديث» أنَّ الحركة التكعيبية كانت أهم ثورة فنيّة غير اعتيادية حدثت في القرن العشرين وأنها كانت قد أعقبت مباشرة الحركة «الوحشية» ـ فوفيزم ـ التي كانت التكعيبية تعارضها معارضة أساسية في نظرياتها ومثلما هي كانت تعارض مجموع الفن التعبيري.



بيكاسو : «صورة دورا ما»، ١٩٣٧م، زيت على قماش

العشرين في الواقع(٧).

ويضيف لاروس ذاكراً أنَّ تاريخ نشوء الحركة التكعيبية يعود إلى سبع سنوات سبقت الحرب العالمية الأولى، وأنَّ نشوءها كان في أماكن أصبحت أسطورية منذ ذلك الحين وهي مثل «باتور ـ لاڤوار» في موغارتر. وقام بتمجيد الثورة التكعيبية شعراء مثل: «أبو لينير، وماكس جاكوب، وبليز سيندرا».

وتتجلّى أهمية الثورة التكعيبية في أنها كانت قد جلبت معها اتجاهات فنية جديدة مثل محاولة استكشاف الفنّ الإفريقي ممّا قلب، رأساً على عقب، الأفكار الأوربية المعلقة بالذوق وبهرجة الأساليب، ووسع معرفة الأوربيين بتاريخ الحضارات، ورفع مكانة فن الرسام دوانيه روسو صاحب العبقرية الفطرية والشعبية والإبداعية، وبتأثير التكعيبية، أصبحت الفنون حرة من المفاهيم الأكاديمية الضيقة التي كانت تعوقها ... فمثلاً: الافتراض أن هناك مواد معينة هي التي تكون ملائمة وحدها لنوع معين من الفنون، كالزيوت في فنّ الرسم، والحجر في فنّ النحت، قد أصبحت من المبادئ الجامدة (٨).

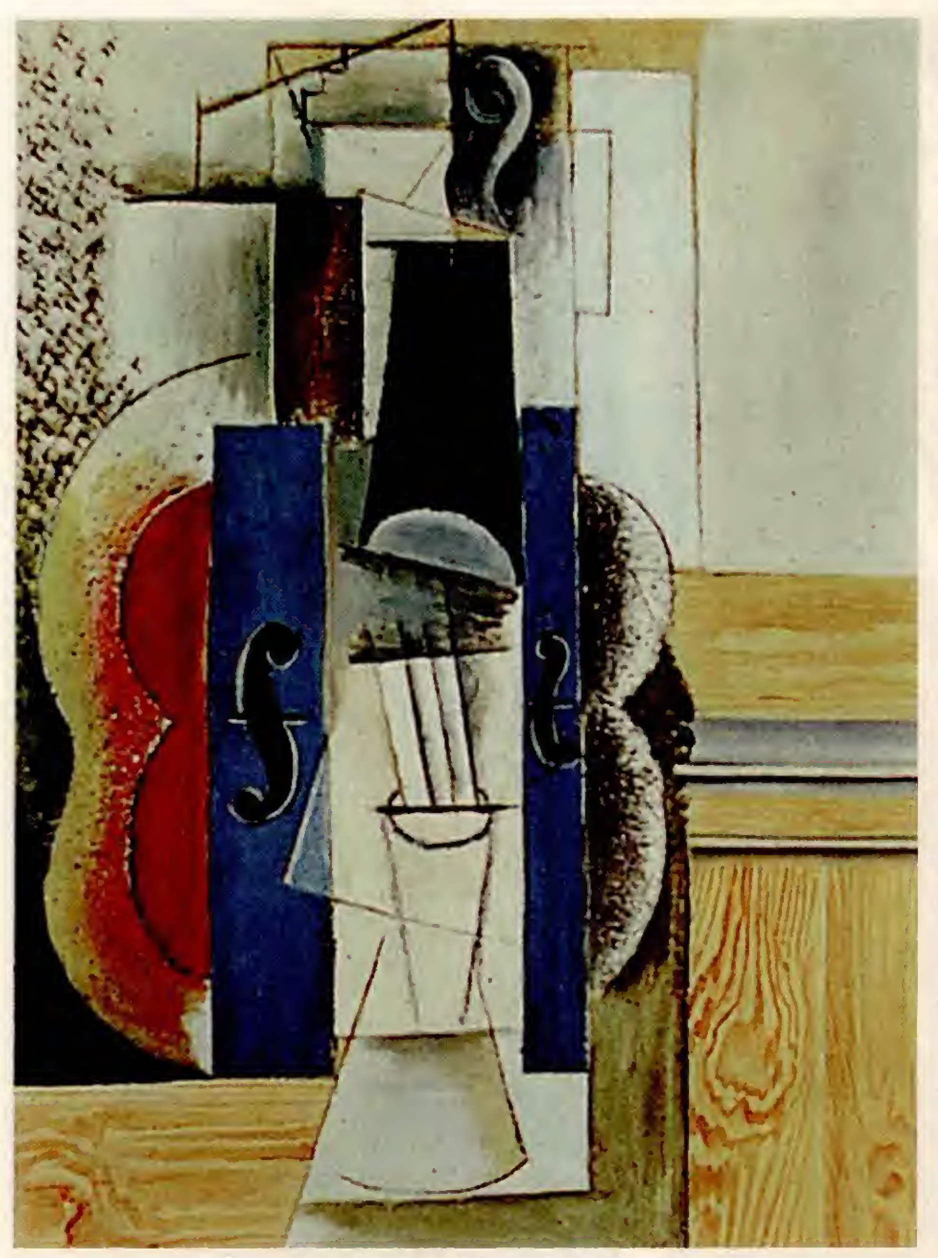
يقول سام هنتر، وجون جاكو بوس في موسوعتهما

حياتنا اليومية، وتمَّ تأكيد الشكل والخاصيَّة التصويرية بدلاً من تأكيد الخاصية الحسّية.

وكان يتمّ الربْط بينها بطريقة موضوعية ورياضية وميكانيكية كما لو أنها كانت أجزاء في مكنة. وأصبح الفنان التكعيبي لجيه مقتنعاً بأنَّ التكعيبية هي فنّ عصر المكنات. وكان فنُه في الرسم يعكس جوهر القرن

بعنوان «الفنّ الحديث»: إنّ براك وبيكاسو هما المؤسسان للحركة التكعيبية، وإنّ براك هو الذي كان قد منح ذلك الفن الجديد تركيبه الأساسي، وأوحى باسمه، في حين أنّ بيكاسو هو الذي حول التكعيبية - بما يملك من عبقرية متفجرة - إلى تلك القوة المتغلّبة خلال أكثر من نصف قرن.

عرض التكعيبيون منظورات متعدّدة ومخلوطة بدلاً من المنظور الأحادي والثابت والوحيد البؤرة. وبهذه الطريقة، كانوا يعرضون الموضوع الواحد من جوانبه الكثيرة في وقت واحد. ففي الرسوم التكعيبية، يمكن رؤية رأس الإنسان من جانب واحد ومن أمام في وقت واحد، ويمكن كذلك رؤية صورة حياة صامتة أو صورة منظر طبيعي من الأمام ومن الأعلى في وقت واحد. ولكون الصورة مركبة، فالصورة الممثلة بهذه الطريقة تكون مطابقة للرأي العلمي الجديد الذي يفيد بأن الإدراك البشري لا يتولد من نظرة واحدة سريعة وشاملة، وإنما هو يتولد من لقطات متعاقبة، وفي التجربة المخزونة في الذاكرة، ومن طاقة العقل على تصور الشكل. وبهذه الطريقة، منح التكعيبيون لفنّ الرسم - أولاً - نوعًا جديداً من المساحة التصويرية، وثانيًا بعداً جديداً هو البعد الرابع، أي: الزمن. وبهذه الطريقة أيضاً، تحدّى التكعيبيون مفهوم قدسية الصورة البشرية وأهميتها(٩).



بيكاسو : «كمان معلق على الجدار»، ١٩١٣م، زيت مخلوط بالرمل على قماش

يوصف المذهب التكعيبي أحيانًا بأنه النقيض الكامل للمذهب «الوحشي» - الفوڤيزم - أي: العقل مقابل الحدس، وأحادية اللون مقابل تعدد الألوان وتنافرها، والرزانة



صورة لبيكاسو بريشته



مقابل التطرف، والكلاسيكية مقابل الرومانتيكية.

كان براك، النظامي والجاد والمحقق لمسيرة مستمرة في التطور، هو الذي صاغ البنيان الأساسي للمذهب التكعيبي قبل التقائه بمعاصره بيكاسو المتقلب والزئبقي المزاج، وكان براك بخلاف بيكاسو ذي الميل إلى الأشكال النحتية، أكثر قدرة على تجريد الموضوع بفضل اهتمامه الكبير بالمناظر الطبيعية والحياة الصامتة التي هي موضوعات خالية من التوترات النفسية (السايكولوجية) التي تشتمل عليها الصورة البشرية. وقد طبق براك طريقة التجريد في أواخر عام

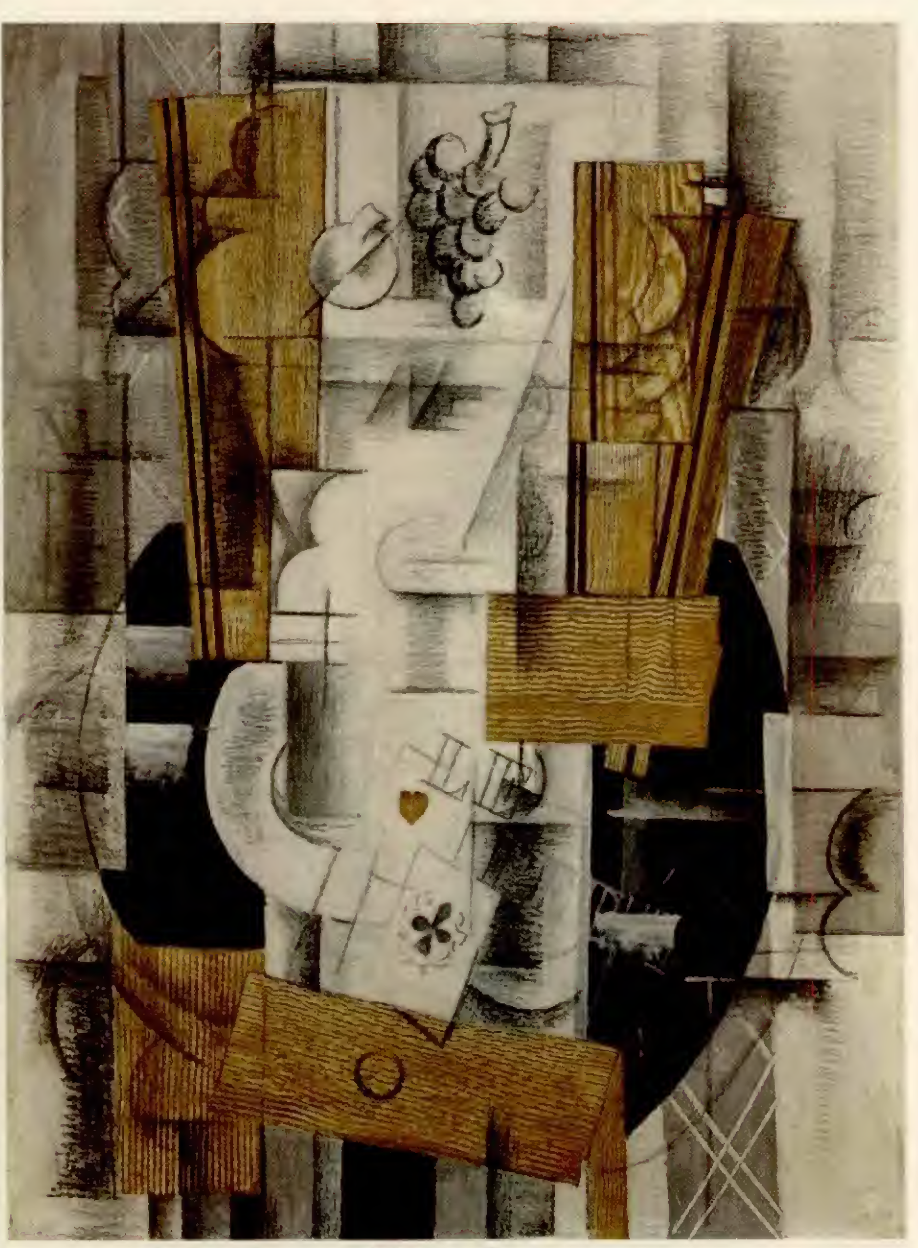


بيكاسو : «صيد السمك ليلاً في أنتيب» ١٩٣٩م، زيت على قماش

١٩٠٧م، عندما أكمل صوره في ستوديو باريس، وهي الصور التي كان قد بدأ بها في صيف تلك السنة في «الستاك» في جنوب فرنسا وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط(١٠).

ويقول هربرت ريد في كتابه «الفن الآن» عن التكعيبية: إنها مدرسة فنية محدودة النطاق، لكنها متماسكة جداً ومثابرة جداً.

ففي فرنسا، كانت هذه المدرسة قد تكوّنت في البداية من فنانين مثل: «غريس، وبراك، وأوزنفانت، وجنيره، وديلوني، وماركوزي، ومتزنجيه، وغليز، ولجيه». وفي



براك: «طبق فواكه»، ١٩١٣م

وفي وقت من الأوقات، استخدم ماتيس، ودوران الأسلوب التكعيبي في الرسم.

ويمثل التكعيبيون الحقيقيون نظرية متماسكة في الفنّ، وذلك على الرغم من الاختلاف الكبير في أساليبهم وطرائقهم.

وكان سيزان لا يزال في ذلك الوقت ممسكًا بنظرية مماثلة، لأنه كان يعتقد أن رسومه تمثل أو تصور طبيعة الشيء الذي يجرى تصويره، أو أنها كانت تمثل الإحساس الذي تعطيه طبيعة الشيء الذي يجري تصويره.

وكان فنّ سيزان، وعلى الرغم من التنظيم الذي فيه، لا يزال فنًا متصفًا بالمحاكاة والتقليد، غير أنَّ الفنان التكعيبي، الذي يتخذ من الشيء نقطة انطلاق، يستخلص معنى من المعاني مستخدماً في ذلك المخارط والمساطر والمربعات والخطوط المستقيمة والخطوط المنحنية والسطوح والأشكال المجسمة، إذا أردنا استخدام عبارات أفلاطون (١١).

ويمكن أنْ يكون لهذه العملية التجريدية مظهر العملية الميكانيكية ممّا يترك مجالاً ضئيلاً للدور الذي يقوم به الإحساس الذاتي الفردي للفنان. وفي الواقع،

ألمانيا، ضمت هذه المدرسة «مارك، وفينجر، وبوميستر».

وفي فرنسا ولفترة من الزمن، مارس بيكاسو تأثيراً بارزاً في حين في ألمانيا كان كيندنسكي في المقدمة من حيث كتاباته في موضوع الفن، ومن حيث رسومه أيضاً.

لا يوجد هناك شيء يمكن أنْ يكون أكثر تفردًا في شخصية العمل الفني وتفردّه الذي يبدعه الرسامون التكعيبيون المختلفون، وليس هناك أحد يخلط بين عمل فني موضوع من قبل براك وعمل فني آخر موضوع من قبل لجيه. وعملية التجريد هذه - التي هي بعيدة عن تفريغ العمل الفني من شخصية الفنان - تترك شخصية الفنان حرّة لتتألق بوضوح؛ وذلك بقيامها بإزالة القناع العاطفي عن الواقع، وهكذا، فالمناظر الطبيعية وصور الأشخاص تكون لها شخصياتها - إذا جاز التعبير - ويكون من السهل على الرسام الناسخ قيامه بإخفاء النقص في شخصيته بواسطة شخصيات الأشياء التي يقوم بتصويرها. ولكن الرسام التكعيبي - الذي يجرد موضوعه من كل الوسائل العَرَضية التي تساعده على التعبير الذي هو يعتمد على تركيب الشكل بواسطة خطوط مستقيمة وخطوط منحنية وسطوح وأشكال مجسمة - يقف عاريًا أمام العالم، وسوف يتوضح بالعلاقات التي كان هو نفسه قد حدّدها (١٢).

## تكعيبيون متصلبون وآخرون متساهلون

ويذكر أيضًا هربرت ريد في كتابه «الفن الآن» أنه، وبسبب شدّة الوضع الذي بموجبه تكشف الشخصية عن نفسها في الرسم التكعيبي، لا توجد صعوبة في تقسيم التكعبيين إلى مدرستين يمكن تسميتهما «المدرسة المتصلبة»، و«المدرسة المتساهلة»، إذا أردنا استخدام عبارات وليام جيمس. ويبدو أنّ التكعبيين المتساهلين - مثل: «براك، وخوان غريس - هم أولئك الذين يتّجهون بتجريدهم نحو غاية زخرفية. وتكون رسوم هذه الفئة متحفظة من حيث استخدام الألوان، ومعمولة بشكل حذر، ومؤثرة بشكل إبداعي، ويرتبط تأثيرها العام بالتناغم الشبيه بتناغم رسوم الحياة الصامتة الموضوعة من قبل شاردان، ويبدو كذلك عليها أنها تحمل في طياتها نفحة من العالم العضوي، ومسحة من العمليات الحيوية.

وتختلف كثيرًا عن هذه الرسوم نتاجات التكعيبيين المتصلبين مثل: «لجيه، ودوشامب، ودوشامب - ڤيّون»، حيث يكون هنا قمع لكل إحساس عضوي، أي: يكون هنا في عالم من إحساس غير عضوي، إحساس ميكانيكي. وإذا كانت هناك همسة، فهي همسة المكنة ... هو صوت مكنة توليد الكهرباء أو مثقاب الصخور أو المضخة الهايدروليكية. ويربط هذا الجانب في التكعيبية بالحركة الفنية المسماة «البنائية» (١٣).

وربما يكون من الصعب جدًا تقبل هذا الجانب في التكعيبية. ومن المستحيل ألاّ ينبهر الشخص ذو الإحساس الصادق والعقل الخالي من التعصب بلوحة موضوعة من قبل براك، ولكن سيكون الأمر مختلفًا مع رسام آخر مثل لجيه حيث لا يوجد مجال هناك للوصول إلى إحساس أو انبهار أو وظيفة زخرفية؛ فالألوان ستكون متنافرة وغير منسجة، وسيكون الشكل مضطربًا وقاسيًا. ومن السهل رفض هذا النوع من الفنّ على أساس افتقاره إلى الإحساس. (١٤).

المراجع

١- جه. تي. مولر / فرانك ألغر، «مئة عام من الرسم الحديث»، ترجمة فخري خليل ومراجعة جبرا إبراهيم جبرا، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، عام ١٩٨٨م، ص ٧٩.
٢- حسن محمد حسن، الأسس التاريخية للفن التشكيلي المعاصر، دار الفكر العربي، بغداد، عام ١٩٧٢م، ص ٢١١.
٣- المصدر نفسه.
٤- موسوعة ويليام فليمنغ، «فنون وأفكار»، دار النشر هولت/راينهارت/ ونستون، أوهايو، عام ١٩٨٠م، ص ٤١٦، الطبعة السادسة.
٥- المصدر نفسه.
٦- المصدر نفسه.
٧- موسوعة لاروس، «الفن الحديث»، طبعة عام ١٩٧٤م، ص ٢٦٩.
٨- المصدر نفسه.
٩- موسوعة سام هنتر/جون جاكوبوس، الفن الحديث، ١٩٨٥م، نيويورك، ص ١٣٢، الطبعة الثانية.
١٠- المصدر نفسه.
١١- «الفن الآن»، هربرت ريد، ترجمة فاضل كمال الدين، دائرة الثقافة والإعلام (الشارقة)، عام ٢٠٠١م، ص ٩٠.
١٢- المصدر نفسه.
١٣- المصدر نفسه.
١٤- المصدر نفسه.

# حبيبتي قُبْلة

**سعد البواردي**
الرياض - السعودية

أريدها سعيدة
لا تطعم الحزَنْ
لأنها أسيرة
في قبضة الزمن
هل تعرفون من تكون
هذه.؟ ومن..
من أجلها. وعشقها
دفعت غاليَ الثمن؟!
أمي التي أحيا لها
وهلْ في مثلها «وطنْ»!

هل تطفئُ نارَ القُبلة قُبْلَهْ؟!
أأنا بسؤالي هذا أبلَهْ؟!
«عنتر» جُنَّ على شفة
زادتها وَهْجًا «عَبْلَهْ»
القُبلةُ قَطْرُ نَماءٍ حيٍّ
يَنْبِتُ بعدَ جفاف قُلَّهْ
خذْها من شفةٍ لا تخشى
العاشق لا يخشى مثلَهْ..
الحب بلا نبع يَروي
محض سراب ألقى ظِلَّهْ



# البحر يروي سيرة السندباد

**عبدالله بن صالح الوشمي**
الرياض - السعودية

مولَعٌ بالرّحيلِ قد مات فيه
من بعيدٍ صوتُ الزمان الأخيرِ

حطَّم البَرَّ واستراح إلى البحـ
ـر ونامت أوتارُه في ضميري

تَخِذَ الموْجَ مركبًا لو تراهُ
في ظلام الظلام يتلو سطوري

واسألوه عن البِحار فكم بحـ
ـرٍ توارى تحت السؤال الكبير

كم تَمطّى على البحار وكم نا
م وحيدًا بين المُنى والسَّعير

قادمٌ كالبُراق لا تَعذلوهُ
حين نام التاريخُ بين القبور

غاضبًا يهجر البلادَ لياليـ
ـهِ حُبالى« وفجرُهُ من حَرير

لا تَخَفْ لا تخف فها هوَ موسى
بعد حَرْفَيْنِ نائمًا في سريري

أيّها السندباد ما زلْتَ فجرًا
في ظلام السؤال أنتَ سميري

دونَكَ الليل فاتّخِذْهُ بِساطًا
تَعِبَ الوردُ من سؤال العَبِيرِ

لا تقولوا: معذَّبٌ، سوف يبدو
ما وَعاهُ العذابُ بين البحور

ليس قصْرًا إن كان من سعَف النخـ
ـل تَحايا للهيكل المَنثورِ



لا ولا الليلُ ليلُه إنْ دَجا الليـ
ـلُ وكانت أجفانُه في الخُدور

لا تُنادوا عليه قد صار شمسًا
ليس للشمس من مقامٍ أخيرِ

قال عن همِّهِ حديثًا طويلاً
رحم الله سيّدي من أميرِ

أبدًا يكتب القصائدَ بالدَّمـ
ـع فلا جوقةٌ ولا من حضور

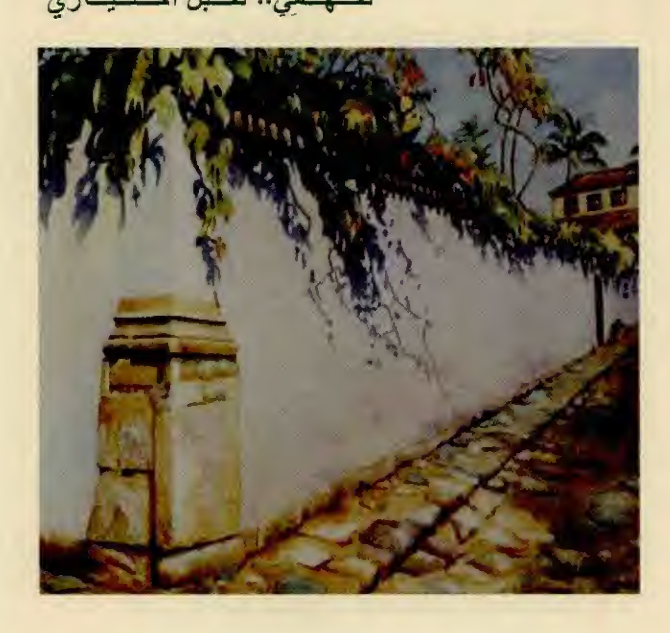
إنْ يَغِبْ فالسؤالُ يبقى سُؤالاً
وهَجيرُ القلوبِ بعضُ هَجيري

وعلى شاطئَيْ نَمَتْ ألفُ شمسٍ
وفروعي تبعثرتْ في جذوري

# الزَّهر.. والهدايا

**عميرش لمين**
قسنطينة - الجزائر

رأيتُـــهَـــا تَــحُــومُ بـالجِــوارِ
بَاسِـــمَـــةً كـــأولَ النـهـــارِ
وفـي يديـهـــا سَلَّةُ الـهَـــدايا
مَـرْشُـوشَـــةٌ بالزهر والـثـمـار
تقـولُ لي: يا سـيــدي تفـضَّلْ
لـو بيـــدي أهديكَ مـــا أداري
أهْديكَ طيْـــرًا أبيـضًـــا نقِـيًـــا
ونَجْــمَــــةً بـآخـــر المَدَارِ
أهديك.. عُـمـري كُلَّهُ.. ومـالي
خَـواتمي.. سـلاسلي.. سِـوَاري
كُلَّي أنـا.. أنوثتي.. بَـهَــــاري
حــدائقي منيـعـــة الجـدارِ
لكننـي يا ســــيــــدي المُفَــدَّى
أخـشى على كَنْزِي مِنَ البَـوَارِ
أخــــشى على تَفَـــتُّحي
كَــــــزَهْرَةِ البــــــراري
وإنَّ كنزي مُنْذُ ألفِ عـــــامِ
فــــراشَـــةٌ ظريفــةُ الحـــوار
مَلِيـسَـــةُ الأحــلام كـــالمرايا
عَـمـيـقـة الأسـرار كـالبـحـارِ
بســيطةُ الأفكار كـــالأفـــاعي
مهيبةُ الأعماقِ كالصحاري
حَـــــذَارِ! مِنْ تَطرفي وناري
حَـذَارِ! مني.. سـيـدي حَـذَارِ!
مُـجرد الإحـسـاس بانْكساري
يجـعلني.. كـالثـور.. كـالقطار
كالبَرْقِ، كالأمطار.. كالإعصار
وكـــالرُعــودِ لَحْظَة الدمـــارِ
أرجـو فـقَطْ مِنْ سَـيِّدي قليلاً
تَفَــهـمِي.. تَقَــبُّلَ اخـتـيـاري



# قبس

**أحمد الخير**
اللاذقية - سورية



دَمْعَةٌ ترتابُ في عَيْنَيْكِ
يا ظبيةٌ
أمْ هُدْبُ الغَلَسْ
أمْ يراعاتٌ مِنَ اللوعةِ
يَجْرَحْنَ
فضاءَ مِنْ يَبَسَ
أيها..!؟
أنت نَسيجُ القلبِ والموالْ
والسِّفْرُ الذي قد يَهَبُ الرُّؤيا
إذا شاء
وإن شاء حَبَسْ

****

و.. لقد تأتي إلى الشُّبَّاكِ
هَمْسًا
كخيالاتِ العَسَسْ
تَسألُ النازفَ في القلب
سلامًا
وتُما ري: لم أكنْ أنْوي
ولكنَّ النَّفَسْ
ضاق بي، فانسابَ يَمْتَاحُ شَذْورًا
مِنْ أنَسْ
ومَضَى، كَيْفَ مَضَى..؟
ثُمَّ حجَابٌ، أو هُذَاءٌ
أوْ قَبَسْ
قَادَهُ نَحْوَكَ يَا.. مَنْ
بَيْن جِنْحيَّ توارى
أوْ تمادى وَجَلَس
كاشِفًا سِتْرِيَ كالبيرَقِ
في عَيْنِ الحَرَسْ،
ووَجِيبِي تِرْبُ خَوْفِي
يَرْتَدِي اللَّوثَةَ
أو شَادِي الجَرَسْ!

# هواجس

**حسب الله يحيى**
بغداد ـ العراق

لم تكن تصدق أبداً أن الرجل الذي دفن.. هو ابنها.. لا لأن ابنها لا يموت في الحرب مثل سواه من الرجال.. لأن الحرب قدر أعمى، ولا لأن الرجل الذي تم دفنه لا يشبه ابنها.. لأن الحرب تلغي كل الملامح ولا تبقي إلا على ملامحها هي.. ولا لأنها رأته حيًا في أحلامها لأن أحلام الحرب، صور من الدم والدموع.

لم تصدق أن ابنها الوحيد يرقد تحت التراب الآن.. لأمر ما، لهاجس حقيقي يقول لها.. الوقت مبكر عليه لاحتضان التراب، ولأن التراب تباهي خضرته ابتسامة وجهه، مثلما تباهي الشمس وجوه الناس ونظراتهم العميقة. هواجسها لا تكذب، لأن الكذب تشويه وتستر وعتمة. هواجسها لا ترسم لها السراب. ولا تزينه لها.. أو تجعله بحراً أو قوس قزح، هواجسها قدت من نور وبهاء وصدق يبوح لها ويكشف عن الحقيقة التي تكمن في صميم قلبها.

لم يكن هو أبداً.. لكن من يرقد، يحمل قرصه، القرص الحربي الذي دوّن عليه اسمه.. والقرص دالة، والدالة تقول: إنه هو.. وإن الأرض قد فتحت لاستقباله هو.. وإن هذا النحيب.. عليه، على شبابه الذي أطفأت الحرب نوره، فهل تكذب كل ما ترى وتعلم ويؤكد لها؟

هواجسها تؤكد أنه ليس هو، ليس الرجل الذي يشعل ضوء قلبه حبًا، وروحه محبة، وفي رأسه حكمة، وفي إرادته تصميم وتحدٍ وشجاعة من طراز خاص، هواجسها تقول.. ما لا يقوله العقل والمنطق وقت الحرب.

الحرب.. الحرب لها مفرداتها، مثلما لها أسلحتها، مثلما لها رجال يتباهون بها. تؤمن بهذا، تجده سبيلاً لتأكيد قناعاتها وهواجسها، كانت المرأة الوحيدة التي لم تبكِ من بين كل النساء، الوحيدة التي لم ترتدِ ثوب الحداد، لم تقبل التعازي.. ولا طقوس الموت.

وعجب الرجال من أمرها قبل النساء، عدّوها خرِفة، وقد أصابها خاطر من الجنون من وقع خبر فقدان وحيدها. . احترموا جنونها، وإن كانوا يخشونه. راقبوا صمتها الطويل، وإن كانوا في حالة فزع وترقب من مفاجأة ما، قد تؤدي إلى انفجار..

تنبهوا إلى أنها كانت امرأة ساكنة مستقرة، لكنهم حسبوا للأمر حساباته، وأنه قد يكون تحت هذا الرماد الخامد.. ثمة جمر، يمكن أن يؤدي إلى الاشتعال. غموض.. قبلوه وخافوا منه وترقبوه.

و.. ومرت أيام.. والأم على حالها.. تعيش حياة عادية، مستقرة، وكأن مسألة فقدان ابنها الوحيد لا تعنيها، وبدأت سيرتها ترد على كل لسان.. وكل لسان ينقلها إلى ألسنة.. والألسنة تعجب وتؤول وتثير الأسئلة.

كانت تفضل الانفراد بنفسها.. وتركوا لها هذه



الرغبة.. وإن كانوا قد وضعوها في دائرة رقابية خفية ومشددة.. ومع ذلك عجزت هذه الرقابة عن تحديد هل كانت نائمة أم يقظة، فقد وجدوها، تجلس في سريرها ليلاً ونهاراً.. تهمس بكلمات لا يفهمها أحد، ولا يسمعها أحد، ولا أحد يمكن أن يؤكد هل كانت تتلو القرآن الكريم أم تتكلم على هواها.

لكنهم وجدوها مرة تضحك، ومرة تتحدث بوضوح غير مترابطة، ومرة تؤدي حركات وإشارات، بما يعني أنها تحدث إنساناً آخر.. واستقروا على رأي واحد، وقناعة واحدة.. هي أنها، باتت مغيبة الوعي.

وذات ليلة، عميقة العتمة، ماطرة، باردة.. سُمعت دقات ثقيلة على الباب. لم يسمعها أحد.. وكانت هي، هي الوحيدة التي سمعت تلك الدقات، وراحت تعجل نحو الباب تفتحه، دون أن تتوجه بالسؤال عن صاحب تلك الدقات التي أيقظت الليل العميق من نومه.

ـ أمي..

جاءت الكلمة صداحة، قوية، تملأ المدى كله، تبعث الكون، توقظه، تشعل الأنوار فيه، تعطر أجواءه.. و..و.. تبعث الحياة، حياة قالوا لها إنها ماتت! واحتضنت رجلاً، واضح المعالم، كانت قد رسمته بعمق في قلبها وذاكرتها وهواجسها.

ـ عدت.. عدت أخيراً. كنت الوحيدة التي أؤكد لهم أنك ستعود..

كانت تبكي بحرقة، كان بكاءً مؤجلاً، قد احتبست دموعه في عينيها..

كانت قطرات المطر تدق على النوافذ. كانت النوافذ موصدة.. وراحت تضرب على الأبواب والنوافذ.. والجدران.. تنادي الحي والجامد، السائل والساكن والفارغ من الأشياء التي تحيط بها جميعاً.

استيقظ الجميع، وفي ظنهم أن المرأة قد فعلت أمراً، وأن ساعة الترقب الجنونية قد حلّت، وأن كارثة جديدة.. عليهم مواجهتها الآن. في العتمة.. رأوا ملامح الرجل، وملامح أخرى لمرأة تمسك به، تحتضنه.

أشعلوا النور.. وتبينوه، هو، وليس من أحد سواه.. ابنهم الذي دفنوه.. قبل زمن بات عتيقاً.. منسياً.

ظلوا يحدقون في وجهه ملياً، إخوانه وبعض من كان من أقاربه.. كانوا في دهشة أن يصدقوا ما يرون، ويصدقوا ما كان من الشهادة والبكاء.

وحدها.. كانت مستقرة، فرحة..

جلس يحدثهم..

التفوا حوله، وقد تحولوا إلى عيون تفكر وتتأمل وتحس وتدهش وتترقب. بدا مبتسماً، واثقاً في حالة صحو واطمئنان وهدوء.

ـ فوجئت بـه جريحًا، حاولت إسعافه، ولم أفلح.. توسل إليّ قبّل يديّ، جعلني أقسم، أن أعده.. بدفنه في مكان يجله ويحترمه ويقدسه أن أواري جثمانه في النجف الأشرف، كان يريد أن يطمئن على موته، كان يقاتلني، يحاصرني برصاصه.. أما في تلك اللحظة، فقد كان بين يديّ جريحًا، وإصابته خطيرة، وموته محقق.

لم يكن بمقدوري إسعافه، سوى بالوعد.. وعدته أن أفعل.. وعدت خصمي، وعلي أن أفي بوعدي.. والوفاء يستحيل أمام قوانين صارمة تحول دون دفن الخصوم في مكان مقدس.

وعشت صراعًا حادًا بين الوفاء، والتمرد على القوانين، وبين الإهمال.. لجثة ليس بوسعها مواجهتي أبدًا.

خجلت من رجل لا أعرفه.. رجل مثلي لا يفي بوعده، رجل لا أعرفه. وحسمت الأمر على عجل.. نزعت سلسلة القرص التي تحمل اسمي ووضعتها على صدره.. وحملت الجثة راكضًا.. وصلت بها إلى زملائي، أوصيتهم بالرفق بها، وتأمين دفنها في المكان الأثير الذي أوصاني به الجندي قبل موته.

أعطيتهم كل ما أملك من النقود. أخذت عهدًا منهم بالوفاء.. وكنت أريد أن أفعل. لكن الحرب كانت تشتعل، ولم يكن بوسعي أن أكون خارج دائرتها.. طمأنت نفسي بالوفاء، واشتبكت الطرق أمامي، كان الموت على تماس مني، يلازمني كظلي.. حتى وجدت نفسي أسيرًا.

سكت لحظة، سحب فيها أنفاسه.. وكانت الوجوه تتطلع إليه بكثير من الأسئلة، وكثير من العجب والدهشة، حائرة بين أن تصدّق ولا تكذّب، بين أن ترفض وتسكت.

ـ وكل هذه المدة كنت أسيرًا..!

ـ ولم تتمكن من إعلامنا بأنك حي!

ـ وكيف تم تثبيت اسمك!

ـ كيف قضيت مدة الأسر، كيف تخلصت منه!

ـ ألم تجد أحدًا تبلغه بأمرك!

ـ هل كنت تعتقد.. أن زملاءك سيدفنون ذاك الجندي في المكان الذي أراده.. هل صدقوا أن ذاك اسمه؟ ألم يسألوا عن أهله؟! هل التقيت بهم مرة أخرى..؟

وظلت الأسئلة تتواصل، دون أن يجد فرصة للإجابة.. لكنه أفلح في مقاطعة أسئلتهم.

قال وعلى وجهه ابتسامة حزينة:

ـ أنتم تنظرون إلى الأمور، ونيران الحرب تشتعل، ولا يعرف المرء في أية لحظة يمكن أن يموت.. تنظرون إلى الأشياء، كما لو أنها كانت طبيعية، كما لو أن الحرب نزهة، كما لو أن الموت رحلة مسافر..

وراح يحدثهم عن طقوس غريبة، وأحلام فاجعة، وهواجس دامية، وفواجع مرة ومريرة.. اسمها الحرب..

كان الجميع يصغون، يفتحون عيونهم بكامل وسعها، كما لو أنهم يريدون أن يروا أكثر مما هو ماثل أمامهم.. كما لو أنهم يشاهدون فيلمًا متخيلاً، وليس أمامهم سوى الإعجاب بحذاقة تنفيذ مناظره وأداء شخصياته..

وحدها.. كانت الأم تفتش عنه، تتلمسه.. تريد أن تراه سالمًا، كاملاً.. غير منقوص بأعضاء جسدية كاملة، برأس ومعالم واضحة، بعينيه العميقتين، بسمرته التي رسمتها في دائرة رغيف الخبز، الذي تقدسه وتجد فيه بهاء الحياة.. لا عليها من سواه ممن هم حوله..

يستمعون إليه وهو يحدثهم عن تفاصيل كثيرة..

المهمة، الأهم، الأكثر أهمية عندها، أنه هو.. هو، هواجسها قالت لها إنه هو.. سيعود إليها، موجود، حي.. يتنفس، سيعود، بالتأكيد سيعود، سالمًا معافى.. بكامل شبابه. هواجسها لا تكذب. هواجسها، أحلامها اليقظة، آمالها جميعًا.. تراها فيه.. وهو أمامها، هو، وليس من أحد سواه، جاء كما قالت في نبضة في قلبها.. جاء.

# ثور المصلحة

**متولي الشافعي**
سامول - مصر

## (١)

جرجرته من فوق الحصيرة المطبوعة في قفاه، وركبتيه العاريتين، وساعديه المفتولين، تكومت أمعاؤه تحت قبضة يدها، تخرم الأنامل جلد بطنه، تهبش كفها الطليقة صدره، تتوه في تضاريسه، انساق معها، تطل برأسها الفضيحة من النوافذ والأبواب، تتعقد الخطوط في جبهته، لا لن يفعلها حتى لو لطخت وجهه بالطين تتقافز لتطول وجهه، يود لو ينحني لها لتشبع فيه ضرباً ولكماً حتى تستريح، تميل الدور وتتكركب وراءهم ببطء، يتشقق الشارع عن نباتات شوهاء تزداد خلفهم، تلعن آباءهم، يتكومون بعيداً ينسلون كورد النيل في ماء المصرف الكبير، تبصق في الهواء، ما الذي تنتظره يا ابن البلتاجي إذن؟ طحنت البامية الناشفة ثم عجبتها بعد أن نفضت فوقها (جوال) الدقيق الفارغ، تمدد قدميك باتجاه الباب الموارب، الله يرحم أباك، حمل الأسية في جوفه ورحل، تتقافز في الهواء، تلكمه في كتفه، يبرز شارع الدوار، يتسمر الأطفال في فوهته، يبلع عبد ربه بقية الكلمات، وهو يتساند على الشباك الواطئ، يتبعه الشرقاوي والنادي، ينادونها، يصفعهم صراخها المتصل، يتدحرجون خلفها، ارتخت يدها من فوق أمعائه، تتأمل كفها الأخرى التي امتلأت بالدماء المختلطة بشعر صدره النافر، انتفض الخفير من فوق المصطبة وهو يجذبه من يدها، كما انتفض ابن البلتاجي لما رآه للمرة الأولى، كان الثور الأعجوبة أحدوثة التملية والبلدة كلها، اندهش الناس جميعاً لارتفاع قامته وضخامة جسده، وترقبوا الاسم الذي سيطلقه عليه المأمور، قطعت قهقهات المأمور ما يدور في أذهانهم، وهو يشير نحوه وقال هذا هو البلتاجي، أسرع كبير التملية، وانحنى، وقال:

- يا زين ما اخترت يا بك، لو كان بينطق لقال أنا البلتاجي.

راغت عينا ابن البلتاجي يميناً ويساراً وهو ينز خجلاً وعاراً.

## (٢)

كان ظهر كف عبد ربه قد التصق بباطن كفه الأخرى، وقد تدلتا فوق مؤخرته فازداد انتفاخ بطنه في الفضاء، وظهر الشرقاوي المتقوس بجواره كمعدية فوق قناة جافة، بينما لا يتوقف ما تبقى من ذراعي النادي عن الانتفاض وقد استمرا في رعشة لا إرادية من تحت الثوب، بعد أن برزا كرأسي وتدين صغيرين في الهواء، يكظم عبد ربه غيظه وهو يمضغ ما تبقى من الكلام بسببها، فلقد كان على وشك أن يلقن النادي درساً قاسياً، حتى لا يتندر عليه مرة أخرى، فالنادي لا يملّ من الحديث عن بطولته أمام الدرّاسة، فهو أسرع رجل يلقّمها، عرفته قريتنا والقرى المجاورة، يصمد أمامها ساعات طويلة، لا يوقفه سيل الغبار الذي يتراكم داخل أنفه وصدره، ولا يهدّه صهد القيلولة، لا يملأ جوفها دفعة واحدة فينكتم حلقها، ويسقط السير الجلدي الذي يربط بينها وبين الحرّاثة التي تديرها، لا يقع النادي في هذا الفخ أبداً، فهو ليس بالغشيم، مأمور التفتيش قالها له، وهو يصفعه على قفاه، الدرّاسة تخاف منك يا نادي، لا يتعبها إلا أنت، أنت رجلها الحقيقي، توشح النادي بكلام المأمور، وغبطة أهل القرية جميعاً عليه، وفرقعت يد المأمور السمينة على قفاه،



أصبحت أمنية الكثيرين من أهالي القرية، النادي أسكره الكلام الحلو، يختال وهو يلقّمها عيدان القمح، يتراقص ينادي الشغيلة، ليلاحقوه بعد أن ينفد ما أمامه من أكوام القمح، والآن تفتح أفواهها، والنادي شاخ، سكاكينها تلمع تحت وهج الشمس، يقاوم أمامها، يقذف العيدان بخبرة العارف، تنتفخ العروق وتتلوى في ساعديه، والنادي يقاوم، والمأمور قالها زمان، أنت رجلها، هل يخور أمامها، تتسع أفواهها، يلقمها في صمت، تتكوم عيدان القمح أمامه وتتجاوز صدره، لم يعد يرى الشغيلة، ولم يعر تعليقاتهم انتباهاً، تخرج له ألسنتها، يتصبب عرقاً، ترتفع أرجل الشغيلة في الهواء، وتتدلى رؤوسهم في التراب، يناولونه العيدان بأرجلهم، تلمع السكاكين وتقترب، تبتلع أفواهها كفيه، تنهش السكاكين لحمه، وتقضم ما استطاعت من ذراعيه، ولأول مرة يسقط السير منك يا نادي، الحكاية هي الحكاية كما نعرفها، ولكنه يضفي عليها كل مرة شيئاً جديداً يجعلك تنصت لسماعها، ولكن هل يعطيك الحق لتسخر مني، وتتندر بمن؟! بعبد ربه يا نادي! والله لولا مجيئك يا فرحانة كالقضاء المستعجل، لردت له الصاع صاعين، الله يكون في عون امرأتك يا عبد ربه؟ وهو يشير نحو بطني المنتفخة، كيف تنام معها يا رجل؟ وامرأتك يا نادي ألا تستحق الدعاء هي الأخرى، بيدها تضع اللقمة في فمك، وبيدها تزيل عنك أوساخك، وعافيتنا تسربت منا جميعاً في أرض الأميرة يوماً بعد يوم، فلماذا تسخر مني يا نادي؟.

## (٣)

تميل رقبة العمدة من فرندة الدوار ليبصق، يتطاير الرذاذ في الفضاء المتسع أمام الدوار، فالربو أبى أن يفارق صدره منذ زمنٍ بعيد، وكلما دارت رقبة العمدة، يخيل إليك أن عبد ربه والشرقاوي والنادي يهمون بالوقوف، ورقبة العمدة لا تتوقف عن الدوران، وهم في جلستهم تلك القريبة من الدوار، حتى يتناقص الظل

المتشقق من فوق رؤوسهم وينسحب، حيث تمتد من فوق الأسطح عيدان الذرة الجافة، فيتجهون للصلاة، وهناك ينبرون في قص كل ما رأت أعينهم ووعت أفئدتهم، وما تراءت في خيالاتهم من صور وتفسيرات، كعمود الساري ينتصب ابن البلتاجي، يلسعه سؤال العمدة وهو يبصق باتجاه أمه فرحانة:

- ابن البلتاجي فاكر نفسه ابن باشا يا عمدة.. أسبوع وهو نائم في الدار.. وأنت أعرف العارفين.

- أأنت مجنون يا ابن البلتاجي؟ أبوك كان أعقل الناس يا ابني.

يأمر الخفير بأن يقيده ويضربه حتى تنط روحه من جسده، تتجمد أطرافها، وهي تتأمله، ثم تنظر إلى العمدة، وهي تتساءل:

- تقيد مَنْ يا عمدة؟!

- ابنك عقله فلت يا فرحانة.. ابنك أصبح خطراً.

- لا يا عمدة كله إلا الضرب.. أنا قلت إنك ممكن تصلح حاله بكلمتين من كلامك البارد.

أنا كلامي بارد يا فرحانة؟!

يسقط عبد ربه على الأرض وهو يعطي ظهره للدوار ويجلس كأن القيء قد فاجأه، وهو يسند بطنه بكفيه التي حتماً ستتفجر من كثرة الضحك المكتوم داخل جدرانها الرقيقة، واقتنص كل من الشرقاوي والنادي الفرصة فاتجها نحو عبد ربه كأنهما يساعدانه، أما الخفير (المفش) فلم يتمالك نفسه بعد أن سمع ضحكات كامل أفندي تجلجل من داخل الفرندة، تضرب منشة العمدة الهواء بقوة، وهو يلعن الجهل والقرية كلها، يلملم كامل أفندي ما انفرط، وهو يقول:

- فرحانة كبرت وخرفت يا عمدة، ولكن نيتها سليمة.

وتقدم ابن البلتاجي وقال:

- أخبرني الناس أن أمي وضعتني في أرض المصلحة، وسعيت وراء البلتاجي أبي وأنا صغير، كانوا يكتبونني بنصف بنفر، ولما أصبحت في حافظة الجمعية نفراً، رقصت الدنيا في قاعة دارنا، لا في يوم تعبت من الشغل، ولا مللت، لكن يرضيك يا عمدة، يا كبير بلدنا، أن المأمور يسمي الثور الكبير البلتاجي، باكر البلتاجي يحرث في أرض الكاجي، البلتاجي اليوم في أرض الأصالي، البلتاجي راح، البلتاجي جاء، فيضحك العمدة هذه المرة، وتهتز بطنه ومنكبيه:

- آه يا عبيط، المأمور كان يحب أباك، وأبوك كان أقوى رجل في البلد كلها، والعجل الذي أنعم المأمور على أبيك وسماه باسم أقوى ثور رأته المصلحة، ولا إله إلاّ الله، العقدة البارزة بين حاجبيه، تشبه العقدة التي كانت في جبهة أبيك، المأمور يعرف الأصول، و،العلم نور يا ولد، ثم إنه اختار لبقية الثيران أسماء ناس من البلد، كل واحد حسب رسمه وصفته.

- المأمور أمر أن أحرث عليه وألازمه يا عمدة.

- يعني خيراً تعمل شراً تلقى يا ولد، هو هدفه أن يذكرك بأبيك المرحوم دائماً يا ولد.

انتصب الثلاثة من جديد في منتصف الشارع، بعد أن تخلصوا من أكوام الضحك التي ملأت صدورهم، وظهر في أعينهم هذه المرة شيء من الشجن الممزوج بالحزن الدفين، وبينما كانت ضحكات العمدة وكامل أفندي تتوالى، اعتدل كامل أفندي في جلسته وقال:

كان الحاكم الإنجليزي قد أعجب ببنت من بنات الباشوات، رآها يا ابن البلتاجي صدفة.. أي والله صدفة.. وأحبها حباً شديداً.. سامع يا ابن البلتاجي، حباً شديداً، وطبعاً لا يستطيع أن يتزوجها لأنه على غير الملة يا ولد.. ماذا يفعل يا ابن البلتاجي.. .كان عنده كلبة حلوة.. فسمى الكلبة باسم بنت الباشا.. هل حزن الباشا؟.. لا والله يا ابن البلتاجي.. لأنه كان أعقل منك ومن أبيك.

تنقلت عيون فرحانة بين الجميع، ثم اتجهت نحو ابنها وبطرف كمها راحت تزيل أثر الخربشة من وجهه وصدره، ثم أعطت ظهرها للدوار وهي تربت كتف ابنها وتبعها الشرقاوي، والنادي، وعبد ربه، فتوالت بصقات العمدة باتجاههم وهو يقول: اسمع كلام المأمور يا ابن... البلتاجي.

وبعد أن تأكد عبد ربه أنهم ابتعدوا بعيداً بعيداً عن الدوار قالها بصوت خفيض:

- ابنك رجل يا فرحانة، والرزق بالله يا أختي.

# خطر يوم الأحد

**روبرت بنتشلي** *
ترجمة: زهير شفيق رومية
اللاذقية - سورية

لست رجلاً متشائماً بطبعي كما أنني لا أكتئب بسهولة. أقول دوماً: إنه لا مشكلة سواء بدا أن الشمس لن تتوقف عن السطوع، أو كم ستستمر العصافير في زقزقة متواصلة، فثمة على الدوام وابل من البرد عند الزاوية تماماً، وثمة مخزون من الزكام المخاطي جاهز لأولئك الذين يبحثون عنه فحسب. لا يمكنك أن تبقى طبع زوجة الأب العجوز على حال واحدة لفترة طويلة.

لكن، بصراحة، أرى أنه لا مفرّ من معضلة ظهيرة يوم الأحد. لقرون خلت، أصبحت ظهيرة الأحد لعنة بين أيام الأسبوع. قد تكون صبيحة الأحد مبهجة كفاية مع فنجان قهوتها الممتاز وصحف الأحد المبعثرة أمامك، لكن هناك دوماً التهديد المشؤوم للساعة ٣ بعد الظهر حين تستدير الشمس نحو النوافذ الخلفية وتهمد مسارات الحياة. لا يهمّ في أي موضع تكون، الصين أو في أعالي البحار أو في عش طائر، فحوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، يهبط نعش على أرجاء العالم ويبدأ الناس في كل مكان محاولة التفكير في شيء ما يفعلونه. ربما تحاول أنت أيضاً التفكير في فعل شيء في بيت الموت ذاك، لكن، حتى لو فعلت، إلى أين سيقودك ذلك؟! إنها ما تزال ظهيرة الأحد.

تبدأ الملاعق الزرقاء في التناوب مع الحلوى في غداء يوم الأحد. وتفقد الملاعق الثلاث أو الأربع الأخيرة من البوظة نهكتها، وتشرع أنت في تفتيت قطعة الكعك بدلاً من أكلها. ويخيم عليك هاجس محدد: ما إن تنتهي شرب فنجان القهوة، وقبل أن يمرّ وقت طويل، ربما أربعون أو خمسون دقيقة، ستشعر أن أخباراً سيئة في الطريق إليك، ربما تتضمن وفاة بعض الأشخاص الأثيرين لديك، أو برما أنت شخصياً. يفسح هذا الشعور المجال لنوع من الاستسلام. ما الذي يستحق أن نعيش من أجله؟ عند هذا التساؤل، تصبح الحلوى غير ملائمة لصحتك.

عندما تغادر غرفة الطعام وتتجول بلا هدف صوب غرفة المعيشة «في الحقيقة، لن يكون في غرفة المعيشة سوى القليل جداً مما يتناسب مع اسمها في تلك الظهيرة»، ويبدأ كل واحد في التثاؤب ضمنها. يوجد، على الأرض ركام جرائد الأحد التي بدت قبل الغداء حميمة ودافئة، أما الآن فهي مجرد بقايا كئيبة للطابع الزائل للحياة البشرية. ويخضر العمّ (بن) الأريكة ويغطّ في نعاس ثقيل. يستهلّ الأولاد شجاراً بينهم ثمّ ينضمّ الراشدون إليهم بما يهدد بتحوله إلى عراك بذيء يثير الغثيان.

«لم لا تخرجون للعب؟» يسأل أحدهم.

«بماذا نلعب؟» يأتي الجواب السريع والمفحم أيضاً.

يستحضر هذا، السؤال السابق، حول ما الذي يجب فعله، وتجرى محاولة جادة من قبل بعض النشيطين في المجموعة للتفكير حول الأمر، يذهب أحدهم إلى النافذة، ويلقي نظرة إلى الخارج، يضغط أنفه على اللوح الزجاجي ويتنفس شارد الذهن في مواجهته، ويرين صمت طويل بينما تنظر أنت إلى كومة الصحف كي ترى إن كان قد فاتك شيء منها أثناء تصفحها في الصباح.لقد قرأتَ حتى أخبار السفن وإعلانات الكتب.

«تبدو حياة سوزان. ب. أنتوني كما لو أنها كتاب جميل رائع!»

«ما الذي يجعلك تظنّ ذلك؟» يستفسر «إد» بنزق. قدِمَ «إد» إلى الغداء لأنه كان وحيداً في البلدة ويتمنّى لو أنه لم يأت. إنه يفكّر للتوّ في عذر ما كي يستقل قطار العودة باكراً.

ليس ثمة سبب معقول كي تحسب أن حياة سوزان .ب. أنتوني قد تكون ممتعة. إنك لا تقول شيئاً. على أية حال، أنت لا تفكر حقيقة في أنها ربما تكون ممتعة.

يقترح أحدهم القيام بنزهة مما يثير سخرية المجموعة. تحظى فكرة زيارة الجسر بموافقة اثنين فقط من أصل أربعة ضروريين للقيام بأي شيءيثير الحماس. تدنو فترة وصول الأخبار السيئة متسارعة، وحتى الآن تبدو أنها، إلى حد ما،

سوف تتضمن أخباراً عن الموت تتخلل أشعّة الشمس النافذة وتسقط على الكرسي الأخضر فيتضح أنه بحاجة إلى تنجيد، كما أن السجادة تبدو بحالة رثة. على أية حال، لا يبدو ثمة أي معنى للحصول على أثاث جديد طالما أن كلاً منّا سيموت قبل أن يمر وقت طويل.

ثمة ما هو هزلي في سطوع الشمس ظهيرة الأحد. فبينما يكون في بقية الأيام سطوعاً عادياً بل ومفرحاً في منتصف النهار، إلا أنه يأخذ ظهيرة الأحد طابعاً خشناً نفاذاً لا يفعل شيئاً إلاّ أن يُظهر عيوب الأثاث.

لا يختلف الأمر أينما كنت، سواء تتسكع مع وجبة غذاء خفيفة في هونغ كونغ أو تلمّع النحاس على يخت في بحر الشمال؛ أو ربما تتمشى في ممتلكات واحد من نواب الرؤساء لشركة كبيرة موثوقة أو تعلم القراءة للهنود الحمر في اريزونا. أينما كنت، تجعلك شمس ظهيرة الأحد غير راض عن أي شيء تسقط عليه. يجب أن تتجنب ذلك.

حين وصلت القاطرة، بدا كأن معضلة ظهيرة الأحد قد حلّت يمكنك أن تقفز وتدخل من الباب الخلفي للعربة القديمة التي تنفث الدخان وتندفع نحو الريف هناك، على الأقل يمكنك ألاّ تسمع الناس يعزفون «النار سيوس»(١) على البيانو ظهيرة الأحد على بعد عدة بيوت. «هناك، يعزف الناس دوما «النارسيوس» ظهيرة الأحد؛ وإذا كان ثمة صوت يعبر عن ظهيرة الأحد فهو صوت البيانو على مسافة عدة بيوت». من الصحيح أيضاً أنه حتى في الريف، على بعد أميال من أي شيء، يمكنك دوماً أن تكتشف أنك في معمعة ظهيرة الأحد من خلال السلوك الغريب للطيور، لكن هناك على الأقل يمكنك أن تجد حقلاً رحباً تلعب فيه «الشقلبة»(٢) «عليك أولاً أن تخرج الفكّة من جيبك» أو يمكنك أن تصدم رأسك بشجرة بلوط ضخمة ويخمد إحساسك. يمكنك أن تفعل ذلك، على الأقل في الأيام الأولى لقيادة أية سيارة لكن، حالما يحصل الشخص على سيارة فإن الشيء الأول الذي يفعله تلقائياً هو الهروب من ظهيرة الأحد وما ينجم عن ذلك من ازدحام الطرق الريفية في محيط مئات الأميال حول أية مدينة، حيث تصبح هذه الطرق كأسواق المزارعين القديمة ما خلا الماشية والبضائع المكدسة. الفرق الوحيد، في هذه الأيام، بين ظهيرة الأحد في كل منالمدينة والريف أنك، في الريف، لا تعرف الناس الذين حولك.

بعيداً عن التعاسة التي تحس بها وأنت محشور بين غرباء على الطريق الريفية غير عارف بما ستتحدث خلال ساعات الانتظار الطويلة لتدفق السيارات نحو الأمام، يكمن الخطر الحقيقي لوباء ما. لنفترض أن شخصاً ما اصطحب طفلاً معه للتنزه في الريف يوم الأحد، بينما هما يشقان طريقهما وسط مئات آلاف المتنزهين، إذ يلتقط الطفل التهاب اللوزتين. إذن سيكون حامل المرض هناك، على احتكاك بثلث الجمهور على الأقل، وينفث الجراثيم يميناً ويساراً، وربما يستهل ذلك وباء يكتسح الريف بأكمله قبل أن يتمكن من في الحشود من العودة إلى بيوتهم والغرغرة بالماء. من المعلوم جيداً أن شقق الإيجار المكتظة وأنفاق المشاة هي أرضية خصبة لأمراض الأنف والبلعوم. ترى، هل ينبغي أن نترك الطرقات الريفية ظهيرة الأحد بلا أية عناية رسمية؟.

في الواقع، ليس لديّ حلّ لمشكلة ظهيرة الأحد، على الأقل، ليس ثمة حل أثق به. ربما يكون الحل الوحيد الذي قد ينجح هو أن يضرم المرء النار في المنزل حوالي الساعة ١:٣٠ ظهراً. إن بقيت النار مشتعلة طويلاً فإنها ستسبب إثارة تكفي لتنسيك في أي يوم أنت، على الأقل إلى أن يحين المساء وتشعل الأنوار. أو ربما تنزل إلى القبو بعد الغداء مباشرة وتفكك الفرن متعهّداً أمام نفسك أن تعيد تجميعه بعد العشاء. في هذه الحالة، على الأقل لن يصلك ضوء الشمس وأنت هناك. أو يمكنك أن تستأجر بدلة غطاس وتذهب إلى أقرب شاطئ وتقضي فترة الظهيرة تحت سطح الماء وأنت تتمايل ملتقطاً شقائق النعمان البحرية وقطعاً قديمة من حطام سفينة غارقة.

على أية حال، الطريقة التي جربتها بنفسي وبنجاح معقول وكلفة زهيدة، هي أن أشتري حبوباً منومة من أقرب صيدلية وأضعها خلسة في فنجان قهوتي ليلة السبت، وأسرع إلى النوم. حين تستيقظ صباح الإثنين. ربما لن تشعر بالهشاشة، بل بأن يوم الأحد قد انقضى. وذلك الذي جربته، هو ما سنكون عليه فيما بعد.

الهوامش

* روبرت بنتشلي (١٨٨٩-١٩٤٥م):
عمل في عدة فنون، مؤلفاً وكاتباً مسرحياً وممثلاً وناقداً، وعرف واحداً من أكثر ظرفاء أمريكا المحبوبين؛ إذ كان مولعاً بالموضوعات والمواد الأدبية المثيرة التي تدور حول التقنيات الحديثة، وانعكست هذه الروح في مجموعاته الهزلية الجذلة مثل «من الفراش إلى الجحيم، سنوات العشر في كوانداري».

١- النارسيوس: معزوفة موسيقية مشهورة حول شاب جميل تزعم الأسطورة الإغريقية أنه افتتن بجمال صورته في الماء فلوى جسده وتحول إلى نرجسة.

٢- الشقلبة: حركة بهلوانية يقلب فيها المرء رأسه على عقبيه.

المصدر

Great Short Stoaries of The World, Selected By the Editors of the Reader's Digest.
Printed in the U.S.A Fourth Printing, August 1978.

# قيصرة العربية المعاصرة


ردود وتعقيبات

العربية المعاصرة: أخطاء وأمثلة

اطلعت في العدد ٣٢١ من الفيصل على مقال بعنوان «العربية المعاصرة» للأستاذ صلاح الشهاوي فوجدت لزوماً عليّ أن أكتب هذا التعقيب على ما ذكر في مقاله.

ذكر الأستاذ صلاح جملة من الأخطاء الشائعة وصوابها ثم شرع بالحديث عن مستويين من العربية، وصف إحداهما بعربية التراث، والأخرى بالمعاصرة، ثم تحدث عن أخطاء فصحى التراث وقبول الصحيح من فصحى العصر «على حد تعبيره».

وقد استهل مقاله بالحديث عن استعمال «بينما» فذكر أن من الخطأ استعمالها في درج الكلام وأنها لا تستعمل إلا في صدر الكلام مستدلاً بقوله صلى الله عليه وسلم «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذا خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامه».

إلا أن الصواب أنها تستعمل في صدر الكلام ودرجه والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث يأجوج ومأجوج الطويل «تفتح يأجوج ومأجوج .. فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون .. فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماء ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم ولننازلن أهل السماء حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم فيقولون قد قتلنا أهل السماء فبينما هو كذلك إذ بعث الله دواب كنغف الجراد فتأخذ أعناقهم ..» رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري في باب فتنة الدجال وصححه البوصيري.

ومما ذكره صاحب المقال من الأخطاء الشائعة استخدام النقاد والكتاب كلمة «سمات» في معنى العلاقات والخصائص المميزة لأسلوب هذا الكتاب أو ذاك مستدلاً بأن المعنى الحقيقي «ما كان يوسم به البعير من الصور والعلامات ليعرف بها عند العرب وكانت الوسيلة هي الكي والنار».

والصواب أن الوسم «الكي والنار» لا يجمع على سمات، إنما يجمع بمواسم ومياسم كما ذكره القاموس المحيط ولسان العرب في مادة «الوسم»، وأما سمات فهي جمع لسمة، وشتان بين الوسم والسمة، وليس في الاستخدام الذي ذكره لكلمة «سمات» أي خطأ لغوي خصوصًا أن فحول العربية استخدموها بهذا المعنى.

### هل هناك مستويان للعربية؟

ثم يبدأ الأستاذ بالحديث عن مستويين من العربية فيقول: «يحرص علماؤنا اللغويون المعاصرون على التمييز بين مستويين من

الفصحى التي نستعملها الآن: المستوى الأول: هو فصحى التراث أو الفصحى التراثية التي هي عنوان على الصحة اللغوية، ونموذج رفيع لسلامة التعبير، كما أنها السجل الذي يضم صفحات التراث الإسلامي في مجالاته الأدبية والدينية والمعرفية المختلفة.

المستوى الثاني: هو فصحى العصر أو الفصحى العصرية، وهي بدورها السجل الذي يضم علوم العصر الحديث ومعارفه، وتتنوع مجالاتها بتنوع حضارة المجتمع واتساع معارفه وغناها في مجالات العلم والفن والإنسانيات والأدب والسياسة والاجتماع والاقتصاد، فضلاً عن الصحافة والإذاعة والتلفاز.

ويرى بعضهم أنه إذا كان فصحى التراث أعلى في السلم اللغوي من حيث صحة الموازنة بفصحى العصر، فإن فصحى العصر أكثر غنىً واتساعاً ووفرة في المفردات والصيغ والقدرة على استيعاب ما يدخل في جسم العربية من مفردات وتعابير من اللغات الأجنبية نتيجة للترجمة أو التعريب فضلاً عن اتساعها المستمر لكل ما يضاف إلى المادة اللغوية نتيجة للاشتقاق والقياس والتوليد».

وهنا أسأل الكاتب؟ من هم العلماء اللغويون الذين يحرصون على التمييز الذي ذكره ؟ ولماذا لا يذكر واحداً منهم حتى نستطيع معرفة الغرض من هذا التمييز ؟

ثم ما الضابط بين المستويين؟ وما شواهد العربية المعاصرة ؟ هل ستكون من القرآن الكريم والسنة النبوية وأشعار قدماء العرب ؟ وبم سيستشهد ابن عقيل القرن الحادي والعشرين في شرحه لألفية ابن مالك ؟ هل بشواهد التراث أم بشواهد المعاصرة؟

وهل معاصرة القرن الحادي والعشرين هي نفس معاصرة القرن الثالث والعشرين والرابع والعشرين؟ وكم عربية سنستولد لتغطية احتياج عشرة قرون قادمة ؟.

ولماذا لم يذكر أئمة العربية المعاصرون لأبي العتاهية أو المتنبي تمييزاً بين مستويين من العربية مع وجود تنوع واتساع في المعاني والمفردات والصيغ في أشعارهم لم توجد في سابقيها من شعراء الجاهلية أو من جاء بعدهم.

إننا لا نرفض الاتساع في العربية، بل إن الاتساع والاشتقاق والابتكار هي روح العربية وأبرز سماتها، لكننا نجهض استيلاء أي لغة تحت أي مسمى يستخدم قواعد العربية وضوابطها.

ولماذا لا يكون الاتساع والاشتقاق امتداداً لتاريخ العربية كما كان في سابق عصرها وحتى لا يكون هناك تمييز بين لغة نتطق بها في حياتنا ولغة نقرأ بها كتاب الله عز وجل؟

## وصفان متناقضان

وبعد حديثه عن مستويين من الفصحى ينتقل ليصوب ما يراه ألزم للتصويب من مستوييها فيقول: «والآن إلى تصويب الأخطاء الشائعة من فصحى التراث، وقبول الصحيح من فصحى العصر».

وأتعجب من وصفين متناقضين لموصوف واحد، فكيف توصف الكلمة العربية بالفصاحة والخطأ في الوقت نفسه؟.

وكان بإمكان الكاتب أن يقول: «والآن إلى تصويب الأخطاء الشائعة من عربية التراث» حتى لا يتناقض كلامه.

وهل الأهم في التصويب والأكثر شيوعاً للخطأ عربية التراث أم عربية العصر؟.

هذا إذا سلمنا له ما ذكر من أخطاء عربية التراث، حيث إن علماء العربية يذكرون للفظ أكثر

من نطق وأكثر من معنى، وإذا خالفت لغة قوم، كهذيل أو غيرهم إجماع لغات أقوام آخرين حكموا على ذلك النطق بالشذوذ أو جوزوا في ذلك أكثر من وجه وشتان بين الشاذ والخاطئ.

واستدل بأول أخطاء التراث قائلاً: «كان لجهاد حزب الله أثره الفعال في تحرير جنوب لبنان وفرار الجيش الإسرائيلي والذي زعم كثيراً أنه جيش لا يقهر.

ولكي تصير هذه العبارة صحيحة لغويًا يلزمنا حذف الواو قبل الذي لأن الكاتب لا يقصد هنا العطف، فالعطف يقتضي المغايرة بين العطف والمعطوف عليه ..».

وأتساءل هل يصح استخدام نص صدر عن صحيفة أو إذاعة بعد الألف والأربعمئة هجرية في الاستشهاد بفصحى التراث!!

ثم كيف يقتضي العطف المغايرة كما يذكر الكاتب؟ والعطف هو وسيلة مطابقة الحكم بين المعطوف عليه وعشرين عطفًا يليه كـ جاء عمر وخالد وعلي وصلاح ..

ولو اقتضى المغايرة لزمنا تكرار الفعل «جاء» مع خالد وعلي وما يليهما.

## الفالَج والفالِج

ويذكر الكاتب من أخطاء فصحى التراث «على طريقة تعبيره» قوله: «الفالَج: تلفظ هذه الكلمة بفتح اللام فيقال: أصابه الفالَج وأصيب بمرض الفالَج وهذا غير صحيح؛ لأن معنى الفالَج بفتح اللام هو مكيال قديم كان يستعمل لكيل الحبوب، أما الصواب فهو الفالِج بكسر اللام، فيقال: فلج الرجل ـ على المجهول ـ أصابه داء الفالِج بالكسر؛ لأنه اسم فاعل، والفالَج : داء يحدث في أحد شقي البدن طولاً فيبطل حركته وإحساسه، سمي بذلك لأنه يأخذ شطراً من البدن في الغالب».

والصواب غير ما ذكر كاتب المقال؛ إذ الفالِج بكسر اللام يستعمل للمعنيين الذي ذكرهم وهذا ثابت في كتب فصحى التراث، فقد ذكر ابن منظور في لسان العرب في مادة فلج: «والفالَج ريح يأخذ الإنسان فيذهب بشقه وقد فلج فالجًا فهو مفلوج، قال: ابن دريد: لأنه ذهب نصفه قال: ومنه قيل لشقة البيت فليجة. وفي حديث أبي هريرة «الفالِجُ داء الأنبياء»، وهو داء معروف يرخي البدن قال: ابن سيده وهو أحد ما جاء من المصادر على مثال فاعل والمفلوج صاحب الفالَج».

وفي معنى المكيال يقول ابن منظور: «والفالَج والفلج مكيال ضخم معروف، وقيل: هو القفيز».

وختامًا أؤكد أن التمييز بين مستويين من العربية ليس مجرد اختلاف مسميات أو أنه تميز لا يترتب عليه نتائج سلبية.

إن لغة نزل بها القرآن الكريم وتكلم بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليست كأي لغة تخضع للتمييز أو التقسيم.

وقد امتدح الله سبحانه وتعالى اللسان العربي «فصحى التراث» في كتابه الكريم فقال سبحانه: *ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين* . **النحل: ١٠٣.**

وكل من دخل في الإسلام من الأعاجم فإنه يتعلم لغة القرآن الكريم حتى يستطيع تلاوته وفهمه.

إن ما تقوم به المجامع اللغوية في العالم العربي من اشتقاق وقياس وعمل مصطلحات لمسميات جديدة يعد من صلب العربية وروحها، إذ هو مبني على أصولها وقواعدها، فهو جزء من تاريخ العربية الذي لا يقبل التجزئة أو الفصل.

**إبراهيم خليل مظهر**
**المدينة المنورة ـ السعودية**




### أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٢٠)

صفر ١٤٢٤هـ / أبريل/نيسان ٢٠٠٣م.

الفائز الأول: محمد عبدالغفار علي ـ الدقهلية ـ مصر.
الفائز الثاني: ندى محمد حيمور ـ عمان ـ الأردن.
الفائز الثالث: عبدالرحمن يوسف جقلان ـ حلب ـ سورية.
الفائز الرابع: رشيد الصكلي ـ خنيس ـ تونس.
الفائز الخامس: عبدالله بن أحمد الرقيبة ـ مكة المكرمة ـ السعودية.
الفائز السادس: محمد أبو بكر نوح ـ نيامي ـ النيجر.
الفائز السابع: عادل المتولي البلتاجي ـ محافظة الغربية ـ مصر.
الفائز الثامن: ديمة محمد علي رمضان ـ الزرقاء ـ الأردن.

### حل مسابقة العدد (٣٢٠)

١ـ وكنت أعيرُ الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدكَ شاغله

قائل البيت هو: الشمردل بن شريك.

٢ـ الحسن الصبّاح: داعية فاطمي تزعم فرقة سرية متطرفة تعرف بفرقة «الحشاشين».

٣ـ الصوداليت: معدن شفاف ذو بريق.

٤ـ الأوبرا الصابونية: مسرحية إذاعية أو تلفازية مسلسلة تعالج مشكلات الحياة المنزلية

٥ـ السلوْر: نوع من الأسماك.

### أسئلة مسابقة العدد (٣٢٣)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجربِ
☐ الحطيئة ☐ لبيد بن أبي ربيعة.

(٢) ناناك: ☐ زعيم ديني هندي. أسس الديانة السيخية ☐ ملك بابل. أسس الإمبراطورية الكلدانية.

(٣) عضد الدولة:
☐ سلطان بويهي. يعد أعظم سلاطين الدولة البويهية
☐ سادس الخلفاء العباسيين. مات وهو في طريقه إلى الحج.

(٤) أحمد شاه:
☐ سلطان عثماني. بنى الجامع المعروف باسمه في إستانبول
☐ مؤسس دولة أفغانستان وأول ملوكها.

(٥) خليل مطران:
☐ شاعر عربي. عرف بطول النَّفَس وبراعة التصوير
☐ سياسي لبناني. قاد المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي لبلاده.

(٦) طاليس:
☐ فيلسوف يوناني. قال بأن الماء أصل الأشياء كلها
☐ جغرافي ومؤرخ يوناني تعدّ آثاره مرجعًا معتمدًا في التاريخ القديم.

الاسم: ............ المدينة: ............ ص.ب: ............ هاتف: ............

العنوان: ............ الدولة: ............ الرمز البريدي: ............ ناسوخ: ............

■ نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.




## شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

## طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

## مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

**ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.**
**والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.**

## تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.

عنوان المجلة:

ص.ب( ٣ ) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

# حق التضحية بالآخر
# أميركا والإبادات الجماعية

**نايف الظيط**
قسم التحرير

**يقدم كتاب «أمريكا والإبادات الجماعية» للأستاذ منير العكش شهادة على أبشع الجرائم والإبادات الجماعية التي تعرض لها الهنود الحمر السكان الأصليين لما يعرف اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية.**



حق التضحية بالآخر
أمريكا والإبادات الجماعية
**منير العكش**
بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٢م، ٢٠٠ص.

ولم تكن إبادة نحو ١٨.٥ مليون هندي على يد المستعمرين الإنجليز في المنطقة المعروفة بالولايات المتحدة حادثة فريدة في التاريخ الأمريكي، ولم تقتصر حروب الإبادة الجماعية على الهنود الحمر بل رافقت تاريخ الولايات المتحدة القديم والحديث داخل القارة الأمريكية وخارجها، وكانت من أهم عناصر فكرة أمريكا.

إن فكرة أمريكا (فكرة استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة) هي التطبيق العملي للفهم الإنجليزي لفكرة (إسرائيل التاريخية)، وكل ما نجده من تفاصيل الاستعمار الإنجليزي لشمال أمريكا حاول أن يجد جذوره في أدبيات إسرائيل، وتقمص وقائعها وأبطالها وأبعادها الدينية والاجتماعية والسياسية فكانوا يسمون أنفسهم يهوداً عبرانيين، ويطلقون على العالم الجديد اسم إسرائيل وأرض كنعان، وكانوا يقتلون الهنود، وهم على قناعة بأنهم عبرانيون أعطاهم الرب تفويضاً بقتل الكنعانيين.

إن يهودية هؤلاء المستعمرين الإنجليز هي التي أرست الثوابت الخمسة التي رافقت التاريخ الأمريكي في كل محطاته وهي: المعنى الإسرائيلي لأمريكا، وعقيدة الاختيار الإلهي والتفوق العرقي والثقافي، والدور الخلاصي للعالم، وقدرية التوسع اللانهائي، وحق التضحية بالآخر، وهي الثوابت التي يضيئها هذا الكتاب ويكشف عن طبيعة العنف الذي رافقها على مدى أكثر من ٤٠٠ سنة من الإبادات الجماعية.

## الوباء البديع

يضم هذا الكتاب بين دفتيه سبعة فصول رئيسة إضافة إلى الملاحق: جاء الفصل الأول بعنوان «الوباء البديع»، ويكشف المؤلف فيه أن الولايات المتحدة لم تعترف قط بعدد الهنود الذي أبيدوا في الشمال الأمريكي منذ بداية الغزو الأبيض الذي دشنه خوان بونس دوليون باكتشاف فلوريدا في بداية عام ١٥١٣م، وأن كتبها المدرسية لا تعترف بتاريخ لهذه المجاهل قبل كولومبوس، فقد كانت شبه خاوية من البشر تنتظر من الإله الذي خلع عليه

أوليفر كروموبل الجنسية الإنجليزية God Is an Eng-lishman «أن يهبط فيها آدمه ليؤنس وحشتها ويعمرها بالحياة».

بل إن الدليل السياحي لتمثال «الحرية الأمريكي» يؤكد أن تاريخ الإنسان في مجاهل الشمال الأمريكي لم يبدأ إلا مع وصول الإنسان الأبيض في أواخر القرن السادس عشر. أما تلك القلة المشاغبة من الهنود الذين لم يتجاوز عددهم يومها المليون فقد حفروا قبورهم بأيديهم، وأنهم ماتوا قضاءً وقدراً، وتمضي الكتب المدرسية فتصف هذا الموت القدري بأنه «مأساة مشؤومة يؤسف لها»، و«غير مقصودة»، و«لا متعمدة» و«لم يكن في الإمكان تجنبها» وهي «أضرار هامشية تواكب انتشار الحضارة وطريقة حياتها»، بل إنهم أكرموا الهنود فرفعوا تمثال امرأة هندية فوق قبة الكابتول، وجعلوه رمزاً للحرية.



الثقافة الهندية تعرضت لحملة تشويه منظمة

وهناك المئات من الكتب التي وضعها التاريخ المنتصر لما أسماه بعامل الأمراض، وهناك مئات الأبحاث والدراسات التي تسخر من فكرة إبادة سكان أمريكا بالأسلحة الجرثومية، فالجدري، والتيفوئيد، والخُناق والحصبة، وغيرها من أوبئة العالم القديم هي التي قفزت خفية إلى سفن المستوطنين ووصلت سراً إلى شواطئ العالم الجديد، ثم تسللت إلى أرواح الهنود في قراهم ومدنهم قضاءً وقدراً.

ويورد المؤلف في هذا الشأن عدة شهادات عن الحروب الجرثومية التي شنت على الهنود الحمر منها: أن وليم برادفورد حاكم مستعمرة بليموث يرى أن نشر هذه الأوبئة بين الهنود عمل يدخل السرور والبهجة على قلب الله «فما يرضي الله ويفرحه أن تزور هؤلاء الهنود وأنت تحمل إليهم الأمراض والموت، هكذا يموت ٩٥٠ من كل ألف منهم، وينتن بعضهم فوق الأرض دون أن يجد من يدفنه، إن على المؤمنين أن يشكروا الله على فضله هذا ونعمته».



كلينتون ونتنياهو

وقد أكد هوارد سيمبسون في مقدمة كتابه عن دور الأمراض في التاريخ الأمريكي أن المستعمرين الإنجليز لم يجتاحوا أميركا «بفضل عبقريتهم العسكرية، أو دوافعهم الدينية، أو طموحاتهم، أو وحشيتهم، بل بسبب حربهم الجرثومية التي لم يعرف لها تاريخ الإنسانية مثيلاً».

## الجنس اللعين

وجاء الفصل الثاني بعنوان: «هذا الجنس اللعين» يقول فيه المؤلف: إن هنالك اليوم أكثر من دليل على أن هؤلاء الذين كانوا ينشرون الأوبئة حيثما تطأ أقدامهم كانوا يعرفون من تجاربهم السابقة أن سياسة العمل بالسخرة والتجويع الإجباري والترحيل الجماعي وتقويض معنويات الضحايا تشحذ أنياب الأوبئة وتزيدها فتكًا، وتمرسوا على ذلك من الاجتياحات الإنجليزية لإيرلندا، أو من الحروب مع الأتراك. وكان نظام السخرة من أفتك أسلحة الأوبئة خصوصاً في فلوريدا، وتكساس، وكاليفورنيا وأريزونا، ونيومكسيكو، فكان الهدف المعلن هو تمدين هؤلاء المتوحشين في الدنيا وإنقاذ أرواحهم في الآخرة، فحملات التمدين والتطهير لم تكن إلا حصائد خرافية لتعليب هذا السردين الآدمي. بل أن الجيوش المحتلة لكاليفورنيا في عام ١٨٤٦م أبادت خلال العشرين سنة الأولى نحو ٨٠٪ من السكان الأصليين بسبب نظام السخرة، إذ سمحت السلطة السياسية لأصحاب مناجم الذهب والمزارع الأسطورية باستعباد الهنود كسلاح غير مباشر لإبادتهم، ونشطت تجارة خطف الأطفال والفتيات مما أدى إلى هرب الأسر الهندية من منعزلاتها وأماكن سكنها التقليدية.



جورج واشنطن

**الدليل السياحي لتمثال «الحرية الأمريكي» يؤكد أن تاريخ الإنسان في مجاهل الشمال الأمريكي لم يبدأ إلا مع وصول الإنسان الأبيض في أواخر القرن السادس عشر**

ويروي كينيث كارلي في انتفاضة (شعب) سو عام ١٨٦٢م كيف تعرض هنود سانتي داكوتا المسالمون للتجويع القاتل، وكيف أن أندرو ميريك مفوض الدولة الاتحادية للإعاشة أجاب عن احتجاجهم قائلاً لزعيمهم تاويا ندوتا المعروف باسم الغراب الصغير: «اذهب أنت وشعبك فكلوا من حشيش الأرض، وإذا سئمتم فكلوا خراءكم». عندها لم يتمالك الزعيم الهندي أعصابه فهجم على المفوض وقتله، ثم حشا فمه - وكان مهذباً - بالحشيش فقط، وهذا ما أدى إلى تعليق مشانق كل زعماء السانتي، وإلى انتفاضة شعب سو الشهيرة.

وكان الغزاة الأوائل يسمون بالحجاج أو القديسين فقد كانوا يعدون هذا العالم الجديد بديلاً عن أورشليم «الأراضي المقدسة»، ولا يزال التاريخ الأمريكي إلى الآن يضفي على هؤلاء الحجاج قداسة طوباوية، ويعدّهم أول أنموذج للاستثناء الأمريكي الذي فضله الله على العالمين، وأورثه ما أورث بني إسرائيل من قبل، فقصة هؤلاء الحجاج هي الأصل «الأسطوري لكل التاريخ الأمريكي ومركزيته العنصرية»، ولا يزال كل بيت أميركي يحتفل في «عيد الشكر» بتلك النهاية السعيدة التي ضمنت قصة نجاتهم من ظلم فرعون البريطاني وخروجهم من أرضه. وعلى الضفة الأخرى لهذه الأسطورة يعتقد الهنود أن الجحود هو المعنى الحقيقي لعيد الشكر، فقد عض الحجاج اليد التي أطعمتهم وسقتهم وانتشلتهم من الموت المحقق، وقد

**الجيوش المحتلة لكاليفورنيا في عام ١٨٤٦م أبادت خلال العشرين سنة الأولى نحو٨٠٪ من السكان الأصليين بسبب نظام السخرة، ونشطت تجارة خطف الأطفال والفتيات مما أدى إلى هرب الأسر الهندية من منعزلاتها وأماكن سكنها التقليدية**

سألت وزارة التجارة في ولاية ماشوستس بقايا هنود الوامبانوغ لاختيار خطيب للمشاركة في الاحتفال بالذكرى ٣٥٠ لعيد الشكر، ومما كتبه «هذا يوم عيد لكم وحدكم إنه ليس عيدي.. إنني أنظر إلى ما حدث لشعبي بقلب منفطر، فبعد يومين أو ثلاثة أيام من وصول الحجاج إلى «كايب كود» بدؤوا بسرقة قبور أجدادي ونهب ما لديهم من ذرة، وقمح، وحبوب، لقد شاهد القائد الهندي العظيم ماساسيوت زعيم شعب الوامبانغ ما فعله الحجاج، ومع ذلك فإنه وشعبه جميعاً رحبوا بالمستوطنين، وأبدوا لهم خالص الود.. إنه لم يكن يعرف أنهم بعد أقل من خمسين سنة سوف يبيدون شعب الوامبانوغ وغيره من الشعوب الهندية المجاورة، وسوف يقتلونهم جميعاً بالبنادق أو بالأمراض، نعم لقد أبادوا طريقتنا في الحياة، وقضوا على لغتنا، فلم يبق منا إلا القليل من الأحياء... وإنني حزين، وهذا ليس عيدي».

وفي أواخر ما يسمى بالحرب الهندية ـ الفرنسية ظهرت أول وثيقة دامغة تثبت استخدام الغزاة للسلاح الجرثومي عمداً. فقد كتب القائد الإنجليزي العام اللورد جفري أمهرست في عام ١٧٣٦م أمراً إلى مرؤوسه الكولونيل هنري بوكيه يطلب منه أن يجري مفاوضات سلام مع الهنود، ويقدّم لهم بطانيات مسمومة بجراثيم الجدري لاستئصال هذا الجنس اللعين. وتعد وثيقة أمهرست «حجر رشيد» الحرب الجرثومية التي كانت من أفتك الأسلحة التي



تمثال الحرية في شكل امرأة هندية

استخدمها الغزاة لتفريغ القارة الأمريكية من أهلها، وتحقيق فكرة أمريكا «فكرة استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة»، وفي منتصف السبعينيات من القرن العشرين اكتشفت الطبيبة الهندية توني أوري في سجلات المستشفى الذي تعمل فيه في ولاية أوكلاهوما نسبة مرتفعة جداً من عدد النساء اللواتي أخضعن لعمليات التعقير، ودهشت عندما تبين لها أن معظم الضحايا من نساء الهنود. ولتغطية

**تعرضت الثقافة الهندية المسالمة لحالة تشويه لازمت حرب الإبادة ، وصيحات التذويب الثقافي كانت تواكب حفلات السلخ، وتدعو إلى تدمير هذه الهندية، وإعادة بنائها بحجارة التاريخ الأبيض، والدين الأبيض، واللغة البيضاء، فنهب ما تبقى من أرض الهنود لا يتم إلا بتدمير هندية الهنود**

الجريمة عمد المسؤولون إلى ابتزاز الضحايا واستغلال فقرهن وحاجتهن إلى العلاج لإجبارهن بأساليب مختلفة على توقيع موافقتهن على أن يصبحن عاقرات، وعندما اكتشفت أمريكا الرسمية «لا أخلاقية» التعقير، سن الكونغرس قانوناً يعاقب من يمارسه.

### المتوحش!

وتحت عنوان «من المتوحش ؟» جاء الفصل الثالث الذي يبدأ بمقولة ياشفننا كيلياس زعيم هنود وولاوير: «يريدون أن يجعلوا منا عبيداً، وحين لا يتحقق لهم ذلك يقتلوننا. إياك أن تثق بكلماتهم أو وعودهم، إنها أحابيل، صدقني، فأنا أعرف سكاكينهم الطويلة جداً».

ويورد المؤلف مقولة كلاوس تنور صاحب كتاب «نظريات الاستعمار الإنجليزية»، أن الإنجليز أكثر القوى الاستعمارية الأوربية ممارسة وتعمداً للإبادة، وأن هدفهم النهائي في العالم الجديد كما في أستراليا ونيوزلاندا وكثير من المناطق التي يجتاحونها هو إفراغ الأرض من أهلها وتملكها ووضع اليد على ثرواتها خلال هذه المسيرة التي بدأت بإيرلندا، ولم تنته بعد، وقد تحكمت عقيدة الاختيار الإلهي والتفوق العرقي بسلوكهم وبنادقهم، واستحوذت على أخلاقهم وعقولهم ثم استعمرتهم بنظام متكامل من الذهان الهذائي انتهى بهم إلى تأليه الذات، وهذا ما أوهمهم بأنهم يملكون حق



الهندي لما يبق منه إلا جسده

الحياة والموت لكل من عاداهم، وأنهم في حل من أي التزام إنساني أو قانوني تجاه الشعوب التي يستعمرونها لا لأنها منحطة وحسب، بل لأنها في الغالب مخلوقات متوحشة لا تنتمي إلى النوع الإنساني، فقد ارتكبوا مذبحة «ووندوني»الشهيرة، وقد كتب فرانك باوم قبل تلك المذبحة يدعو إلى الإبادة الشاملة لما تبقى من الهنود: «إن أصحاب البشرة الحمراء قد أبيدوا، ولم يبق منهم إلا

**يهودية المستعمرين الإنجليز هي التي أرست الثوابت الخمسة التي رافقت التاريخ الأمريكي في كل محطاته وهي: المعنى الإسرائيلي لأمريكا وعقيدة الاختيار الإلهي والتفوق العرقي والثقافي، والدور الخلاصي للعالم، وقدرية التوسع اللانهائي وحق التضحية بالآخر**




لهوليود دور في تشويه صورة الهنود الحمر

مجموعة صغيرة من كلاب هجينة تعض اليد التي تطعمها ولا تتوقف عن النباح، أما البيض فإنهم بحكم الغلبة وبقضاء الحضارة أسياد القارة الأمريكية، وإن أفضل أمن لمستوطنات الثغور، يجب أن يتحقق بالإبادة الكاملة لهذه البقية الباقية من الهنود، إن موت هؤلاء الأشقياء خير لهم من الحياة».

وقد تعرضت الثقافة الهندية المسالمة لحالة تشويه لازمت حرب الإبادة وبذلك لم يكتف التاريخ المنتصر أن أطلق على غزواته واجتياحاته وحملاته اسم «حروب الهنود»، بل إنه أسقط كلّ عنفه وفظاعاته الدموية على الهنود بدءاً بسلخ فروة الرأس وانتهاءً بالتمثيل بالجثث - إن قتل مئة هندي أو حرق قرية هندية كاملة بمن فيها قد تحوله هوليود إلى مناسبة للضحك والتسلية، بينما هي تنسج من تلويح الهندي بيده في وجه الرجل الأبيض دراما مخيفة تجعلها عنواناً للعنف والوحشية التي تؤهله للموت. وعلى نقيض ما تروّج له هوليود والرسميون الإعلاميون وأكاديميو التاريخ المنتصر «فإن الرجل الأبيض هو الذي خلق عادة السلخ [في العالم الجديد] وإن أكثر جرائمها من صنع يديه».

أما مذبحة ساندكريك التي ذهب ضحيتها أكثر من ٨٠ هندياً أعزل اضطر الكونجرس إلى إجراء تحقيق في الفظاعات التي ارتكبها الجنود وقائدهم جون شفغنتون، الذي يعد اليوم من أعظم أبطال التاريخ الأمريكي، فهناك في أكثر من مدينة موقع تاريخي تخليداً لذكراه، وأشعاره الشهيرة «اقتلوا الهنود

واسلخوا جلودهم، لا تتركوا صغيراً ولا كبيراً فالقمل لا يفقس إلا من بيوض القمل».

ويورد المؤلف أمثلة أخرى عن وحشية الأمريكان. ففي أربعينيات القرن العشرين دخلت اليابان في قائمة الشعوب المتوحشة، وأكد الأمريكيون أن جمجمة الياباني متخلفة، عن جمجمة «الأنكلوساكسوني» أكثر من ألفي سنة وكانت بمنزلة رخصة للتحلل من أي التزام أخلاقي، أو إنساني أو قانوني تجاه الضحايا، وفي حرب فيتنام أطلق الأمريكيون على فيتنام اسم «البلاد الهندية» فقاموا بحرق كل قرية يعبرونها ويقتلون بالرصاص والديناميت كل ما يدب فيه الروح من الجواميس والخنازير والحيوانات، وقال أحد أبطال هذه (الأضرار الهامشية): «ما فعلناه ليس استثناء، لقد فعلناه في كل مكان» وقال آخر: «لقد كنا نتسلى» وتقدر أعداد ضحايا فيتنام وحدها بين ١٩٦٨م ومنتصف ١٩٧١م بأربعين ألفًا، وقد وصفت مجلة Counterspy عملية العنقاء التي زاد عدد قتلاها على العشرين ألفًا بأنها «أكبر برنامج للقتل الجماعي المنظم شهده العالم منذ معسكرات الموت النازية، أمامذبحة«ماي لاي»فيصف أحد الجنود:«أن الجثث كانت كالنمل، كأن هناك من سمم مياه الشرب، وكأن كل من في القرية شرب من هذه المياه المسمومة وسقط صريعاً، لقد استغرق دفن القتلى أكثر من خمسة أيام».

وفي حرب الخليج اعترف نورمن شوارزكوف في عدة مقابلات تلفازية بأنه كان يريدها معركة فناء، وأشار إلى أنه كان يخطط بأن تكون على شكل معركة كاناي القرطاجية التي يطلق الطليان على موقعها اليوم اسم «حقل الدم».

ويؤكد الكاتب أنه منذ ترومن حتى بوش، حاول كل رؤساء أمريكا الحديثة التوسع بالتصدي للشيوعية والتوسع الصيني وبسط سيطرتهم على منابع النفط العربية، وهم في كل خطوة من هذا التوسع لم يتخلوا قيد أنملة عن السياق التاريخي العنصري والدموي.



السكان الجدد استوحوا الكثير من ثقافة الهنود

## كمائن الاتفاقيات

وجاء الفصل الرابع بعنوان «كمائن الاتفاقيات»، وذكر المؤلف من خلاله أن جورج واشنطن مؤسس أمريكا أمضى حياته في الاستيلاء على أراضي الهنود والمضاربة بها وبناء ثروة هائلة وضعته على قمة هرم أغنياء العالم الجديد، ومن خلال هذه القرصنة العقارية الفريدة بنى واشنطن معظم ملامح سياسته الهندية التي هيأت بعد ذلك لقانون الترحيل القسري، فقد طوّر


ثقافة الحرب الهندية على النقيض من ثقافة البيض

قراراً يسمح للحكومة الفيدرالية بأن تستولي على أراضي الهنود، وفي عام ١٧٨٢م وافق الكونجرس على مشروع واشنطن باختراق الأراضي الهندية بالمستوطنين واستدراجهم باستمرار إلى كمين الموت، وكانت خطته ترمي إلى إقطاع أراضي الثغور للمحاربين المتقاعدين، واستثمار طاقتهم القتالية اقتصاديًا وسياسيًا بحيث يستمر التوسع داخل الأراضي الهندية دون الحاجة إلى الجيوش والحروب الشاملة، وفي رسالته إلى جيمس داون يؤكد أن التوسع التدريجي للمستوطنات يقضي بأن يفر الهنود المتوحشون على أعقابهم كما يفعل الذئاب. «فالذئاب والهنود كلهم وحوش، مفترسة وإن اختلفوا في المنظر»، وتعد هذه الخطة التي تم تنفيذها قبل إقرارها رسميًا أول تشريع لنظام الترحيل القسري الذي توجه الرئيس جاكسون بعد ذلك بما سمي «برحلة الدموع» التي طرد فيها شعب الشيروكي، والشوكتو، والشيكاسو، والكريك، والسيمينول من معظم أراضيهم إلى غرب المسيسبي، وظن المستعمرون أن هذه الأراضي المزبلة المناسبة للهنود، وقد اعترفت الولايات المتحدة في كلّ الاتفاقيات التي عقدتها مع الهنود عام ١٨٥١م بأن كل ما يعرف بالسهول هو منطقة هندية ذات سيادة تخص الشعوب الهندية، لكن بعد اكتشاف الذهب في هذه المنطقة اضطرت الحكومة إلى (فبركة) وثيقة مزورة يتخلى فيها الهنود دفعة واحدة عن ٩٠٪ من أراضي السهول الوسطى، وتوالت خروق الاتفاقيات عند كلّ اكتشاف للذهب أو الفضة أو الثروات الخام، وعندما رفض زعماء الهنود الاعتراف بالوثائق المزورة اتهمتهم الحكومة الفيدرالية بخرق المعاهدة، وعدّت تصرفهم إعلانًا للحرب، وسرعان ما تعالت نداءات الإبادة.

## التذويب الثقافي

وجاء الفصل الخامس بعنوان «اقتل الهندي واستئن الجسد»، وفيه يشير الكاتب إلى أن صيحات التذويب الثقافي كانت تواكب حفلات السلخ، وتدعو إلى تدمير هذه الهندية، وإعادة بنائها بحجارة التاريخ الأبيض، والدين الأبيض، واللغة البيضاء فنهب ما تبقى من أرض الهنود لا يتم إلا بتدمير هندية الهنود: ثقافتهم وبنيتهم الاجتماعية التي لا تؤمن بالملكية الفردية: «لقد صارت ثقافة الهنود مضرة بالمصلحة الوطنية»، وليس هناك عدوان على أمريكا أخطر من الإضرار بمصلحتها الوطنية، والتزاماً بهذه المصلحة كان لا بد من خلق جديد لهندي ليس له من هنديته إلا البيولوجيا، ولابد من صياغة جديدة لوعيه وذاكرته وأخلاقه ومسلمات عقله، وفي هذا الإطار عُدَّت الشعائر الروحية للهنود خطراً، وتم تحريم ممارستها، لكي تؤتي حملة التذويب ثمارها فتقتلع جذور الكراهية غير المبررة من نفوس الهنود، وتشرح صدورهم للتخلي عن أراضيهم، رفع شعار مفوض الشؤون الهندية فرانسيس لوب «اقتل الهندي واستئن الجسد».

وقد أقر الكونجرس بهذا الصدد قانوناً لتقسيم الأراضي يهدف في النهاية إلى نسف تقليد الملكية الجماعية عند الهنود، واستبدال تقليد حضاري يعتمد على الملكية الفردية به كذلك اقتضت المصلحة الوطنية ترحيل أطفال الهنود عن أهلهم وإخضاعهم في أبكر سن ممكنة لغسيل دماغ منظم داخل معسكرات مدرسية أعدت لنحت أرواحهم، وتتولى هيئات فنية ذات طبيعة بوليسية: تمنع الأطفال أن يتحدثوا لغتهم، أو يمارسوا شعائرهم الدينية، أو يرتدوا ملابسهم التقليدية، وتقتلعهم من عالمهم فتضرب عليهم حصاراً على كلّ اتّصال ممكن بينهم وبين أهلهم وأحبائهم «المتوحشين».

ومن ضمن خطة التذويب الثقافية قانون «إعادة تنظيم الهنود» الذي أقره الكونجرس عام ١٩٣٤م بإطلاق اسم «مكتب الشؤون الهندية»، وألحقه بوزارة الداخلية التي تعنى عادة بثروة الولايات المتحدة من الحيوانات البرية والغابات والأنهار والمحميات الطبيعية، وفي إطار خطة التذويب الثقافي شطب ١٠٨ شعوب من قائمة الشعوب الهندية المعترف بها رسمياً، إلى جانب تعقير ٤٢ ٪ من النساء الهنديات القادرات على الحمل، كما قتل ما تبقى من شعب النافاهو بالنفايات المشعة من مناجم اليورانيوم المنهوب من أراضيهم، وكذلك تحويل الهنود إلى حقول تجارب في المختبرات الطبية والبيولوجية بدلاً من الفئران كما حدث في منتصف الثمانينيات عندما أجرت شركة نورت سلوب على هنود الإنويت تجارب طعم التهاب الكبد الذي منعت منظمة الصحة العالمية استخدامه لتسببه في مرض الإيدز، ولما رفض زعماء الإنويت ذلك، نقلت التجارب إلى الغافلين من هنود الجنوب.

**في منتصف السبعينيات من القرن العشرين اكتشفت الطبيبة الهندية توني أوري نسبة مرتفعة جداً من عدد النساء اللواتي أخضعن لعمليات التعقير، ودهشت عندما تبين لها أن معظم الضحايا من نساء الهنود**

ويقول المؤلف: إن إبادة ١١٢ مليون إنسان ينتمون إلى أكثر من أربعمئة أمة وشعب جريمة لم يعرف التاريخ الإنساني مثيلاً لها في حجمها وعنفها وفظاعتها.

## إسرائيليون جدد

أما الفصل السادس فجاء بعنوان «المعنى الإسرائيلي لأمريكا»، ويؤكد أن هناك اعتقاداً بأن هناك قدراً خاصاً بأمريكا، وأن الأمريكيين هم الإسرائيليون الجدد، ومفهوم «الشعب المختار» الجديد، يضرب بجذور عميقة في الذاكرة الأمريكية، ويتجلى ذلك في معظم المناسبات

الوطنية والدينية، وفي كل خطابات التدشين التي يلقيها الرؤساء الأميريكيون ومضمونه «إرادة الله، القدر، حتمية التاريخ» اختار الأمة الأمريكية (الأنجلوسكسونية المتفوقة) وأعطاها دور المخلص (الذي يعني حق تقرير الحياة والموت والسعادة والشقاء لسكان المجاهل)، ويتمثل ذلك في فرانكلين وجفرسون كليهما اللذين أصرا على صورة الخروج الإسرائيلي، من مصر إلى كنعان كمثل أعلى للنضال الأمريكي من أجل الحرية. وفي عام ١٧٧٦م (عيدالاستقلال) عهد الكونجرس لفرانكلين وجفرسون أن يضعا تصميمًا لخاتم الولايات المتحدة، فاختار فرانكلين رسماً لموسى رافعًا يده، والبحر الأحمر منغلق، وفرعون في عربته تبتلعه المياه مع شعار رائج من تلك الفترة «التمرد على الطغاة طاعة لله»، وأما جفرسون فاقترح رسمًا لبني إسرائيل في التيه يرشدهم السحاب في النهار وعمود النار في الليل، وكان الرئيس جفرسون من أبلغ من تحدث عن المعنى الإسرائيلي لأمريكا فقد اختتم أحد خطبه «أنني بحاجة إلى فضل ذلك الذي هدى آباءنا في البحر كما هدى بني إسرائيل وأخذ بيدهم من أرضهم الأم ليزرعهم في بلد يفيض بكل لوازم الحياة ورفاه العيش»، وقد تحكمت عقيدة «القدر المتجلي» وهي عقيدة سياسية تعبر عن الثقة المطلقة بالنفس التي أقرها القدر نفسه بآيات واضحة جليلة، بدءًا بآية السفينة التي حملت الحجاج إلى بليموث وانتهاءً بالتوسع غرب المسيسيبي الذي رعته العناية الإلهية «حيث لا تعترف الولايات المتحدة كإسرائيل إلى الآن بحدود جغرافية لها، وليس في دستورها إشارة إلى ذلك».

ومما قاله الرئيس الأمريكي كلينتون في خطاب أمام الكنيست الذي أكد فيه التزام أمريكا تحقيق «حلم أجداد اليهود»، فقد قال أمام شارون ورابين ونيتنياهو بأن كاهنه الذي رعى تربيته الروحية هو الذي أوصاه قائلاً: «إذا تخليت عن إسرائيل فإن الله سيغضب عليك».

## أخلاق السوق

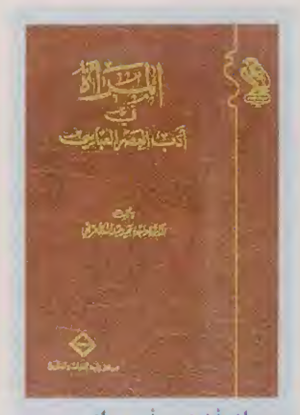
أما الفصل السابع بعنوان باراباس اليانكي فيبدأ بمقولة للكاتب الأمريكي جورج بوش في كتابه عن «حياة محمد» ١٨٣١م، وهي: «ما لم يتم تدمير إمبراطورية السارزن (المسلمين) فلن يتمجد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم»، ويؤكد المؤلف أن « الحضارة المسيحية اليهودية» المتجلية في أمريكا فصلت دين المسيح وإيمانه وأخلاقه وتقديسه للإنسان عن سياسة دولتها، لكنها أبدًا لم تفصل أمريكا عن معناها الإسرائيلي المكابي الذي جعله باراباس اليانكي تعبيراً عن «رب الجنود» وروح السفينة الأوربية والسفينة بونتي، ويظهر هذا جليًا من خطاب كلينتون أمام الكنيست الإسرائيلي عن وصايا القس له، ولم تبارح أمريكا اليوم ما كانت عليه مستعمرة بليموث الإيرلندية التي وصلها المستعمرون الأوائل معهم (إرادة الله - يهوه) وكل العتاد الاخلاقي اللازم لإبادة وحوش المجاهل.

وفي ظل هذا التعطيل المقدس للعقل وملكة الحكم، والشرائع، وقرارات الأمم المتحدة، ومبادئ حقوق الإنسان، وكل هذا الانقلاب على الدستور والثورة الأمريكية والآباء المؤسسين لقيام سيرك التزوير الطقسي لمعجم السياسة الدولية، بدءاً بتزوير معنى الإرهاب وانتهاءً بتزوير معنى «السلام»، بل إن هناك الآن أصولية مسيائية أمريكية تمتلك من أسلحة الدمار الشامل ما يقتل سكان ١٧كوكباً مثل أرضنا أصولية رافقت حركة التوسع الاستيطاني في بليموث إلى قندهار، وقضت «بإرادة الله» على ٤٠٠ أمة وشعب، وهناك الآن سياسة وأيديولوجية وعلاقات دولية ذات نظام عالمي وأمم متحدة، تعيد هذه الأصولية صياغتها بالإرهاب والعنف المميت انطلاقًا من «أخلاق السوق»، وفي خطاب مقدس يعدّ «الآخر/الوحش/الغوييم» مشروعًا مقدسًا للتضحية أو شكلاً مشوهاً من أشكال الحياة.

# المرأة في أدب العصر العباسي

**محمد رجب السامرائي**
أبو ظبي - الإمارات

**إنّ دراسة المرأة في وقت اشتد فيه الحرص على حسن إعدادها، وأولى المرأة الكثير من الاهتمام لإيمانه بعمق أثرها في البناء والتقديم، ولا عتقاده أنَ المجتمع لا يكون قوياً رصيناً إلاّ إذا نهض بنصفيه المتكاملين - تأتي مظهراً من مظاهر الانسجام والتلاحم بين الماضي والحاضر، ودليلاً على أن تقويم الحاضر وتطويره لا يمكن أن يتم دون وقوفنا على جوانب الضعف والقوة في الماضي لنتجاوز عوامل الضعف ودواعيه .. ولنأخذ بأسباب القوة ونحسن التقدم في مسيرة البناء.**



المرأة في أدب العصر العباسي
**د. واجدة مجيد عبدالله الأطرقجي**
**العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، نادي تراث الإمارات، ط١، ٢٠٠٢م، ٤٩٠ص.**

تؤكد الدكتورة واجدة مجيد عبدالله الأطرقجي «أستاذة الأدب العربي في كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد» في مقدمة كتابها «المرأة في أدب العصر العباسي» الصادر في نهاية عام ٢٠٠٢م، عن مركز زايد للتراث والتاريخ التابع لنادي تراث الإمارات أنّ اختيارها لموضوع كتابها جاء لتصويب الرأي القائل بأن العصر العباسي كان بجملته عصراً شمله تيار التحليل والتفسخ، وأن هذا التيار قد لف المرأة فيه بصورة العامة حتى جعل منها هذه الصورة التي نقلها أكثر شعراء العصر اشتهاراً، أمثال: بشار وأبي نواس وغيرهما. ذلك أن الصورة التي أشيعت كانت في الغالب صورة الجواري الأجنبيات لا صورة الحرائر العربيات .. فقد كان للحرائر في الأسرة وفي المجتمع شأن آخر. وكانت لهن سيرة أخرى عرضها لنا عدد من أدباء العصر وشعرائه في صورة مشرقة وأحوال محمودة في الأسرة أو في المجتمع، ثم الكشف من خلال الأدب والتاريخ عن جوانب تعزز دور المرأة، وتكشف عن الممارسات التي كانت تقوم بها في الثقافة والدين والأعمال والسياسة. وعرضها بشكل يؤكد فاعلية المرأة في المجتمع وحسن بلائها في التطور الحضاري،

وأضافت الأطرقجي حرصها على تقديم خدمة أمينة للتراث بالكشف عن جوانب مهملة مغفلة تتناول أدب المرأة، وإظهار معالمه المجهولة، وتنظيم أشتاته المتناثرة في كتب الأدب والتراجم والتاريخ والأخبار والسير لإبراز دور المرأة في الأدب ومساهمتها فيه ولأمحو شيئاً من الصورة المشوهة التي رسمها بعضهم لها على أنها قاصرة العقل، ضعيفة الإدراك، محدودة القابلية، ولأبين من خلال النماذج الأدبية أنها كانت لا تقل عن الرجل في القدرة على الإبداع فيما لو توافرت لها الظروف

الثقافية والاجتماعية، وأتيحت لها الفرص لكشف قابلياتها وقدراتها.

## أول دراسة شاملة

يأتي موضوع كتاب «المرأة في أدب العصر العباسي» أول دراسة تناولت المرأة في الأدب في العصر العباسي في بحث موسع مستقل. فقد كتب سابقاً في هذا الموضوع الدكتور شوقي ضيف بعض الملاحظات المفيدة عن الحرائر والجواري في كتابه «العصر العباسي الأول»، وأفرد فصلاً للحديث عن الرقيق والجواري والغناء، كما خصّص الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه «الشعر والشعراء في العصر العباسي» الفصل الخامس من الباب الرابع لدراسة شعر النساء، وجعله في قسمين: الأول لشعر الحرائر، والثاني لشعر القيان.

ويُعدّ كتاب المؤلفة الأطرقجي امتداداً للدراسات التي قام بها كل من الدكتور أحمد محمد الحوفي في كتابه «المرأة في الشعر الجاهلي»، والدكتور علي الهاشمي في كتابه «المرأة في الشعر الجاهلي»، وما سار عليه الدكتور مصطفى جاووك قليلاً في دراسة المرأة، فتناول دراسة المرأة في الجزيرة في القرن الأول الهجري.

اشتمل الكتاب على كلمة مركز زايد للتراث والتاريخ، ومقدمة المؤلفة التي أشارت فيها إلى طبيعة أدب المرأة في العصرين الجاهلي والأموي، والدراسات السابقة، وخطة دراستها التي تبين منزلة المرأة في المجتمع وأثرها فيه.

تناول تمهيد المؤلفة للكتاب صورتين للمرأة: الأولى: «صورة المرأة في المجتمع في العصرين الجاهلي والإسلامي»، والثانية: «المرأة في المجتمع في العصر العباسي» فاستعرضت تفاصيل حول أحوال المرأة في تلك العصور، ووقفت عند التأثير

**عمدت المؤلفة إلى استقصاء الأدوار التي قامت بها الحرائر في السياسة التي كانت تتصف في أغلبها بالحكمة وبعد النظر، وتتسم بالإيمان والأصالة في التفكير**


شوقي ضيف

الذي أثرت به السبايا والجواري في المجتمع بصورة عامة، والانتكاسة التي منيت بها المرأة في ذلك العهد نتيجة تغلغلها في أكثر جوانب المجتمع، ولشيوع الكثير من مظاهر التحلل والتفسخ.

كذلك استعرضت الأطرقجي بعض المواقف التي تصدت للحدّ من تغلغل الأعاجم في العصر الأموي وفي مطلع العصر العباسي، حتى أفلت زمام الأمر حينما صار تيارهم أعنف من أن يُحدّ أو يقضي عليه، فأثر ذلك في تحديد بعض المظاهر والمواقف تجاه المرأة الذي أدى إلى المبالغة في عزل الحرائر وحجبهن عن المجتمع. ولم تغفل المؤلفة في معرض حديثها الإشارة إلى أنّ المجتمع العربي الذي طفح بذلك الفيض الغزير من الإماء والجواري كان من الممكن أن تبتذل المرأة فيه إلى درجة كبيرة لولا النظرة الإنسانية ولولا تلك التنظيمات الاجتماعية التي استنها العرب لحفظ حقوق هذا الصنف من النساء، مع أنه ميزّ الحرائر وحفظ لهن المكانة والحقوق، فلم يجز للرجل أن يتزوج جارية وعنده حرة، ويجوز له العكس، وأباح لمُلك اليمين، وحددّ لمُلك اليمين قواعد وتنظيمات شرعية اجتماعية، فقد كان للرجل أن يملك منهن ما يشاء بماله الخاص، ولا يجوز له أن يقرب ملك زوجته أو ملك أحد أبنائه. أو أخوته أو جاره أو صاحبه، وفي كتب الأدب والأخبار والفقه والتاريخ إشارات كثيرة توضح لنا ذلك.

## الحالة الثقافية والاقتصادية

أما الحالة الثقافية فوقفت عندها واجدة الأطرقجي، وبيّنتها للحرائر والجواري، واستعرضت عدداً منهنّ مبينة المجال الثقافي والاجتماعي الذي برزن فيه، كما عرضت للحالة الاقتصادية لهنّ، واستعرضت

أحوالهنّ ومجالات كسبهنّ وأعمالهنّ، وعرضت بعد ذلك للأدوار السياسية التي قامت بها المرأة منذ بدء الدعوة العباسية سواء في الثورات، أو في المواقف الحربية التي شاركت فيها. ولقد عمدت المؤلفة إلى استقصاء الأدوار التي قامت بها الحرائر في السياسة التي كانت تتصف في اغلبها بالحكمة وبعد النظر، وتتسم بالإيمان والأصالة في التفكير، وميزت بين أدوارهن في البناء وبين الأدوار التي قامت بها الجواري والقهرمانات ممن تسلمن مسؤوليات مباشرة وكانت لهن مكانة مرموقة في قصور الخلفاء في إشاعة الفوضى والاضطراب والوهن في كيان الدولة العباسية، مما آل بها أخيرًا إلى الاضمحلال والسقوط.

## ثلاثة أبواب وعدة فصول

عرض الكتاب عقب التمهيد لثلاثة أبواب كبيرة ضم كل واحد منها عدّة فصول. الباب الأول: «المرأة في الأدب ـ الحرائر ـ»، من خلال خمسة فصول هي على التوالي : «الابنة في الأدب»، بينت فيه المواقف المختلفة منهن في كرههن والتهنئة بموتهن ومحبتهن والتهنئة بولادتهن وفي مواساتهن والإشفاق عليهن ورثائهن وغير ذلك من الظواهر الاجتماعية التي تباينت في المجتمع العباسي..

وكان الفصل الثاني عن «الأم في الأدب»، تناولت فيه المؤلفة مكانة الأم في النفوس من خلال ما ورد من ذلك في أدب العصر، وكانت مواقف مختلفة متباينة، بينما خصص الفصل الثالث لدراسة «الزوجة في الأدب»، عرضت فيه لأحوال الزوجة في علاقاتها بالزوج من حب يتمثل بمدحهن أو تبادل المودة معهن أو برثائهن بعد موتهن، ومن كره يتجلى

**تضمن الكتاب عرضًا لصورة الجواري في الأدب وكانت في أكثر ما ظهر لنا صورة المخلوق الجميل الذي ملأ قلوب الشعراء، وحرّك عواطفهم، فتوسعوا في الغزل**



مصطفى الشكعة

في الخصومات التي تقع بينهما، وفي ذمهن أو طلاقهن، وقد بدت صورة تلك المواقف واضحة في النماذج الشعرية والنثرية التي أوردتها.

أما الفصل الرابع فهو عن «الأخت في الأدب»، فقد أوضحت فيه الأطرقجي مكانة الأخت، وعرضت لنماذج توضح ذلك سلبًا أو إيجابًا. على حين جاء الفصل الخامس عن «الحبيبة في الأدب»، وغالبًا ما وجدتها تمثل ابنة العم أو إحدى القريبات من الحرائر .. واتسم هذا النوع من الغزل بالحرائر، بالعفة، وكانت الحبيبة غالبًا منيعة شريفة في حسبها ونسبها وفي سلوكها وخلقها .. وذلك ما بدا لنا من خلال النصوص التي استعرضناها.

## الجواري في الأدب

تضمن الباب الثاني: «الجواري في الأدب»، عرضًا لصورة الجواري في الأدب وكانت في أكثر ما ظهر لنا صورة المخلوق الجميل الذي ملأ قلوب الشعراء، وحرّك عواطفهم، فتوسعوا في الغزل، وتعددت موضوعاته لوجود الحقائق في أوساط الجواري التي أمدت بسيل من المواقف أغنت شعر الغزل ومعانيه. وكان الغزل في أكثر صوره مترامية الأطراف تعكس لنا أحوال الجارية في علاقاتها وصفاتها وأحوالها ..

لقد مهدت المؤلفة للباب الثاني بالحديث عن العشق وأحاديث الخاصة وآرائهم فيه مبينة أنه كان من الظواهر التي تجلّت بوضوح في عصر الحضارة والثقافة والفن والجمال، ثم جعلت الباب على أربعة فصول: الفصل الأول عن «الجواري والشعراء»، تناولت الباحثة فيه الصورة التي أظهرها شعراء العصر للجارية، ووقفت عند بعض صور العفة متمثلة في الغزل العفيف لعدد من

شعراء العصر ممن عرف بالشرف والتقوى والعفة. كما ذكرت بعض ومضات للعفة لدى بعض شعراء العصر الماجنين، كبشار وأبي نواس مع بعض العفيفات من الجواري. ثم وقفت عند نوع آخر من الجواري ممن عرفن بالتقلب والخيانة والتحول، واستشهدت ببعض النماذج الشعرية لذلك. وعرضت بعد ذلك لنوع آخر من الجواري، هن الساقيات وما جاء في الشعر من وصف لجمالهن وملابسهن.

ولما كان لجواري القصور آثار معينة في الأدب فقد تناولت عرض أحوالهن وعلاقاتهن وأثرهن في الفصل الثاني «الجواري والخلفاء»، فقد أوردت أمثلة من مراثيهم فيهن، وحنينهم إليهن، وأسفهم على فوات الأنس والبهجة والسرور بعدهن .. مما رفد الأدب بجانب من شعر الخلفاء في التعبير عن عواطفهم وأحاسيسهم. ثم تناولت في الفصل الثالث «الجواري والقيان» اللواتي أثرنَ في المجتمع بالكثير من المؤثرات التي تجلت في الأدب، وبيّنت أثرهنَّ في الشعر والنثر في مختلف الأغراض؛ لأنّ الأدب وقف جزءاً كبيراً منه في ذلك العصر على وصف القيان أو التغزل بهن أو هجائهن. وعرضت لنماذج نثرية للأديب للجاحظ، والوشّاء وغيرهما، ولنماذج شعرية لبشار بن برد، وأبي نواس، وابن الرومي، وابن المعتز وغيرهم.

وآخر فصول الباب الثاني الفصل الرابع «جمال المرأة وزينتها» الذي استفادت فيه مؤلفة الكتاب من الغزل الحسي والوصف المادي للجواري؛ وذلك لإبراز المعالم الحضارية التي تجلت في مظاهر جمال المرأة وزينتها، وبيان معايير الجمَال مع مقارنتها بها في العصور السابقة، والمظاهر الجمالية للمرأة في شَعْرِها وملابسها وفي تزينها بأنواع الزينة المختلفة من خِضاب وكُحل وطيْب وحُلِيّ وغيرها .. موضحة في حديثها المستوى الحضاري الذي بلغته المرأة في العصر العباسي، والإشارة إلى اصطناع وسائل التجميل عند المرأة وقتذاك بأنّه كان لايقل في إتقانه والبراعة فيه عن أفضل مختبرات التجميل في العصر الحاضر.

## أدب المرأة

أما الباب الثالث من كتاب الأطرقجي فجاء بعنوان «أدب المرأة»، فدرست فيه أدب المرأة، وجعلته في خمسة فصول: تناولت في الفصل الأول منه دراسة «أدب المجالس والمناظرات»، الذي أثبتت المرأة براعة وتفوقاً في هذا المجال الذي شهد بهما فحول شعراء العصر العباسي.

وكان الفصل الثاني عن «أدب المراسلات ـ الرسائل والتوقيعات»، وشاع هذا النوع من الأدب في العصر العباسي، فكثيراً ما كان المراسل أو المراسلة يجعلان المعنى الذي يريدانه في رسائلهما على هيئة قصيدة شعرية أو قطعة أدبية بليغة. واتسمت رسائل الجواري إلى أصحابهنّ بأن أكثرها كانت في الدعوة إلى اللقاء أو العتب على فراق أو بثّ الشوق. وكانت رسائل الحرائر في أكثر ما ورد منها لأغراض جدية كالموعظة والإرشاد أو كإبداء رأي في موقف من المواقف أو مهمة من المهام أو عرض مشكلة اللهم إلا ما جاء لعلية بنت المهدي في غير الأغراض الجادة. بينما مثلت التوقيعات إجابات مقتضبة بليغة عن بعض الرسائل وصلنا القليل منها للحرائر والجواري.

لقد درس الفصل الثالث «فنون شعرية مختلفة: الغزل، والزهد، والرثاء، والمديح، والهجاء» وهي أهم الأغراض الشعرية للمرأة. أما الفصل الرابع :«أدب الأعرابيات: الوصايا، والسؤال، والاستجداء، والمداعبات والطرف، والغزل «فقد عرضت فيه لأدب الأعرابيات بفنونه المختلفة وأغراضه المتعددة التي تلائم الحياة البدوية، وتتلون بألوانها. وخُصِّصَ الفصل الخامس ـ الأخير ـ من الباب الثالث: «نظرة عامة في أدب المرأة وملامحه الفنية»، لدراسة الملامح الفنية لأدب المرأة واستعرضت المؤلفة بإيجاز أهم الملامح التي يمكن للباحث في أدب المرأة أن يميزها فيه.

## عبداللطيف حمزة:

# العالم الفقيه ورائد الإعلام الإسلامي الحديث

صلاح محيي الدين محمد
أم درمان - السودان

**أشارت دراسة جامعية إلى مصادر دراسات الإعلام الإسلامي وأدبياته: للمؤلَّف الأكثر نفوذًا وتداولاً في الشعب والأقسام العلمية بكليات الصحافة والإعلام - وكذلك في المراكز والدور والمؤسسات الصحافية والإعلامية - أشارت إلى مؤلف الدكتور عبداللطيف حمزة المعروف بعنوان «الإعلام في صدر الإسلام» على أنه المرجع المصدر الأكثر نفوذًا وتداولاً بما لا يدانيه أي من المؤلفات والكتابات الكثيرة التي عالجت هذا الموضوع(١).**

والآن، وفي زخم الأحداث الضخام التي تحيط بالعالم الإسلامي والمسلمين في كل بقاع الأرض، فالحديث عن الإعلام الإسلامي يأخذ وضعية خاصة، إذ يستشعر الناس القصور الواضح ويتساءلون عن مكمن العلة وأسباب هذا القصور.

هذا التدارس: هذه الوقفة مع الرائد المؤسسة «والمؤلَّف» الأشهر في هذا المجال «الإعلام في صدر الإسلام» إنما هي مدخل لهذه القضية المطروحة بقوة على مستوى المرحلة والتحديات الجسام.

نبدأ بوقفة مع ذلك الرائد الفقيه الذي عاش الهم، وحمل الراية منذ الأربعينيات ويتحدث أحد رفاقه ومناصريه الدكتور حسين عبدالقادر فيذكر أن عبداللطيف حمزة بدأ بالدراسات الإسلامية فهو عالم فقيه، وقد قدم للدراسات والمكتبة الإسلامية منذ الثلاثينيات عددًا من المؤلفات من أبرزها:

- ابن المقفع عام ١٩٣٩م: وأجيز به للماجستير في الآداب من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول.

ونظر إليه على أنه مرجع أساس عن الأثر القوي الذي أضفته الثقافة الفارسية على الثقافة والحضارة الإسلاميين.

- أدب الحروب الصليبية عام ١٩٤٩م: صدر بعد نكبة فلسطين مباشرة عام ١٩٤٨م، وأهداه المؤلف إلى أرواح الشهداء الذين روت دماؤهم الطاهرة أرض فلسطين المقدسة.

وذكَّرَ الكتاب بطبيعة الصراع مع إسرائيل «منذ تلك الفترة الباكرة» مذكرًا بأنه «صراع ديني عقدي» يأتي ضمن تلك السلسلة المستهدفة أرض الرسالات السماوية، أرض فلسطين، فهو حلقة أخرى مكملة أهداف الحروب الصليبية ذاتها.

والمؤلف بذلك يوثق «مؤصلاً تأصيلاً تاريخيًا إسلاميًا»

تلك الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين مبيناً الأهداف الحقيقية والخطط والإستراتيجيات المعدة مطالباً من جانب آخر المسلمين وقادتهم أن يرتقوا إلى مستوى الوعي الكامل بذلك الصراع «اليهودي الصليبي» للدفاع الشرعي وحماية المقدسات و ...

- القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ١٩٥٧م:

أبان المؤلف بشكل مباشر أن المؤلَف يهدف إلى إعادة تقديم روائع التراث العربي الإسلامي بما يسهم في شحذ الهمم وسد الثغرة في التواصل التراثي للأمة وأجيالها



جورجي زيدان

عبدالحليم محمود

الجديدة خاصة، والغزو الفكري العقائدي يعمل على تجهيل الأجيال الجديدة بتراثهم ومواريثهم ويعمل على الإحلال والتفريغ الفكري والنفسي مذكراً بالدور الثقافي الذي اضطلع به «ديوان الإنشاء» في العصر الوسيط لازدهار الحضارة العربية الإسلامية، هذا الديوان وما أبدعه من تصانيف فنية هو موضوع هذا الكتاب ضمن سلسلة بعث التراث العربي الإسلامي وتقديمه في حلة عصرية تتناسب والمناخ العصري الثقافي السائد من حيث الإخراج والصياغة.

هذه إذن نماذج للجهود الباكرة التي بدأ بها الشيخ الدكتور - رحمه الله - في مجال الدراسات والثقافة الإسلامية، على الرغم من خلفيته العلمية الفقهية في الدراسات الإسلامية، فقد شق طريقه إلى جامعة فؤاد الأول كشأن ذلك الرعيل أمثال طه حسين الذي واصل دراساته العالية على النظام الجامعي بطابعه وجذوره الأوروبية ودرس ضمن ذلك اللغتين الفرنسية والإنجليزية، ولكنه بخلاف أمثال الدكتور طه حسين عمد إلى توظيف هذه المكتسبات الثقافية في خدمة ذات الجهود الدعوية الإسلامية التي بدأ بها، ومن «هنا»، وكما أبان في مقدمة كتابه «المدخل إلى فن التحرير الصحفي»(٣) جاء تركيز في الميدان المهم البكر والجديد تماماً في تلك الفترات الزمنية، وهو ميدان البحث والدراسة الأكاديمية في مجالات الصحافة والإعلام، إذ تولى قيادة البدايات الأولى، وأسس المعاهد والأقسام التي تطورت لتكون أول كلية لدراسات الصحافة والإعلام في الأقطار العربية، وهي كلية الإعلام الحالية بجامعة القاهرة.

ونقف مع هذه البداية المهمة داخل إطار رؤيته الإسلامية والمنهج التدرجي والعلمي الذي حرص على انتهاجه متدرجاً تدرجاً ومؤلفاً بالحكمة والمنطق العقلاني النفوس والقلوب حتى تكون الرسالة الربانية هي الهدف الأسمى بتؤدة وبتجويد وتخطيط قوى متماسك.

نعرض لذلك على النحو الآتي:

### أولاً : المرحلة الأولى: التأسيس الأكاديمي لدراسات الصحافة والإعلام:

سوف يذكر التاريخ الأدوار الريادية التي اضطلع بها ذلك الشيخ العالم في إرساء قاعدة الأساس التي قامت عليها الدراسات الجامعية والنظم الأكاديمية في تخصصات الصحافة والإعلام في المنطقة كلها، ونذكر هنا ما يدرسه طلاب الصحافة والإعلام في الجامعات العربية بأن البدايات الأولى في الممارسة الصحفية والإعلامية على المستوى العربي بدأت بالشام «سورية ولبنان» وبدأت مقترة ومرتبطة بالأديرة والكنائس والنشاط المسيحي التبشيري، ولكن الفصاحة العربية، ولنقل كذلك الأصالة العربية المعروفة تماماً لأهل الشام بالذات «سورية ولبنان» مكنت لتلك البدايات الأولى من إنجاز صحف ومجلات لا تقل عن المستويات ذاتها للصحف والمجلات الصادرة في تلك الفترات «القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين» في الأقطار الأوربية ذاتها خاصة «فرنسا» الأكثر نفوذاً وتأثيراً في بلاد الشام في تلك الفترات، والحقيقة، أن الوضع ذاته يصدق على نشر الكتب والمؤلفات العربية في أول عهود

العرب بالطباعة الحديثة بكل ما ترتب على ذلك من نهضة كبيرة للأدب والفكر والثقافة العربية بما مكّن ضمن لذلكم المد القوى المتسع: من صدور الصحف العربية الأولى في العراق ومصر، وفي جميع الأقطار العربية بما فيها السودان وأقطار الشمال الإفريقي.

ولم يقتصر دور أهل الشام بالريادة والدفع الحضاري الثقافي عربيًا، إنما تولت بشكل مباشر طاقات صحفية سورية ولبنانية إصدار الصحف الأولى في الأقطار العربية، وأقوى مثال على ذلك الصحافة التي صدرت وأسست


الأهرام
الطبعة العربية
مبارك يدعو إلى وقفة صريحة مع النفس نواجه بها واقعنا ونتأمل مستقبلنا لكي ننهض بعالمنا الإسلامي

الصفحة الأولى من أحد أعداد جريدة الأهرام

للصحافة المصرية وهي:

- الأهرام أسسها آل تقلا عام ١٨٧٥م.
- المقطم والمقتطف أسسهما فارس نمر، وشاهي مكاريوس، ويعقوب صروف، عام ١٨٨٥م.
- المصور و«الاثنين» وكل صحف دار الهلال أسسها جورجي زيدان، عام ١٨٨٩م.

بل حتى التنظير للصحافة في بداياته الأولى اضطلع به اللبنانيون والسوريون في دراسات تعريفية أولية كثيرة لعل أهمها - فيما يذكر تاريخ الصحافة العربية مؤلف «الفيكونت دي طرازي» الذي أصدره عام ١٩١١م، بعنوان «تاريخ الصحافة العربية» إلى جانب كتابات كثيرة متفرقة عن الصحافة، وعن أصناف الأشكال التحريرية، ويعدّ كتاب أديب مروة الذي جاء في فترة لاحقة عام ١٩٦٣م. بعنوان «الصحافة العربية نشأتها وتطورها» استمرارًا وجهدًا مبكرًا على المستوى العربي في هذه المجالات (٤).

ولكن من جانب آخر كان للخط الصحافي الذي عمدت تلك الصحف والمجلات الباكرة اعتماده، وهو خط الولاء التام لتلك النشأة الأولى في كنف التبشير النصراني ومؤسساته، إذ أصبحت الصحف والمجلات الصادرة في تلكم الفترات في الأقطار العربية أبواقًا مباشرة في خدمة قوى الاستعمار الإمبريالي الأوربي الجاثمة على الشعوب والأقطار العربية «بريطانيا وفرنسا» وغيرهما، كما كانت تصدر فيما تتناول من قضايا بشكل مطلق كامل للتوجهات العلمانية، بل والعداء «المبطن» للإسلام والمسلمين لدرجة أن كثيراً من الرسائل العلمية في الصحافة والإعلام التي أجيزت في الجامعات المصرية تدور حول «المقطم والمقتطف: وجورجي زيدان ودار الهلال والدور الخطر (المارق) الذي اضطلعت به في تاريخ مصر الحديث لدرجة أن بعض الرسائل الجامعية وصفت ذلك بأنه الطور الصحفي من الاحتلال الأجنبي وانهيار مصر».

وهذه الوضعية «الشائنة» في نشأة الصحف والصحافة في الوطن العربي هي ذاتها التي عرفتها جميع أقطار ما يسمى بالعالم الثالث بما في ذلك أقطارنا الإسلامية.

وهذا الدور المشبوه هو الذي استفز استفزازًا الشيخ الدكتور عبداللطيف حمزة وحمله على التصدي العلمي والفكري، واتخاذ موقعه الدعوى والجهادي في هذه الجبهة بالذات وظل، كما أشار الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق في تقدمته لمؤلف «الإعلام في صدر الإسلام»، ظل ذلك العالم المجاهد على موقعه ثابتًا قويًا حتى أفصح مباشرة وهو يختم المشوار بإصدار البيان الخاتم كما عبر عنه «الإعلام في صدر الإسلام» والذي صدر بعد أن انتقل الشيخ إلى رحمة الله.

تمثل جهد الدكتور حمزة خلال هذه الفترة في التأسيس الأكاديمي «إداريًا وفنيًا» كالآتي:

**- جانب التأسيس الإداري:**

تولي الشيخ الدكتور رئاسة الهيكل الأكاديمي الأول «معهد التحرير والترجمة والصحافة» كلية الآداب جامعة

فؤاد الأول عام ١٩٤٠م.

تولي الهيكل بعد ذلك وهو «قسم التحرير والترجمة والصحافة» كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٥٤م.

**- جانب التأسيس الفني والأكاديمي:**

وضع هيكل مواد الدراسة والتخصصات لأول دراسة متخصصة أكاديمية للصحافة والإعلام على المستوى العربي، وهو ذات النمط السائد حتى الآن.

وضع بنفسه عناوين المقررات، ومواد الدراسة «مترجمة» عن النظم الأكاديمية العالمية، وشيدّ الهيكل البرامجي الدراسي للتخصصات، ثم أقدم بالمستوى على أول كتابة عربية لتأليف علمي متخصص لمواد الدراسة في تخصصات الصحافة والإعلام، وهو النظام السائد في برامج الدراسة على المستوى الجامعي العربي حتى الآن.




غلافا كتاب أدب المقالة الصحفية، وكتاب القلقشندي

ومن مؤلفات الدكتور عبداللطيف حمزة التي يتناول الفنون الصحفية المختلفة:

- المدخل للتحرير الصحفي، كتاب مرجع متخصص في فنون المادة وأفرعها، ومن عناوينه:
- الرأي العام
- فن الخبر.
- فن المقال.
- فن التحرير.
- المجريات الحديث والاستطلاع والتحقيق وهكذا.

- أدب المقالة الصحفية، كتاب مرجع عن أساسيات المقالة الصحفية الأسس والمعايير والفنيات، ومكون من ثمانية أجزاء صدر خلال الفترة من «١٩٥٠ - ١٩٥٩م» لا يزال معتمداً ضمن المراجع الأخرى لدراسة المقال الصحفي بأنواعه المختلفة.

- الدعاية والإعلام، كتاب وهو مرجع للتخصص، صدر عام ١٩٦٥م، ولا يزال مرجعاً علمياً بالمواصفات والمعايير المعتمدة علمياً.

- الإعلام: تاريخه وفنونه ومذاهبه، كتاب ضمن مراجع التخصص لمادة تاريخ الصحافة، وقد صدر عام ١٩٦٦م، وهذا المؤلف يعالج مادة تاريخ الصحافة والإعلام بمستوى متقن.

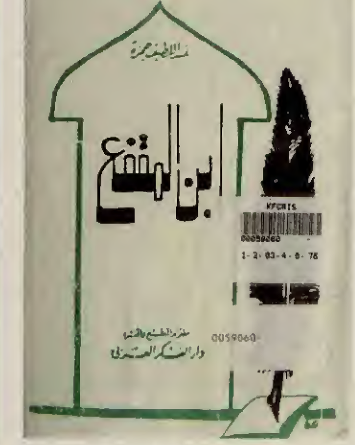
- أزمة الضمير الصحفي، مؤلف ضمن مراجع مادة التنظيم الصحفي، صدر عام ١٩٦٨م، والمرجع يقدم تصوراً لضوابط العمل الصحفي من منظور القيم والضوابط ضمن مادة التنظيم والضوابط المهنية.

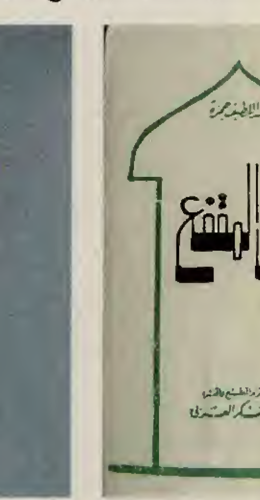
هذه نماذج فقط للمراجع والمؤلفات المتخصصة التي تبلغ نحو الأربعين، وكلها تعدّ من المراجع الأولى من نوعها في اللغة العربية، بما مكّن من تداولها على مختلف معاهد الصحافة وكلياتها في مختلف الجامعات العربية.

## ثانيًا: مرحلة الأسلمة «بلورة مفهوم الإعلام الإسلامي بمعنى تاريخي»:

هكذا مضى الشيخ العالم طوال الأربعينيات والخمسينيات والستينيات في إرساء قاعدة التأسيس للدراسات الإعلامية بالمستوى الجامعي بالنسبة إلى أول تأسيس أكاديمي لهذه الدراسات في الوطن العربي؛ وذلك طبقاً للمأخوذ به عالمياً في جامعات الدنيا ومعاهدها بالنسبة إلى هذه الدراسات، ومع ذلك حرص دائماً على إضفاء الطابع والتصور والالتزام المرتكز على المرجعية العقدية الإسلامية، وعلى الذخيرة القيمية العربية الإسلامية حتى فيما يعرض له من القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية المثارة على النطاق المصري المحلي حتى وصل بذلك كختام مستهدف لتقديم أول بلورة وطرح لمفهوم «الأسلمة» للإعلام الحديث، وحرص ضمن منهجه المستصحب للواقع العلماني

وأطروحات «الاشتراكية والقومية» السائدة في تلك الفترة في مصر، حرص على اختيار الصيغة الممكنة دون إحداث تفاعلات مضادة ومعوقة فاختار للأسلمة الأولى عربيًا للإعلام عنوان «الإعلام في صدر الإسلام» بما يشير إلى أن الدراسة إنما هي تاريخ لأصناف الممارسة لما يعدّ إعلاماً أو دعاية في المرحلة التاريخية منذ فجر الدعوة حتى مرحلة الخلافة الراشدة، وهكذا أول مرة في مستوى الدراسات الجامعية «فيما نعلم» يصدر في اللغة العربية مثل هذا الطرح ضمن جهود إرساء أول البرامج الدراسية الجامعية




غلافا ابن المقفع ومدخل فن التحرير الصحفي

في تخصصات الصحافة والإعلام.

ولكن المؤلف على الرغم من التركيز في النهج التاريخي، هدف إلى تحقيق برنامج للضبط الإسلامي الحضاري أو على الأقل تحقيق هدف البلورة لإعلام مرتكز على الإسلام شكلاً ومضموناً مع المواكبة العلمية والفنية للأسس المنهجية والفكرية «النظرية» وللمعايير والمواصفات وقواعد العمل التقني والفني المأخوذ بها في الإعلام الحديث.

ولتدارس هذه الوضعية نقلب المؤلف ذاته المشار إليه، ونقف مع ما هدف إليه المؤلف، وما تحقق «بالفعل» وما لم يتحقق منه حتى الآن.

نقدم لذلك بعرض عام لعناوين موضوعات الكتاب «الإعلام في صدر الإسلام» وهي كالآتي:

١ـ عن الاتصال في الجاهلية: الاتصال بالجماهير قبل الإسلام، يشكل فرشة عامة للأوضاع التي كانت عليها الجزيرة العربية في الجاهلية غلظة وبدائية.

٢ـ عن الاتصال في صدر الإسلام: الاتصال في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وارتكز على القرآن ثم الحديث الشريف والخطبة، ثم القدوة الحسنة، ثم الاتصال المباشر اشخصي والجمعي.

٣ـ عن القرآن: القرآن أكبر وسائل الإعلام، وله قوته الإعلامية إرشاداً وتوجيهاً وتبليغاً ودعوة.

٤ ـ عن الحديث الشريف: الأحاديث النبوية وقوتها الإعلامية، وهي الشارحة والمفسرة والمثقفة والمعرفة بالضوابط والأحكام وقواعد السلوك والتعاملات.

٥ـ القدوة الحسنة: كما حدها رسولنا الأعظم ثم الصحابة الراشدون من بعده.

ميز المؤلف بين جهود الدعوة والأساليب الإعلامية والاتصالية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم، في فترة سرية الدعوة والتطور الجديد الذي دخلته في مرحلة العلن والمجاهرة.

ونذكر نماذج من ذلك:

عن القرآن الكريم كونه وسيلة الإسلام الأساسية في الدعوة والإعلام:

يقول المؤلف: البحث في القرآن الكريم بوصفه أكبر وسيلة من وسائل الدعوة والإعلام منذ ظهور الإسلام إلى أن يرث الله الأرض يحتاج دراسة عميقة تخص آيات الدعوة والبلاغ والإعلام، ومن أمثلة ذلك الآيات:

قال تعالى: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. النحل: ١٢٥.

وقال تعالى: ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء البقرة: ٢٧٢.

وقال تعالى: فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك آل عمران: ١٥٩.

أبرز المؤلف الصورة الدعوية الإسلامية مركزاً من القرآن الكريم في:

ـ الخبر وأصنافه الكثيرة وصوره المتعددة التي جاء بها القرآن.

ـ الإرشاد والتوجيه للبشر الآدمي، للإنسان وللمؤمنين وأهل الكتاب.

ـ لحكمة التنزيل منجماً طبقاً للأحداث وحاجات المجتمع ومحاور الاهتمام بما يعين الناس على اتخاذ المواقف وتقدير العواقب.

ـ تقديم المبادئ والأسس العقدية وصفات المؤمن مع الواجبات والمسؤوليات.

ـ تقديم التصور الكلي للإسلام لقضايا الوجود البشري في هذه الدنيا.

ويمضي الكتاب بهذا النهج يورد الأساليب الاتصالية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم «الحديث الشريف، القدوة الحسنة، الاتصال المباشر بمختلف أنماطه»

كما عالج الأساليب الدعوية الإعلامية في إنفاذ البلاغ والدعوة والإرشاد والتوجيه وتقوية الإيمان ثم دعوة الوجهاء والملوك والأمراء والرؤساء سواء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو في عهد الخلافة الراشدة ليصل بذلك للخلاصة الآتية:(٦)

أولاً: أن الذي استجد في الإعلام المعاصر هو الوسائل الحديثة، وما تبعها من تنظير وفقه، أما الاتصال نفسه فهو قديم مع الإنسان، وأما الإسلام والرسالة الخاتمة فقد استخدما الإعلام والاتصال المتاح بفعالية مكنت للدين والرسالة من هذا الانتشار ودخول الناس أفواجًا في الإسلام.

ثانيًا: الرسالة الإسلامية رسالة إعلامية دعوية أساس محتواها المرجعي القرآن الكريم والهدى الإسلامي، ولما كان الإعلام الناجح يرتكز على الأطر الدلالية المرجعية للجمهور المستهدف فإن على العاملين المسلمين وعلى القائمين على الأمر الاهتداء بتلك النماذج الإعلامية كما عرفها التاريخ الإسلامي في صدر الإسلام.

ثالثًا: وضع الكتاب هذه النماذج المضيئة ليمكن لدفع معنوي وتعليمي وإرشادي يمكن للطالب الدارس لهذه التخصصات وكذلك العاملين الممارسين من الإقدام والتفاعل بما يمكن من مزيد تطوير ومزيد جدّ بالتصور والتفكير في الصيغ الإعلامية المرتكزة على المرجعية الإسلامية.

رابعًا: قدم المؤلف للإعلام الإسلامي الفرشة القاعدة التأسيسية «كمرجعية» ينهل منها الدارسون وأهل التخصص، وهذا هو المعمول به في مداخل الدراسات للعلوم والتخصصات.

خامساً: الذي حدث بعد ذلك أن المؤلف كان قدم مشروعاً متدرجًا ينهض على تلك القاعدة التأسيسية التي أرساها مؤلف «الإعلام في صدر الإسلام» وتشمل دراسة الأساليب والأنماط الإعلامية التي طبقت في العهد الأموي والعهد العباسي وفي الأندلس وعهود النظم الإسلامية المختلفة، ولكن توقف ذلك ولم ينهض بالعبء بعد ذلك أحد. وربما كان هذا من أوائل أسباب القصور القائم إلى جانب العامل الآخر الأهم وهو الحاجةإلى إنجاز آلية علمية تقدم أسلوباً علمياً لإنتاج إعلامي يهتدي وينضبط بالإسلام وهديه.

المراجع والهوامش

١ـ مصادر دراسات الإعلام الإسلامي والمراجع والأدبيات والأقسام العلمية في المعاهد والجامعات العربية.
دراسة استطلاعية «ميدانية» شعبة الصحافة/ كلية الدعوة والإعلام «جامعة أمدرمان الإسلامية» بالاشتراك، ١٩٩٣م.

٢ـ معهد الدراسات والبحوث، القاهرة، ١٩٦٥م.
المحاضر الدكتور حسين عبدالقادر: أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة، ورئيس قسم الإعلام بجامعة أمدرمان الإسلامية الذي كان خطط له وأسسه الدكتور عبداللطيف حمزة.

٣ـ يراجع لذلك. *Raliph: J. Stivenson: the Arab Press,1973.*
ويذكر هذا المرجع الذي أشرف عليه المجلس الثقافي البريطاني أن معياره كان القرائي ***Readablity*** للمجلات السورية واللبنانية «من حيث الإقبال الجمهوري مقارنة بمثيلاتها في تلك الفترة في فرنسا وبعض أقطار الجنوب الأوربي.
كما سجل هذا المرجع الإنجليزي النشأة النصرانية الكنيسية لهذه الصحف بأهدافها «الخاصة بها».

٤ـ الفيكونت طرازي: تاريخ الصحافة العربية، بيروت ١٩١١م، «أربعة أجزاء».
أديب مروة: الصحافة العربية: نشأتها وتطورها، بيروت، الدار اللبنانية ١٩٦٣م.

٥ـ الدكتور عبداللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٧٠م.
توفي المؤلف رحمة الله قبل صدور كتابه بقليل، وذكر الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق أن هذا المؤلف هو ختام حياة داعية ومجاهد في سبيل الله.

٦ـ المرجع ذاته صفحات: ١٨، و١٠١، و٢٤٠.

# الملف الثقافي

## ندوة بناء المناهج

## جائزة سعودية للإبداع
## وجوائز مصرية للمبدعين

## موسوعة شعرية
## على قرص مدمج وتكنولوجيا
## لحفظ الوثائق

## هاري بوتر يثير ضجة

## إعلان القاهرة الثقافي

## مواقع جديدة على لائحة
## التراث العالمي



**خاتمة المطاف**

الموت
في مأساة
هاملت

## تشكيل الهيئة الإسلامية العالمية للإعلام


عبدالله بن عبد المحسن التركي

عقدت الهيئة الإسلامية العالمية للإعلام التابعة لرابطة العالم الإسلامي الاجتماع الثاني لهيئتها التأسيسية مساء الأربعاء ١٨ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠ يونيو/حزيران ٢٠٠٣م بحضور الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، والمفتي العام للمملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، وعدد كبير من المفكرين والإعلاميين والمسؤولين، وشخصيات عالمية إعلامية من داخل المملكة وخارجها.

وقد أوضح الدكتور التركي أن إنشاء هيئة إسلامية عالمية للإعلام يأتي تلبية للشعور بالحاجة الماسة إلى وجود إعلام إسلامي متطور يواكب التقدم الهائل في هذا المجال، وأعلن في كلمته عن اختيار الأستاذ فهد بن عبدالله الشميمري المدير العام لقناة المجد الفضائية أميناً عامًا للهيئة، وأوضح التركي وجود دراسة للهيئة لفكرة وضع صيغة تعاونية بين الهيئة والفضائيات لإنشاء محطة باللغات الأجنبية.

من جهته رأى المفتي العام للمملكة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ أن إخراج هذه الهيئة أمر مطلوب من المسلمين شرعًا، وأن ذلك يعد من الدعوة الإسلامية، مشيراً إلى ضرورة عقد مؤتمر إعلامي للإعلام الإسلامي لإيضاح الحقائق وإبراز محاسن هذا الدين، ومواجهة الصور المشوهة التي يصنعها الإعلام العالمي عن الإسلام.

وأعلنت أسماء أعضاء الهيئة التأسيسية وهم: من السعودية الدكتور عبدالرحمن الشبيلي، والدكتور أنور عشقي، والدكتور عبدالعزيز الثنيان، والدكتور حسن الأهدل، والدكتور أحمد بن سعيد، ومن الإمارات الدكتور سعيد حارب، ومن مصر الدكتور حمدي أبو العينين.

وقد قدم الأمين العام للهيئة فهد الشميمري عرضًا للخطة المقترحة للهيئة، وبعض أنشطتها ومشروعاتها، ومنها تأسيس الرابطة الإسلامية للإعلاميين وإصدار الميثاق الإسلامي للإعلاميين، وإصدار دليل الإعلاميين والمؤسسات الإعلامية، وأن الهيئة تسعى إلى تأسيس مركز لتحليل الخطاب الإعلامي، وتنظيم مؤتمر المسؤولية الأخلاقية لوسائل الإعلام، إضافة إلى جوائز للإبداع الإعلامي.

## ندوة بناء المناهج


خالد بن محمد العنقري

برعاية معالي وزير التعليم العالي الدكتور خالد بن محمد العنقري، نظمت كلية التربية في جامعة الملك سعود ندوة بعنوان: «بناء المناهج: الأسس والمنطلقات» خلال الفترة من ١٩ ـ ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٤هـ (الموافق ٢٠ ـ ٢١ مايو/ أيار ٢٠٠٣م)، وقد بلغت الأعمال المقدمة للندوة ٤٢ بحثًا وورقة عمل عُرضت خلال تسع جلسات، بالإضافة إلى الجلسة الختامية التي تضمنت التقرير النهائي والتوصيات.

وقد توزعت البحوث وأوراق العمل على مجموعة من المناهج والمقررات الدراسية في ١٣ دولة تنتشر في قارات العالم الخمس وبخمس لغات، وتنوعت الموضوعات التي تناولتها البحوث وأوراق العمل، إذ تضمنت مقررات دراسية في الجغرافيا والتاريخ والمدنيات والتربية

الوطنية والدراسات الاجتماعية والتربية الصحية والتربية السياسية، والأديان، واللغات، والأدب والقراءة.

وقد شارك في تقديم البحوث وأوراق العمل مجموعة من الباحثين والباحثات من عدة دول عربية، إضافة إلى المملكة العربية السعودية.

ومن أمثلة البحوث التي قدمت: «تحليل محتوى كتاب: الفلبين هديتي من الله» قدّمه الدكتور عبدالرحمن بن سليمان الطريري، و«تحليل محتوى مقرر الدراسات الاجتماعية للصفين الأول والثاني الثانويين في سنغافورة»» قدّمه الدكتور عبدالوهاب بن محمد النجار، و«قراءة تحليلية لمحتوى وثيقة المواطنة للصفين الثالث والرابع الابتدائيين في المملكة المتحدة» للدكتور علي بن محمد الصغير، و«تحليل تقديري من منظور نفسي لمحتوى مقرر الدين بالمرحلة الثانوية في أستراليا» للدكتور طريف شوقي محمد فرج، و«الصراع العربي الإسرائيلي في المناهج الأمريكية «كتاب تاريخ العالم: روابط للحاضر ـ نموذجًا» للدكتور راشد بن حسين العبد الكريم، وغير ذلك من البحوث.

وجاء في ختام الندوة عدد من التوصيات جاءت على ثلاثة مستويات:

توصيات تتعلق بالأسس الفكرية والفلسفية للمناهج المدرسية، وتوصيات ذات طبيعة فنية تتعلق بإعداد المناهج وإخراج الكتب المدرسية، وتوصيات عامة.

## جائزة سعودية للثقافة والإبداع من القاهرة

أعلنت في القاهرة مؤخرًا جائزة الراحل الشيخ محمد بن صالح باشراحيل للثقافة والإبداع، وتصل قيمتها إلى نحو مئة ألف دولار.

وأعلن الجائزة الشاعر السعودي ورجل الأعمال الدكتور عبدالله باشراحيل، الذي تحمل الجائزة اسم والده الراحل ممثلاً عن مجلس الأمناء المكون من زوجة الراحل وأبنائه.

وعن اختيار مكان إعلان الجائزة تحدث الشاعر عبدالله باشراحيل قائلاً: «إنه سبق أن تقدم بطلب لرعاية الشباب، ولكن هذا الطلب لم يحظ بالرد والاستجابة، أما مسألة اختيار القاهرة فقد جاءت من خلال استضافة منتدى المثقف العربي لحفل إطلاق هذه الجائزة، ولكون مصر تضم نخبة من المفكرين والمثقفين العرب شأنها شأن لبنان والمغرب العربي والمملكة العربية السعودية والخليج».

## موسوعة شعرية

أعلن المجمع الثقافي في أبو ظبي مؤخرًا عن إصدار النسخة الثالثة من «الموسوعة الشعرية» التي تضم أكثر من مليوني بيت من الشعر موزعة على دواوين أكثر من ألفي شاعر من عصور ما قبل الإسلام حتى العصر الحديث، وشملت الموسوعة أيضًا شرحًا مبسطًا عن علم العروض والبحور الشعرية، إضافة إلى آلية للتقطيع العروضي، كما جرى تضمين الموسوعة أهم عشرة معجمات لغوية عربية منها: لسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي، والصحاح للجوهري، وأساس البلاغة للزمخشري، والعين للخليل بن أحمد الفراهيدي.

وتعد هذه الموسوعة فاتحة أعمال المجمع الثقافي في مجال النشر الإلكتروني، إذ بدأ العمل بها عام ١٩٩٧م، وصدرت أول نسخة منها عام ١٩٩٨م، وكانت تحوي نحو مئة وثمانين ألف بيت من الشعر، وصدرت النسخة الثانية عام ٢٠٠١م، وضمت أكثر من مليون وثلاثمئة ألف بيت من الشعر موزعة على الدواوين الشعرية الكاملة لأكثر من ألف شاعر.

ويقدر سعر الكتب المدرجة في الموسوعة، كما جاء في موقع إيلاف على شبكة المعلومات العالمية

«الإنترنت»، نحو ٦٥ ألف درهم (أي ما يعادل ١٨ ألف دولار)، بينما يبلغ سعرها ضمن قرص مدمج ٢٥ درهماً فقط (أي ما يعادل ٧ دولارات)، كما أن الموسوعة متوافرة أيضاً على موقع المجمع الثقافي على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) على النحو الآتي:

http://www. cultural.org.ae/A/Poetry/defualt.htm

## جوائز مصرية

تم مؤخراً في مصر توزيع عدد من الجوائز على المبرزين في المجالات المختلفة، فقد فاز رئيس مجمع اللغة العربية بمصر الدكتور شوقي ضيف بجائزة مبارك في الأدب، وهي أكبر جائزة مصرية وتبلغ قيمتها ١٠٠ ألف جنيه، كما فازت الدكتور سميحة الخولي بجائزة مبارك في الفنون، بينما حجبت جائزة فرع العلوم الاجتماعية لعدم حصول أي من المتنافسين على ثلثي أصوات المجلس الأعلى للثقافة، وكانت المنافسة قد انحصرت بين ثلاثة هم: رئيس البرلمان الدكتور أحمد فتحي سرور، والمؤرخ الدكتور يونان لبيب رزق، وإبراهيم نافع رئيس مجلس إدارة صحيفة الأهرام ورئيس تحريرها.

وفاز بجوائز الدولة التقديرية، التي تبلغ قيمتها ٥٠ ألف جنيه، كل من: الروائي سليمان فياض، والناقد الدكتور عبدالعزيز حمودة، والروائي صبري موسى في (الآداب)، وفي (الفنون) كل من الموسيقار كمال الطويل، وصالح رضا، ومحفوظ عبدالرحمن، وفي (العلوم الاجتماعية) الدكتور مصطفى الفقي، والدكتورة زبيدة عطا، والدكتور محمود عودة، والدكتور صلاح الدين عامر.

أما جائزة الدولة للتفوق التي تبلغ قيمتها ٢٥ ألف جنيه فكانت من نصيب كل من: نهاد صليحة، وعبدالعال الحمامصي في الآداب، وفي الفنون كل من: وحيد حامد، والدكتور راجح داود، وفي العلوم الاجتماعية كل من: أميرة مطر، ومحمد شفيق زكي، والدكتور شاكر عبدالحميد.

كما أسفرت نتائج جوائز الدولة التشجيعية التي تبلغ قيمتها ١٠ آلاف جنيه عن فوز عدد من الأدباء الشبان هم: أحمد أبو خنيجر، وعزة بدر، وسمير فراج، ومحمد أحمد الغيطي، وناجي رشوان، ومحمود إبراهيم خليل، وفي الفنون فاز كل من: نشأت حسن، وضياء الدين محمد حنفي، وخالد حماد، وفي العلوم الاجتماعية ياسر قنصوة، وأيمن رفعة المحجوب، وعبدالباسط وفا محمد، وحمدي علي، وأشرف شمس الدين، وأشرف عبدالرازق.

## منظر طبيعي



أحد مزادات سوذبي

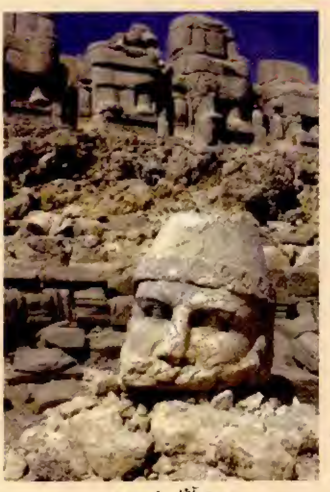
أعلنت صالة سوذبي للمزاد أن لوحة منظر طبيعي للمصور النمساوي إيغون شيل، وهو من المدرسة التعبيرية، بيعت بمبلغ قياسي بلغ ١٢.٦ مليون جنيه إسترليني (٢٠.٩٣ مليون دولار)، وابتاع اللوحة التي كانت قد سرقت في الحقبة النازية عاشق للمدرسة التعبيرية أبرم الصفقة هاتفياً.

وقالت ميلاني كلور نائبة رئيس سوذبي في أوربا: «هذه البيعة تؤكد أن الأعمال الجيدة مهما كانت جديدة في السوق عليها طلب دائم».

وكانت سوذبي قد توقعت أن تباع لوحة شيل الذي اشتهر بلوحاته العارية ذات الأجساد النحيلة بما يراوح بين خمسة وسبعة ملايين جنيه إسترليني

فقط. وكان النازيون قد استولوا على لوحة شيل التي رسمها لمنزل أمه الريفي عام ١٩١٦م والتي كان يقتنيها إمبراطور صناعة النسيج فيلي هلمان عام ١٩٣٨م، ثم نقلت في وقت سابق من العام الحالي من متحف نيو جاليري في لينز بالنمسا إلى ورثة هلمان، وكانت اللوحة التي عدّها النقاد من أفضل أعمال شيل قد باعها النازيون في مزاد عام ١٩٤٢م، وعرضت في متحف نيو جاليري منذ عام ١٩٥٣م.

## انتشال كنز نمرود


من آثار نمرود

أعلن في بغداد مؤخرًا انتشال كنز لا يقدر بثمن يضم قطعًا ذهبية ومجوهرات وزخارف تنتمي إلى واحدة من أقدم حضارات العالم من قبو غمرته المياه تحت بناية المصرف المركزي العراقي في بغداد. واكتشف محققون أميركيون ومسؤولون عراقيون «كنز نمرود» الشهير بعد تجفيف القبو من المياه.

ويضم الكنز مجموعة من مئات القطع من المجوهرات تعود لملكة آشور القديمة، ونمرود هو مؤسس الإمبراطورية الآشورية.

وقال فالح سلمان القائم بأعمال محافظ المصرف المركزي: إنه جرى انتشال جميع القطع، وإن فريقًا يقوم بفحصها لمعرفة إن كان لحق بها أي ضرر. واكتشفت هذه الكنوز في الفترة ما بين عامي ١٩٨٨م و ١٩٩٠م في مقابر ملكية قديمة أسفل قصر آشوري يعود تاريخه إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وكان يخشى أن تكون قد ضاعت عندما سلب النهابون آثار العراق بعدما أطاحت قوات تقودها الولايات المتحدة بنظام صدام حسين.

لكن المحققين الأميركيين علموا أن مجموعة نمرود وضعت في قبو في المصرف المركزي في أوائل التسعينيات ربما لحمايتها في أثناء حرب الخليج عام ١٩٩١م، وظلت هذه المجموعة في مكانها على الرغم من أن مبنى المصرف المركزي تعرض للتدمير وغمرت المياه الأقبية الموجودة أسفله.

وقال سلمان إن الكنز لم يفقد قط، وإن العراقيين كانوا يعرفون على الدوام أنه هناك، وإن الأمر تطلب بعض الوقت لانتشاله بسبب المياه.

وقال موظفو الجمارك الأميركيون الذين ساعدوا على انتشال الكنز: إنهم وجدوا لدى دخولهم الأقبية أول مرة جثث نهّابين قتلوا في تبادل للنيران مع عصابات منافسة. لكن ثبت أن الأختام على صناديق الكنز لم تمس.

وقال الموظفون: إنهم لا يعرفون كيف غمرت المياه الأقبية، لكنهم يشتبهون في أن العراقيين فتحوا المياه عن عمد لمنع النهابين أو أفراد من الحاشية المقربة من صدام من نهبها. وتطلب سحب المياه أيامًا. ولا تزال بعض القطع الأثرية التي لا تقدر بثمن مفقودة.

## كتاب من أجل الغابات

نادى عدد من الكتّاب الإيطاليين في مذكرة رفعوها إلى دور النشر المحلية والعالمية أن تتم طباعة كتبهم على ورق «الريسايكل» المعاد تصنيعه من بقايا الورق القديم والخرق البالية وورق الأشجار، وذلك حماية للغابات من قطع أشجارها لصناعة الورق.

وقد أُطلق على هذا النداء الذي يحمل توقيع نحو ثلاثين من أكبر كتّاب إيطاليا، نداء «كتاب من أجل الغابات»، وقد جاء فيه: أن «كل شجرة يتم قطعها تنتج ٩٠ كتابًا، وأكثر من ٧٠٪ من ورق الكتب والمجلات التي نقرؤها يستخدم من أشجار الغابات



الغابات أهم مصدر للورق

التي تعدّ الرئة الخضراء للبيئة العالمية، وأن ٨٠٪ من عمليات إعدام مساحات كبيرة من الغابات في معظم أنحاء العالم تمت في الأعوام الـ ٣٠ الأخيرة، وأن معدل إتلاف مساحة من الغابات بحجم ملعب لكرة القدم يتم كل ثانيتين في جميع أنحاء العالم، وأن ٧٦ بلداً في العالم فقدت غاباتها نتيجة الإهمال والتخريب المتعمد، وأن ما تبقى للبشرية من غابات كبيرة موجود في كندا والبرازيل».

## ظاهرة هاري بوتر

تدفق ملايين القراء في الشهر الماضي على المكتبات لمعرفة ماذا سيحدث للساحر المراهق ذي العصا ذات المحرك التوربيني، واندفع الأطفال من سيدني لنيويورك لرؤية «هاري بوتر وطائفة العنقاء»، بعد حملة



هاري بوتر

تسويقية هي الأكبر عالمياً. أما البريطانية جوان كاثلين رولينغ التي كتبت أشهر شخصية ساحر على وجه الأرض فهي مسرورة لعدم تسرب سر الحبكة الدرامية، وقالت بعد زيارة مكتبة أدنبره لمشاهدة بيع الكتاب: أنا سعيدة جداً. أعتقد أن غالبية الأطفال سيكتشفون ماذا سيحدث لأنهم سيقرؤون الكتاب، وهذا مهم لي. وبفضل انتظار الأطفال لثلاثة أعوام لرؤية أحدث جزء من الكتاب وأيضاً الحملة التسويقية الماهرة فقد يصبح المجلد الكبير والثقيل أكثر الكتب مبيعاً على الإطلاق.

وقد ذكرت صحيفة «ذي تايمز» أن أكثر من مليون نسخة من مغامرات هاري بوتر الجديدة بيعت في بريطانيا في أقل من ٤٨ ساعة على بدء تسويق الكتاب. وأكدت ممثلة عن «ووترستونز» إحدى شبكات المكتبات الرئيسة في بريطانيا أن «أكثر من مليون نسخة بيعت في المكتبات خلال عطلة نهاية الأسبوع» في بريطانيا، وقد باعت «ووتر ستونز» في جميع فروعها ١٩٠ ألف نسخة من كتاب «هاري بوتر وطائفة طائر العنقاء» في غضون يومين، أي أكثر بأربع مرات من الجزء الرابع من مغامرات الساحر الشاب «هاري بوتر وكأس النار» على ما أوضحت الصحيفة. وباعت متاجر «تيسكو» الكبيرة في غضون ٢٤ ساعة ٣١٧٤٠٠ نسخة من الجزء الخامس من هذه المغامرات، وسبق لمحلات «تيسكو» أن شهدت أكبر مبيعات في بريطانيا للجزء السابق من هذه السلسلة.

ولم ينتظر الألمان ظهور الترجمة في نوفمبر/تشرين الثاني القادم، واشتروا بشغف النسخة الإنجليزية من مطار فرانكفورت الدولي. ويعد الطفل الساحر ظاهرة عالمية إذ باعت أربعة إصداراته الأولى ٢٠٠ مليون نسخة بخمس وخمسين لغة في مئتي دولة. وطبع نحو ١٣ مليون نسخة من الجزء الخامس من الكتاب.

وقالت دور نشر بلومزبيري: إن الكاتبة جيه. كيه. رولينغ شرعت بالفعل في كتابة الجزء السادس من هذه السلسلة، لكنها لم تحدد موعداً للانتهاء منه.

### منكسر باعتداد

**ماذا سيَمنحُك الهوَى؟!**
**بحرًا من الفيروزِ**
**أم وردًا معتّقَ**
**أم جوَى**
**يا أيّها الماضي إلى الكلمات تبذرُها**
**وتحرثُ ما استجدّ من النوى**
**بستانُ شِعرِكَ قاحلٌ من دونها**
**وعيونُ قولِك يستبدُّ بها العمَى**

هذا مطلع إحدى قصائد ديوان الشاعر أحمد إبراهيم البوق الذي صدر حديثًا عن دار شـرقـيـات للنشـر والتـوزيع بالقاهرة. وقد احتوى الديوان، الذي جاء بعنوان «منكسر باعتداد»، على أكثر من ثلاثين قصيدة جاءت على طريقة الشعر المرسل، منها: «رسائل للراحلين»، و«الأمنية»، و«الحمائم»، و«الشهادات»، و«الإبل»، وغيرها.



غلاف الكتاب

ولد الشاعر أحمد البوق في المدينة المنورة عام ١٩٦٥م، وحـصـل على بكالوريوس في علم الحيوان عام ١٩٨٨م، وماجستير في البيئة وعلوم سلوك الحيوان من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ويعمل الآن باحثًا بيئيًا في الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها في السعودية.

وله كثير من المشاركات في الصحف والمجلات العربية في الشعر والمقالة والاستطلاعات المصورة، وهو أحد كتّاب «الفيصل»، وصدر له ديوان شعر بعنوان «أحاميم» عام ١٩٩٤م.

### تكنولوجيا لحفظ الوثائق

تنوي دار الكتب المصرية اعتماد نظام تكنولوجي متطور من أجل حفظ نحو ٦٠ مليون وثيقة قومية وتأمينها، وسوف يبدأ المشروع الذي يكلف ملايين الجنيهات بميكنة ٥٥ ألف وثيقة كمرحلة استكشافية، تعقبها ميكنة ملايين الوثائق من خلال استخدام النظم الحديثة وقواعد البيانات ومراعاة الفهرسة، ونظم الاستخدام المختلفة، وأنظمة خدمات النشر وتصوير الوثائق إلكترونيًا، كما يوفر المشروع خدمات البحث والنشر والاطلاع عبر آليات إلكترونية متطورة.

إحدى مخطوطات دار الكتب

ويجيء هذا الإجراء بعد أن تعرضت وثائق ومخطوطات وكتب قيمة إلى الضياع من بينها مخطوطة نادرة تعود إلى الإمام الشافعي وتحمل ختمه سرقت من دار الكتب والوثائق، كما بيعت آلاف من الكتب النادرة ضمن مزاد علني على سبيل الخطأ.

وقد أثارت هذه الأحداث الأوساط الثقافية في مصر، حتى بلغ الأمر إلى البرلمان المصري الذي طالب عدد من أعضائه بتوقيع أقصى العقوبات التي تصل إلى الإعدام باللصوص السارقين تاريخ مصر، كما طالبوا بمطاردة لصوص المخطوطات والوثائق الهاربين خارج مصر وملاحقتهم.

والمعروف أن الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق هي مؤسسة حكومية بحثية ثقافية لا تهدف إلى الربح، وتقوم بتقديم الخدمات المكتبية لجميع القراء في مصر والعالم العربي، ويبلغ عدد المخطوطات العربية الشرقية الموجودة في مصر نحو ١١٠ آلاف مخطوطة، وهي تأتي في المرتبة الثانية بعد تركيا في عدد المخطوطات، وتضم دار الكتب نحو ٥٧ ألف مخطوطة تعد من أنفس المجموعات العالمية وأثمنها بتنوع

موضوعاتها، بالإضافة إلى عدد كبير من المصاحف الشريفة والربعات، بعضها مكتوب على الرق، ويرجع تاريخ أقدم مصاحفها إلى سنة ٧٧هـ، وينسب إلى الإمام الحسن البصري، بالإضافة إلى عدد كبير من المصاحف المملوكية التي أوقفها سلاطين المماليك على مدارسهم التي أقاموها في القاهرة، وعدد كبير من المخطوطات الفارسية المزينة بالصور (المنمنمات) وماء الذهب والألوان البديعة.

## البحث عن الحقيقة في التاريخ

اتخذت جماعات ضغط يهودية في أستراليا مؤخراً إجراءً قضائيًا لوقف عرض فيلم للمؤرخ الإنجليزي ديفيد إرفينج يثير تساؤلات حول مستوى الاضطهاد في ألمانيا في أثناء الحكم النازي. ومنع إرفينج، الذي ينفي حدوث المحرقة النازية، من زيارة أستراليا بسبب إعلان الحكومة أنه شخص غير مرغوب فيه. كما أدين في ألمانيا عام ١٩٩٢م بتهمة تشويه ذكرى القتلى.

وقال رئيس مجلس الطائفة اليهودية لفكتوريا مايكل ليبشفيتز: إن فيلم «البحث عن الحقيقة في التاريخ» الذي كتبه إرفينج يشوه سمعة اليهود ويحض الناس على كراهيتهم. وقال ليبشفيتز إن حظر عرض الفيلم في المهرجان لن يمثل قيوداً على حرية التعبير عن الرأي. وصرح ليبشفيتز لإذاعة (إيه. إيه. بي) الأسترالية: «ليس لدينا حرية غير محدودة أو مطلقة للتعبير عن الرأي في أي بلد».

## ندوة الرواية اللبنانية

شهدت الجامعة الأمريكية في بيروت الشهر الماضي انعقاد ندوة بعنوان: «الرواية اللبنانية الصادرة حديثًا» تناولت النتاج الروائي اللبناني الحديث ونظرته إلى الغرب، والأساليب التي اعتمدها عدد من الروائيين اللبنانيين.

وقد شارك في الندوة عدد من الروائيين وأساتذة الجامعة الأمريكية في بيروت منهم: الدكتورة سميرة أغاسي رئيسة قسم الإنسانيات، وأستاذة الأدب الإنجليزي في الجامعة اللبنانية الأمريكية، والدكتور كن سينويرني الأستاذ بقسم اللغة الإنجليزية بالجامعة نفسها، والدكتورة ليزا سالم، وهي أستاذة زائرة في دائرة اللغة الإنجليزية بالجامعة الأمريكية في بيروت، وقد قدمت أبحاث الندوة باللغة الإنجليزية.

## إعلان القاهرة الثقافي


تركي الحمد

شهدت دار الأوبرا المصرية بالقاهرة في الثالث من يوليو/ تموز ٢٠٠٣م ختام أعمال مؤتمر الثقافة العربية الذي نظمه المجلس الأعلى للثقافة المصري، واستمر ثلاثة أيام منذ بداية الشهر، وقد شارك في المؤتمر الذي جاء تحت عنوان «نحو خطاب ثقافي جديد: من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل» نحو ٦٠ مفكراً ومبدعاً من مختلف الدول العربية، منهم: الروائي السوداني الطيب صالح، والروائي الليبي إبراهيم الكوني، والسعودي الدكتور تركي الحمد، وأدونيس، ورؤوف عباس، والدكتور محمد سليم العوا، والدكتور يحيى الجمل، والدكتورة هدى عبدالناصر، وآخرون، بالإضافة إلى الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر.

وشمل البيان الختامي الذي صدر عن المؤتمر «إعلان القاهرة الثقافي» عدداً من النقاط كانت كالآتي:

أولاً: إن وحدة الثقافة العربية كانت، ولا تزال،

عاملاً رئيساً في وحدة الشعوب العربية، وإن الأجيال المتعاقبة من المثقفين العرب أدت دوراً في الدفاع عن مصالح الأمة، وفي اقتراح الأفكار التي أسهمت في استقلالها وتقدمها، وهذه الوحدة الثقافية تظل أساساً لا بد منه، من أجل تجديد المشروع الحضاري العربي، وتجدد آفاق الشعوب العربية.

الطيب صالح

ثانياً: يؤكد المؤتمر أن إنجاز الاستقلال الوطني والقومي لكل الأقطار العربية هو إنجاز ينبغي الحفاظ عليه والدفاع عنه، وأن من حق الشعب الفلسطيني تحرير أرضه المحتلة وإقامة دولته المستقلة، كما يندد بالاحتلال العسكري الأمريكي للعراق ووضع اليد على مقدراته وثرواته.

ثالثاً: يرى المشاركون في المؤتمر أن في الأمة العربية من المقومات ما يدفع عنها اليأس، وما يدرأ التفريط والتهاون في المسائل القومية، مؤمنين بأن هذه الأمة قادرة على النهوض وتجاوز العقبات والنكسات.

رابعاً: يطالب المشاركون في المؤتمر الأنظمة العربية بإلغاء الأوضاع العرفية التي تحاصر الحريات العامة، ومنها حرية الرأي والفكر والإبداع الأدبي والفني، وكذلك تحقيق أفق مجتمعي جديد، يضمن حرية الاجتهاد الفكري المسؤول الذي يؤمن بالاتفاق والاختلاف.

خامساً: يطالب المشاركون في المؤتمر بتطوير التعليم العام والجامعي وإصلاح الجهاز المدرسي ومحو الأمية.

سادساً: يؤمن المشاركون في هذا المؤتمر بضرورة الوصول إلى الشروط الاجتماعية والثقافية التي تنتج خطاباً دينياً متطوراً منفتحاً على العصر.

سابعاً: " يشدد المشاركون في المؤتمر على وحدة الحضارة الإنسانية، وعلى تمسكهم بهوية الأمة العربية، التي أسهمت في هذه الحضارة، ويرفضون دعوات الانعزال عن العالم أو مناصبته العداء، ذلك أن زعماً كهذا يسيء إلى جوهر المشروع الحضاري العربي، ويعوق اندراجه في الحضارة الإنسانية، ويتعارض مع معنى المثاقفة والحوار الثقافي، من حيث هما شرطان ضروريان لتطوير كل هوية ثقافية إنسانية.

ثامناً: يطالب المشاركون في المؤتمر السلطات المسؤولة بتأمين التمكن من وصول الثقافة إلى المجتمع كله، وبالارتقاء بالوعي الثقافي المجتمعي ذلك أن الأنظمة المستبدة المغلقة أوهنت المجتمع حين أوهنت ثقافته، وفككت عراه حين طاردت الثقافة والمثقفين مستعملة الرقابة والإرهاب والمطاردة والحصار، فالارتقاء الثقافي شرط تطور المجتمع وانفتاحه على السياسة والمبادرات الوطنية وتجديد أشكال الفكر جميعاً.

تاسعاً: يدعو المشاركون في مؤتمر القاهرة جميع المثقفين العرب إلى الخروج عن الصمت والانتظار والارتياب لتحدي القمع والتهميش، وإعادة طرح القضايا والأسئلة باتجاه مد جسور بين المجتمع المدني والدولة. كما اقترح المشاركون في هذا المؤتمر، تشكيل لجنة لمتابعة نتائج الحوار وتوسيعه، أملاً منهم في الوصول إلى مرحلة متقدمة لاحقة تجعله حقيقة، أو قابلاً للتطبيق بشكل كلي أو نسبي.

## مواقع جديدة على لائحة التراث العالمي

أعلنت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، إدراج نحو ثلاثين موقعاً تراثياً جديداً على لائحة التراث العالمي، وقالت المنظمة: إنه سيتم تسجيل التحف الخاصة بالتراث الثقافي والطبيعي خلال الدورة السابعة

والعشرين للجنة التراث العالمي لليونسكو التي ستنعقد في مقر المنظمة في باريس.

وسيقوم المدير العام لليونسكو كويشيرو ماتسورا بافتتاح الدورة في جلسة مفتوحة أمام الصحافة، وستواصل أعمال اللجنة بعد ذلك ضمن جلسات مغلقة.

وسيخضع ٣٨ اقتراحاً بتسجيل مواقع أثرية جديدة للدراسة من قبل اللجنة منها ٢٧ موقعاً ثقافياً و ٧ مواقع طبيعية، و ٤ مواقع مختلطة يجري تقديمها من ٣٢ بلداً هي: أفغانستان وإفريقية الجنوبية وألمانيا والأرجنتين وأستراليا، والبوسنة، وتشيلي، والصين، ومصر، وإسبانيا، والاتحاد الروسي، وغامبيا، والهند، وإيران، والعراق، وفلسطين، وإيطاليا، وكازاخستان، والمكسيك، ومنغوليا، وبولونيا، والبرتغال، وجمهورية الدومينيكان، وكوريا الشمالية، والجمهورية التشيكية المتحدة، وسلوفينيا، والسودان، وسويسرا، وتركيا، وفيتنام، وزيمبابوي.

وستدرس اللجنة سبعة مقترحات بتوسيع مواقع مسجلة في ستة بلدان وهي: البرازيل، وكندا، والصين، ومصر، وبنما، والمملكة المتحدة.

كما ستدرس اللجنة من جديد لائحة التراث العالمي المهدد علماً أن عدد المواقع المسجلة على هذه اللائحة حالياً يبلغ ثلاثة وثلاثين موقعاً، وهي مواقع تكون عادة معرضة لتهديدات كبرى مثل التلوث المنجمي أو الصناعي، وعمليات السلب والحروب وسوء إدارة السياحة والصيد المحظورة وغيرها.

ويجري حالياً حماية ٧٣٠ موقعاً أثرياً ذات قيمة عالمية استثنائية بموجب اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي التي تضم ١٢٥ بلداً طرفاً في الاتفاقية منها ٥٦٣ موقعاً تعد من الممتلكات الثقافية و ١٤٤ موقعاً من الممتلكات الطبيعية و ٢٣ موقعاً من الممتلكات المختلطة.

كما تشجع هذه الاتفاقية الفريدة من نوعها التعاون الدولي الرامي إلى الحفاظ على التراث الثقافي والطبيعي الذي يشكل ثروة للإنسانية جمعاء.

وتتعهد البلدان الأطراف من خلال المصادقة على اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي بالحفاظ على المواقع المسجلة على لائحة التراث العالمي، ولا سيما عبر إنشاء الإطار التشريعي والقانوني الملائم لها.

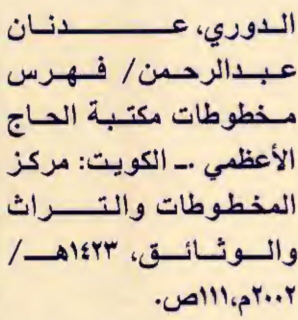
وتتألف لجنة التراث العالمي من ممثلين عن ٢١ دولة يجري انتخاب أعضائها كل ستة أعوام من قبل الجمعية العامة للدول الأطراف في الاتفاقية.

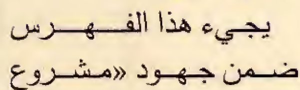
وتقوم اللجنة كل عام بتسجيل موقع جديد على لائحة التراث العالمي بناء على اقتراح من الدول الأطراف، وبعد دراسة أعمال التقويم التي تنفذها منظمتان استشاريتان هما: المجلس الدولي للصروح والمواقع الأثرية (أيكوموس للمواقع الثقافية) من جهة، و(الاتحاد العالمي للمواقع الطبيعية) من جهة ثانية.

ويقوم المركز الدولي للدراسات، في حفظ الممتلكات الثقافية وإصلاحها، ويقدم استشاراته بهذا الصدد، ويشارك في تدريب الاختصاصيين في مجال صيانة التراث.

وتقع على لجنة التراث العالمي مسؤولية تطبيق اتفاقية عام ١٩٧٢م التي تدرس التقارير حول حالة حفظ المواقع المسجلة، وتطلب من الدول الأطراف اتخاذ التدابير اللازمة في حال تعرض المواقع لسوء الإدارة.

كما تمول اللجنة عدداً من المشروعات عن طريق صندوق التراث العالمي بمبالغ تصل إلى نحو أربعة ملايين دولار سنوياً، وتشجع التعاون الفني وتدعم تدريب الاختصاصيين، ويتولى أمانتها مركز التراث العالمي التابع لليونسكو.





**أبو صفية، جاسر خليل/ كلمات القرآن (من البيان القرآني).- عمان: دار الجوهرة للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٩٧ص.**

يحاول المؤلف في هذا الكتاب الاطلاع على كنوز القرآن اللفظية، واكتناه أسرار كلماته وما تحمله من دلالات متنوعة، تشهد بإعجازه، وتكشف عن سر بقائه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كذلك لم تغفل الدراسة ما تثيره كلمات الله، سبحانه وتعالى، في النفس البشرية من هزة مبعثها جمال العربية وأساليبها في فن القول.

وأصل هذا الكتاب حلقٌ تلفازية، كان يقف فيها المؤلف في كل حلقة عند لفظة من كلمات القرآن ليبيّن دلالتها اللغوية على الحقيقة، وما طرأ عليها من تغيّر وتوسّع بمجيء الإسلام، ثم يعرض لمعاني اللفظة المختلفة كما جاءت في القرآن.

وجاء الكتاب في فصلين:

جاء في الأول: الابتلاء، والإحسان، والاستغفار، والاستكبار، والإله، والإنفاق، والأمن والإيمان، والباطل، والبر، والتوبة، والتوكل، والجنة، والحساب، والحسد، والحق، والحكمة، وحنيف، والخالق، والخير والشر، والدعاء، والدين، والرب، والربا، والرحمة، والرزق، ورمضان.

وجاء في الثاني: الرياء، والزكاة، والشرك، والصبر، والصلاة، والصوم، والظلم، والعبودية، والعدل، والعفو، والعلم، والغواية، والغيب، والغيث والمطر، والفتنة، والفساد، والفسق، والقرآن، والفرقان، والقصص، والقضاء، والكتاب، والكفر، واللباس، واللسان، ومكة، والنفس، والنور، والهدى، والهوى.

اعتمد المؤلف على عدد كبير من المصادر أهمها: كتب اللغة ومعجماتها، وكتب التفسير والدراسات القرآنية، وكتب الحديث والفقه، وكتب الأدب، ودواوين الشعر وغيرها، وقد أغفل الإحالة إلى هذه المصادر تيسيراً للقارئ باستثناء تخريج الآيات القرآنية.

**الدوري، عدنان عبدالرحمن/ فهرس مخطوطات مكتبة الحاج الأعظمي .- الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ١١١ص.**

يجيء هذا الفهرس ضمن جهود «مشروع عبدالله المبارك الصباح لإحياء التراث الإسلامي وإنقاذه في العالم بالتعاون مع مركز المخطوطات والتراث والوثائق» في الكويت، وقد جاء في بداية الفهرس نبذة من حياة صاحب المكتبة الشيخ الحاج حمدي بن عبدالله بن الملا محمد بن عبدالله الأعظمي (١٢٩٩-١٣٩١هـ)، ثم لمحة إلى تاريخ المكتبة نفسها.

وتضم مكتبة الحاج حمدي الأعظمي العامة التي أسست سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م في الأعظمية في بغداد كتباً قيمة مخطوطة ومطبوعة في كل علم وفن، وربما عدت هذه المكتبة أغنى مكتبة في كتب التفسير والحديث والمجلات الإسلامية والتاريخية، بالإضافة إلى كتب السيرة النبوية والأدب والفلسفة والعلوم الإسلامية والاجتماعية.

وتضم المكتبة نحو ٦٥٠٠ (ستة آلاف وخمسمئة) مجلد، مرتبة ومنظمة، ولها سجل عام كبير، وبطاقات كتب عليها اسم الكتاب، وقد رتبت الكتب على عدد من الحروف هي:

أ - ب: كتب علوم القرآن الكريم وتفاسيره الشريفة.

ج: كتب علوم الحديث الشريف.

ج - د: كتب السيرة الشريفة والعهد القديم.

هـ - و: كتب الفقه على المذاهب الثمانية والأصول.

ز - ح: المجلات الإسلامية والتاريخية والأدبية.

ط: كتب اللغة والنحو.

ي: كتب الفلسفة والحكمة.

ك: كتب العقائد والدين المختلفة والفارسية.



ل: كتب المواعظ والتصوف الإسلامي.

م: كتب الحقوق والقوانين والأنظمة الدولية باللغتين العربية والتركية.

ن: كتب الآداب العربية.

س: كتب المخطوطات في مختلف العلوم الإسلامية.

ف ـ ص ـ ق: كتب التاريخ باللغتين العربية والتركية، وبعض العلوم التركية ـ اللاتينية.

وتضم المكتبة كذلك خزانة خشبية كبيرة وضعت فيها كتب تركية مطبوعة بالحروف اللاتينية في مختلف العلوم، وعددها ٢٥٤ كتاباً، وقد ضُمت إليها خزانة كتب أوقفها السيد إبراهيم الأعظمي ـ رحمه الله ـ في حياته على المكتبة، ونقلت بعد وفاته إلى المكتبة عام ١٩٦٥م، وعددها ٣٥٤ كتاباً في مختلف العلوم الإسلامية.

**عبدالله، محمد قاسم/ سيكولوجية الذاكرة: قضايا واتجاهات حديثة.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٣م، ٣١٧ص (عالم المعرفة؛ ٢٩٠).**

يعدّ موضوع الذاكرة من أهم موضوعات علم النفس، وقد أثير الكثير من التساؤلات، ووضع عدد من الافتراضات المتعلقة بطبيعة الذاكرة وعملها وآليتها، لما لهذا الموضوع من آثار ونتائج في كثير من الميادين، فالذاكرة ليست موضوعاً كأي موضوع يبحثه علماء النفس، وذلك لأنها جوهر العمليات المعرفية التي تدفع الشخص إلى التصرف بهذا الشكل أو ذاك. ويشارك فريق من المختصين في فروع مختلفة للإجابة عن الكثير من التساؤلات التي تثار عن طبيعة هذه العملية وآلياتها وطرق تنميتها ومعالجة اضطراباتها منذ زمن بعيد. ولكن الجديد الذي يبحثه المختصون حالياً هو: «الذاكرة اللاشعورية»، و«الذاكرة الرضية التي تعرضت لصدمة»، و«الذاكرة المزيفة»، و«الإيحاء والذاكرة»، و«ذاكرة شهود العيان والمستجوبين في أثناء الاستجواب»، و«القانون والذاكرة»، و«الذاكرة والمخ»، و«الذاكرة والتغذية»، و«الذاكرة لدى المتقدمين في السن».

وقد جاءت موضوعات الكتاب في ثلاثة محاور رئيسة متكاملة ناقش المحور الأول «مفاهيم أساسية وحديثة حول الذاكرة (الذاكرة وطبيعتها، وعلاقة الذاكرة بالتعلم، والذاكرة والإبداع، والذاكرة لدى الحيوانات والنباتات، والتغذية والذاكرة)».

ووصف المحور الثاني «أشكال الذاكرة وقضايا قانونية واجتماعية (الذكريات الشخصية، والذاكرة الرضية التي تعرضت لصدمة، والذاكرة المزيفة، والذاكرة والإيحاء، والذاكرة والقانون، وذاكرة الشهود، والإقناع القسري، والتمييز بين الذاكرة الحقيقية والمزيفة)»، وجاء في المحور الأخير «الذاكرة والصحة النفسية (المواد والعقاقير التي تؤثر في الذاكرة، والذاكرة والأمراض المزمنة، والاضطرابات النفسية، والذاكرة والتقدم في السن)».

**القاضي، أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي (ت٢٨٢هـ)/ الجزء الخامس من مسند حديث مالك بن أنس برواية محمد بن عبدالله بن الحسان، ابن أبي المنظور الأندلسي (ت٣٣٧)، تحقيق: ميكلوش موراني.- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م، ١١٠ص.**

تعدّ هذه النسخة من النفائس الفريدة والثمينة في التراث المالكي التي تتعلق بطريق مباشر برواية الموطأ للإمام مالك بن أنس في القرن الثالث الهجري في

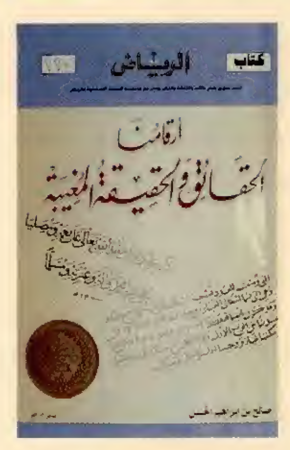
حلقات تلاميذه المشهورين الذين أخذ عنهم القاضي إسماعيل بن إسحاق أحاديث الموطأ، ورتبها بترتيب أسماء شيوخ مالك بن أنس في كتابه هذا، وقد عثر عليها المحقق بالمكتبة العتيقة بالقيروان، وهي نسخة كاملة من أولها إلى آخرها بما في ذلك ذكر رواية الكتاب في البداية والسماعات التي أضيفت على الورقة الأخيرة للنسخة.

ويقول المحقق أن أغلب كتب المؤلف لم يزل في حكم المفقود، فلم ينشر فيها إلى الآن غير جزأين صغيرين. أولهما: فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، الذي قام بتحقيقه الشيخ ناصر الدين الألباني، وثانيهما: الجزء الذي فيه من أحاديث أيوب السختياني، بتحقيق ودراسة سليمان بن عبدالعزيز العريني، و لا توجد مخطوطة أخرى لهذا الكتاب؛ لذا اعتمد المحقق في تحقيق النص ـ خاصة عند إثبات النص وتصويبه ـ على الموطآت الأخرى المطبوعة لسد ما سقط في هذا المخطوط؛ فوضع هذه الكلمات حتى الحروف الساقطة في هذه النسخة بين قوسين مربعين [ ] من أجل تكملة النص.

بدأ الكتاب بمقدمة ضافية تعرض فيها المحقق لسيرة شيوخ مؤلف هذا الكتاب، ولم يعثر على أي معلومات حول شخصية ناسخ هذا المخطوط إلا أنه كان من تلاميذ ابن أبي المنظور، وكتب هذه النسخة في حلقته قبل سنة ٢٨٣هـ، وختم الكتاب ببعض الفهارس العامة.

**الحسن، صالح بن إبراهيم/ أرقامنا: الحقائق والحقيقة المغيبة.ـ الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٣٨٤ص (كتاب الرياض؛١١٠).**

عالجت هذه الدراسة قضية الأرقام بدءًا من وجودها في الحضارات المختلفة، وتتبعت النظريات التي حاولت تفسير أصلها ونشأتها، حتى خلصت إلى القول بأصلها الهندي، ثم شرحت الإسهام العربي في تطوير هذه الأرقام، وتابعت مسيرتها إلى الغرب، متلمسة ملامح التغرب التي أصابتها عند حلولها في أوربا، وما اعتور أشكالها من تحوير، أبعدها عن أصلها الذي عُرفت به عند العرب، حتى أصبحت في صورتها الجديدة أشبه ما تكون بالحروف اللاتينية في استقامة خطوطها وزواياها الهندسية.




وانتهت الدراسة إلى نتيجة رئيسة فحواها أن الأرقام العربية المشرقية هي الأرقام العربية الأصلية، تطورت مع حروفنا، فأصبحت جزءًا لا يتجزأ من نسيج ثقافتنا وتفكيرنا، كما أكدت الدراسة أيضًا أن الأرقام الأوروبية ترجع في أصولها إلى الأرقام العربية الهندية الأولى، لكنها هاجرت في وقت مبكر إلى الغرب الأوروبي، فتطورت مع كتابته اللاتينية وأسلوب حياته، وأنماط رسمه لحروفه، فأصبحت من نسيج كتابته، وأن أي دعوة بإحلالها مكان أرقامنا الآن هي دعوة ساذجة منهزمة لا تستند إلى عقل فاحص.

وختمت الدراسة بعرض مجموعة من الأشكال المكملة لما طرحته الدراسة في مباحثها، سواء أكان ذلك استشهاداً بوثائق عرضتها المصادر في تاريخ علم الحساب، أم كانت أشكالاً توضيحية حرص الباحث أن تكون ذات دلالة علمية واضحة تحقق هدفًا محدداً في الدراسة، وقد تم وضع شرح لموضع الاستشهاد في كل شكل أو صورة.

**الزير، عبدالعزيز بن محمد / اتجاهات النشر التجاري للكتب بالمملكة العربية السعودية.ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٥٠٩ص (السلسة الأولى؛ ٣٣).**

تهتم هذه الدراسة بتحليل جوانب متعددة تتعلق بالكتاب المنشور تجاريًا، حاول المؤلف من خلالها دراسة الاتجاهات النوعية الموضوعية والمؤشرات




الكمية للنشر التجاري للكتب بالمملكة العربية السعودية في الفترة منذ بداية سنة ١٤٠٩هـ إلى نهاية سنة ١٤١٣هـ.

وقد جاءت الدراسة في قسمين، خصص القسم الأول ليغطي المشكلة، وجمع البيانات وتحليلها، ورصد النتائج والتوصيات، وقُسِّم خمسة فصول، غطت على التوالي: «خطة الدراسة ومنهجها»، و«النشر بين اللغة والاصطلاح»، و«مرحلة التحليل الموضوعي للكتب المنشورة (وفق تصنيف ديوي العشري)»، و«السمات الكمية والنوعية للكتاب»، و«نتائج الدراسة والتوصيات».

وجاء القسم الثاني عن الملاحق، عُرضت فيه قائمة بأسماء دور النشر مرتبة ترتيبًا تنازليًا بحسب عدد الكتب التي نشرتها كل منها في الفترة موضوع الدراسة، كذلك عُرضت في هذا القسم قائمة ببليوجرافية مصنفة بالكتب التجارية المنشورة في الفترة الزمنية موضوع الدراسة، كما تضمنت القائمة أيضًا وصفًا ببليوجرافيًا موجزًا لكل كتاب مذيلاً بأهم رؤوس الموضوعات التي عالجها الكتاب.

وقدم المؤلف عرضًا لعدد من الدراسات التي سبقت هذه الدراسة في هذا المجال، والنتائج التي توصلت إليها تلك الدراسات، ومن هذه الدراسات: دراسة للدكتور يحيى محمود بن جنيد بعنوان «حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية: ببليوجرافية موضوعية ودراسة تحليلية» حول حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية، نشرها النادي الأدبي في الرياض سنة ١٣٩٩هـ، ودراسة لمحمد الشامخ بعنوان «ظهور الطباعة في بلاد الحرمين الشريفين» نشرت سنة ١٣٩٩هـ في مجلة الدارة، ودراسة لعبدالله الماجد بعنوان «حول صناعة النشر في المملكة العربية السعودية»، نشرت سنة ١٤٠٣هـ في مجلة عالم الكتب، ودراسة لسعد الضبيعان بعنوان «صناعة الكتاب في المملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية وصفية»، وغير ذلك من الدراسات.




**الأنباري، أبو البركات/ ثلاثة كتب لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧)، تحقيق: حاتم صالح الضامن.- دمشق: دار البشائر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٠٤ص.**

يحتوي هذا الكتاب على ثلاثة كتب لأبي البركات الأنباري المتوفى سنة (٥٧٧هـ)، قدّم لها المحقق بتعريف شامل للمؤلف تناول شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته. وجاء أول هذه الكتب بعنوان «الموجز في علم القوافي»، وكان الأستاذ عبدالهادي هاشم - رحمه الله - قد عرّف بهذا الكتاب ونشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٦م على نسخة واحدة، وأعاد المحقق نشره مرة أخرى بعد أن وقعت في يده نسخة جديدة من هذا الكتاب ليثبت ما سقط في النشرة الأولى، والكتاب خلاصة وافية لعلم القافية، تابع فيه المؤلف من سبقه من العلماء بأسلوب ميسر، ومن هؤلاء العلماء: الخليل بن أحمد، والمفضل الضبي، والفرّاء، وقُطرُب، والأخفش، وأبو عبيد، وثعلب.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الكتاب الثاني الذي جاء تحت عنوان «اللمعة في صنعة الشعر» الذي نشره الأستاذ هاشم في المجلد الثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٥م، والكتاب عرض لستة وأربعين فنًا من الفنون البلاغية التي جاءت في الشعر، وقد أطلق الأنباري على قسم من هذه الفنون أسماء تختلف أحيانًا عن أسمائها المعروفة في كتب البلاغة.

وجاء الكتاب الثالث في هذه المنظومة بعنوان كتاب

«فرائد الفوائد» وفيه جمع أبو البركات الأنباري أقواله وأمثاله على غرار كتاب «الأمثال» للثعالبي، وجعلها في عشرة فصول، في كل فصل عشرة أقوال، ويبدو أن الفصل الثامن قد سقط منه قول واحد، لأن عدد الأقوال فيه تسعة فقط، والعاشر قد سقطت منه ثلاثة أقوال.

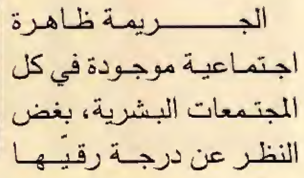


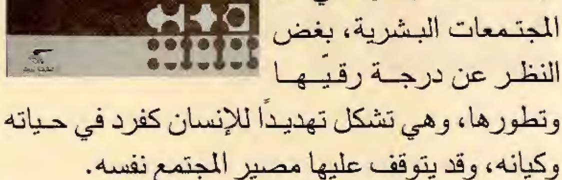
**الموسى، عبدالله بن عبدالعزيز/ استخدام تقنية المعلومات والحاسوب في التعليم الأساسي (المرحلة الابتدائية) في دول الخليج العربية: دراسة ميدانية.. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ٢٢٤ص.**

تهدف هذه الدراسة إلى تشخيص واقع استخدام تقنية المعلومات والحاسوب في المرحلة الأساسية من التعليم في دول الخليج العربية، وقد حاولت الدراسة الإجابة عن مدى أهمية استخدام تقنية المعلومات والحاسوب في التعليم، كما استعرضت تجارب الدول المتقدمة في استخدام تقنية المعلومات في التعليم الأساسي، ثم تطرقت إلى تشخيص واقع التعليم الأساسي من حيث المعلوماتية والحاسوب في دول الخليج العربية، ومدى توافر الأجهزة والبرامج المطلوبة ودرجة استخدامها، والصعوبات التي تقف أمام توظيف الحاسوب في التعليم، وأخيراً مقترحات المسؤولين عن تقنية المعلومات والحاسوب، ودور مديري التعليم الأساسي في تطوير تقنيات المعلومات في التعليم الأساسي.

وقد اتبع المؤلف في هذه الدراسة المنهج الوصفي، إذ قام بتوزيع استبانتين إحداهما خاصة بالمديرين المسؤولين عن المعلوماتية والحاسوب في وزارات التربية والمعارف بدول الخليج، والأخرى خاصة بمديري التعليم الأساسي (التعليم الابتدائي).

وقد جاءت الدراسة في خمسة فصول، تضمن الفصل الأول تمهيداً للدراسة من حيث مقدمتها، ومشكلتها، وأهميتها، وأهدافها، وحدودها ومصطلحاتها، وعرض الفصل الثاني أدبيات الدراسة، واشتمل الفصل الثالث على منهج الدراسة وإجراءاتها من حيث منهج الدراسة ومجتمعها وعينتها وأدواتها وأساليب المعالجة الإحصائية، واستعرض في الفصل الرابع نتائج الدراسة وتحليلها، وقدم في الفصل الخامس خاتمة الدراسة، ونتائجها وتوصياتها.





**طالب، أحسن/ الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية.. بيروت: دار الطليعة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ٣٢٨ص.**

الجريمة ظاهرة اجتماعية موجودة في كل المجتمعات البشرية، بغض النظر عن درجة رقيّها وتطورها، وهي تشكل تهديداً للإنسان كفرد في حياته وكيانه، وقد يتوقف عليها مصير المجتمع نفسه.

أعدّ المؤلف هذا الكتاب كمدخل إلى دراسة الجريمة والعقوبة، والمؤسسات الإصلاحية، وهو نوع من الكتب التدريسية، ويدخل ضمن اختصاص علم الإجرام، أو علم اجتماع الجريمة، أو سوسيولوجية الجريمة، ولذلك فهو لا يهدف إلى مراجعة الفكر، أو أدبيات العقوبة والجريمة، مراجعة نقدية، سردية، تاريخية، تتبعية، بقدر ما يهدف إلى تقديم القدر المناسب والكافي من الشرح والتفسير - من وجهة نظر المؤلف - للقارئ، أو للطالب والباحث، لكي يتحصل، على الأقل، على المداخل الأساسية المتعلقة بالموضوعات المطروحة في عنوان هذا المؤلف «الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية».

حاول المؤلف تقديم عرض ضروري للموضوعات المطروحة، مع تسجيل بعض المواقف من عدد من

القضايا والطروحات والنماذج التفسيرية الواردة في هذا الكتاب، بغية الشرح والتوضيح، واختصار الطريق وتيسير الأمور على الطلاب بقدر الإمكان، وقد جاء الكتاب في ستة فصول كانت كالآتي: «الجريمة والسلوك الإجرامي»، و«العقوبة»، و«المؤسسات الإصلاحية (السجون، وإصلاحيات الأحداث)»، و«العقوبات السالبة للحرية (السجن)»، و«الخدمات الاجتماعية والصحية»، و«قواعد الحدود الدُنيا لمعاملة المساجين».

**كچة جي، صباح/ الصناعة في تاريخ وادي الرافدين ـ بغداد: مطبعة الأديب، ٢٠٠٢م، ١٩٨ص.**

يحتوي هذا الكتاب على ملامح من الصناعة والحرف الصناعية في تاريخ العراق القديم، منذ بداية حضارته في بلاد سومر وما أعقبها من أوج ما وصلت إليه بلاد وادي الرافدين من عظمة وازدهار، خلال العهود البابلية والآشورية والكلدية، وما وصلت إليه تلك الصناعات خلال فترات الازدهار للدولة العباسية، ومن ثم ما آلت إليه من تدهور وتخلف خلال فترات الاحتلال الأجنبي الفارسي والعثماني، وقد استقى المؤلف أغلب ما جاء فيه من بيانات ومعلومات من مصادر تاريخية وآثارية مباشرة وغير مباشرة.

حاول المؤلف التبسيط في العرض والتبويب حسب الفترات التاريخية المتعاقبة، وكذلك التركيز في البيانات على ما يخص الصناعات الحرفية والتقليدية الشائعة، ومحاولة ربطها في بعض الأحيان مع الممارسات الحرفية والأساليب التكنولوجية المستخدمة في وقتنا الحاضر.

جاء الكتاب في خمسة فصول هي: «خلفية تاريخية عن وادي الرافدين»، و«الصناعة في عصور سومر وبابل وآشور»، و«الصناعة في عصور الخلافة العربية الإسلامية»، و«الصناعة في فترة الاحتلال العثماني»، و«الصناعة في بداية الحكم الوطني».

**شنيتسلر، أرتور / أناتول وجنون العظمة، ترجمة: محمد إبراهيم الأتاسي.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٣م، ١٩٤ص (إبداعات عالمية؛ ٣٤٠).**

تعد مسرحية «أناتول وجنون العظمة» لمؤلفها شنيتسلر، من روائع الأدب النمساوي، وهي سلسلة مسرحية تضم ثماني حلقات أو مسرحيات ذات مشهد واحد، مترابطة فيما بينها.

وتعرض المسرحية حواراً بين أناتول ـ وهو شخصية أنانية ذات أهواء مضطربة ـ الذي يروي قصص حبه للنساء على مسامع صديقه ماكس، الذي لا يعد كونه مستمعاً، أو أنه موجود لوضع النقاط على الحروف، مما يعطي الانطباع بأن الحوار في هذه السلسلة المسرحية ليس سوى مونولوج، وقد كان هذا النوع من الحوار شائعاً في أوساط معينة في المجتمع في فيينا آنذاك.

ويعد شنيتسلر من رواد الحداثة في الأدب النمساوي، وقد أرسى قواعد جديدة في الكتابة المسرحية، كالتجسيم الأدبي لتيار الوعي والمسرح ذي المستويين، سابقاً بيرانديللو بعقدين من الزمان، كما نجد بجانب التحليل النفسي/ بدايات مسرح العبث، واللامعقول والمسرح الاحتفالي.

ولد أرتور شنيتسلر في مدينة فيينا عاصمة إمبراطورية النمسا آنذاك في مايو/ أيار عام ١٨٦٢م، وتخرج في كلية الطب في فيينا، وظهر أول أعماله الأدبية خلال الفترة ما بين عامي ١٨٨٦م و ١٨٨٩م، وحصلت مؤلفاته على أربع جوائز قبل وفاته في فيينا عام ١٩٣١م.

### مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية

**(مج٩، ع١، المحرم - جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ/ مارس أغسطس ٢٠٠٣م)**



مجلة نصف سنوية محكّمة.

تنوعت بحوث هذا العدد من المجلة في إطار ما تهتم بنشره «المكتبات والمعلومات ومصادر تاريخ المملكة»، ففي مجال البحوث كتب سليمان بن صالح آل كمال عن «مكتبة آل ابن فهد ودورها الحضاري في ازدهار الحركة العلمية المكية»، وقدّم حسن عواد السريحي وريم علي الرابغي دراسة مسحية لـ «خدمات المعلومات المتاحة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في مدينة جدة»، وشرح عبدالمجيد صالح بوعزة «واقع استخدام المعلومات في اتخاذ القرارات وحل المشكلات من قبل مديري المؤسسات الصناعية الخليجية: منطقة (الرسيل العمانية) نموذجًا»، وتناولت نهلة داود الحمود «واقع المكتبات في كلية التربية الأساسية في الكويت ومجالات التطوير»، ورصدت نوال عبدالعزيز راجح «اتجاهات عضوات هيئة التدريس نحو استخدام قواعد المعلومات الببليوجرافية بجامعة الملك عبد العزيز - قسم الطالبات»، وقدم فؤاد حمد فرسوني دراسة تحليلية لـ «تطورات فهرسة الموارد الإلكترونية»، وختم سهيل صابان بحوث العدد برصد «تصاريح السفر للرحالة المستشرقين إلى الجزيرة العربية من خلال الوثائق العثمانية».

وقدم أمين سليمان سيدو ببليوجرافية حصرية عن غازي القصيبي: آثاره المطبوعة وما كتب عنه، وتناول محمد خير البقاعي حياة وآثار «مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (٧٢٩- ٨١٧هـ/١٣٢٩- ١٤١٥م)» صاحب القاموس المحيط توطئة لإصدار طبعة جديدة من الكتاب بعد أن حصل الكاتب على نسخ مخطوطة جديدة وتوافرت له معلومات لم تكن متاحة حين صدور الطبعة الأولى، كما قدم محمد عبدالرحمن العيسى ببليوجرافية حصرية بالرسائل الجامعية المودعة في مكتبة الملك فهد الوطنية.

وفي باب المراجعات قدّم عبد الله بن محمد المنيف مراجعة لكتاب فائز بن موسى البدراني الحربي «بعض الأعيان وأعلام القبائل في وثائق المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة خلال العهد العثماني (٩٦٠- ١٣٠٠هـ/ ١٥٥٣- ١٨٨٣م)»، وأحمد بن علي تمراز مراجعة لكتاب فردريك ويلفرد لانكستر «التقنيات والإدارة في خدمات المكتبات والمعلومات»، وتتبع ماجد حسين بكار كتاب «مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية (١٤٠٨- ١٤٢٣هـ) توثيقًا واستخلاصًا»، وألقى وليد نذير عتمة «أضواء على كتب حديثة»، وتتبع عبدالله محمد حسين العبد المحسن «البحوث الجارية».

**العنوان: ص ب: ٧٥٧٢ الرياض ١١٤٧٢**
**هاتف٤٦٢٤٨ - ناسوخ: ٤٦٤٥٣٤١**

### مجلة العلوم الاجتماعية

**(مج٣١، ع١، ٢٠٠٣م)**




مجلة فصلية محكّمة تعنى بحقول: الاقتصاد والسياسة والاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية والجغرافيا، تصدر عن جامعة الكويت.

ضم هذا العدد من الدورية خمسة بحوث قيمّة في تخصصات متنوعة، كان أولها في مجال الاقتصاد، تناول فيه أحمد بن سليمان بن عبيد «محددات التوظيف في القطاع الخاص بدول مجلس التعاون الخليجي»، وجاء الثاني في مجال علم النفس من تأليف نبيلة شهاب، وكان بعنوان «الاضطرابات السلوكية عند أبناء الأسرى والشهداء مقارنة بغيرهم من الأطفال والمراهقين»، وفي مجال الخدمة الاجتماعية كتب محمد بن مسفر القرني عن «تأثير غموض الدور وتعارض الدور في الممارسة المهنية لدى الاختصاصيين الاجتماعيين في المؤسسات الطبية»، وفي مجال

الأنثروبولوجيا جاء موضوع زبيدة علي أشكناني «مذكرات أميرة عربية: الإثنوغرافيا والسيرة الذاتية»، وختمت بحوث العدد بموضوع جغرافي كتبه جهاد محمد قربة بعنوان «التباين المكاني لنماذج طقس الرياح الجنوبية بالمملكة العربية السعودية».

وجاء في باب «الألفية الجديدة: التحديات والآمال»، وهو باب استحدثته المجلة بهدف استطلاع آراء الباحثين والمفكرين، كل في ميدانه، حول ما يعتقدونه أبرز التحديات التي تواجه الإنسانية، فضلاً عن الآمال التي يتطلعون إلى تحقيقها مع قدوم الألفية الجديدة، وقد استطلعت المجلة في هذا الصدد آراء كل من : عجيل جاسم النشمي، وبدرالدين عطية، وعدنان عباس علي.

بالإضافة إلى مراجعات بعض الكتب، وملخصات للأبحاث باللغة الإنجليزية، وقواعد النشر في المجلة.

**العنوان:**

**ص.ب: ٢٧٧٨٠ الصفاة ١٣٠٥٥ الكويت**

**هاتف: ٤٨١٠٤٣٦**

**ناسوخ: ٤٨٣٦٠٢٦**

**عالم المخطوطات والنوادر (مج ٨، ع١، المحرم ـ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ/ مارس ـ أغسطس ٢٠٠٣م)**

ملحق نصف سنوي يصدر عن عالم الكتب بدعم من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض.

صدر العدد الجديد من الملحق وهو يزخر بعدد كبير من الموضوعات التي تقع في إطار تخصصه، بدأها عبد الرحمن بن عبدالعزيز السديس بتحقيق جزء من كتاب «الواضح في أصول الفقه» لأبي الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي ٤٣١ ـ ٥١٣هـ، من بداية: «مسألة حكم النسخ بالقياس» إلى نهاية: «مسألة حكم النسخ بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم»، [القسم الثاني]، وقدّم عبدالرزاق خليفة الشايجي تحقيقًا لكتاب «المنتقى من سبعة أجزاء من حديث المخلص» لأبي طاهر محمد بن عبدالرحمن بن العباس المخلص، كما حقق عبدالله بن يحيى السريحي رسالة في: «حديث افتراق الأمة» لأحمد بن علي بن مطير الحكمي (ت ١٠٦٨هـ).

وفي باب «المخطوطات ـ مراجعات وتعريف» تناول أحمد خان «عجائب الأشعار» لمسلم بن محمود الشيزري، وهي «مخطوطة فريدة في العالم»، وتناول لطف الله قاري «مخطوطة في الميكانيكا العربية»، بينما تناولت فاطمة حمزة راضي الكناني مخطوطة «الألفاظ المُغْربة بالألفاظ المُعرِبة» لعيسى بن إبراهيم بن قتيبة (ق ٥ هـ)، وختم الباب ببحث وجيه الشربجي «مخطوطات نادرة بدار الكتب الظاهرية بدمشق».

وجاء في باب «المخطوطات ـ فهارس» بحث لعبد الجبار عبدالرحمن بعنوان «مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة»، وختمت الدورية بباب (الوثائق ـ تحقيق) وقد تناول فيه جابر أبو صفيّة «رسالة موسى بن كعب إلى ملك النوبة».

**العنوان:**

**ص.ب: ٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧**

**هاتف: ٤٧٦٥٤٢٢ – ناسوخ: ٤٧٦٣٤٣٨**



**التاريخ العربي (ع٢٥، شتاء ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)**

مجلة علمية محكّمة تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة.

حفل هذا العدد من الدورية بعدد كبير من البحوث والدراسات التي تتعلق بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي، تناول في بدايتها الدكتور سعيد بنسعيد العلوي «دور الإسلام في الحوار الثقافي العربي»، وأبرز الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله «تواكب الفكرين الصوفي والأدبي»، ودعا

الدكتور أحمد شوقي بنبين إلى «تأسيس علم مخطوطات عربي: التجربة الغربية»، وأكد الأستاذ محمد القاضي أن «جبل طارق - لم يبق من عروبته غير اسمه»، وتعرض الدكتور مصطفى الغاشي لتاريخ «البحر المتوسط في الإستراتيجية العثمانية خلال القرن السادس عشر»، وتناول الدكتور علاوة عمارة دور «الرقيق القيرواني بلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب».

وكتب الأستاذ بن أحمد المحبوب عن «أثر الترجمة والألسن في الثقافة الموريتانية - قراءة في الخطاب الشعري»، والدكتور صالح يوسف بن قربة عن «شخصية عبدالمؤمن بن علي من خلال نقوده»، والأستاذ عبدالكريم الشّبلي عن «الأربطة والمرابطة بإفريقية من خلال النوازل المالكية (ق ٨ - ١٠م)»، والأستاذ محمد محمد الطوير عن «الشيخ الطاهر أحمد الزاوي»، والدكتور عبد المنعم إبراهيم الجميعي عن «ولع الفرنسيين بحضارة مصر القديمة - نموذجاً لحوار الحضارات»، والأستاذ عبدالقادر عثمان محمد جاد الرب عن «المستعربون في عصر ملوك الطوائف بالأندلس (٤٠٣ - ٤٨٦هـ/١٠١٢ - ١٠٩٣م)»، والدكتور أحمد حطيط عن «مكانة المغاربة الاجتماعية بدمشق في زمن الحروب الصليبية»، والدكتور عبدالله واثق شهيد عن «تجربة سورية في تعريب العلوم في التعليم العالي»، والدكتور عبدالعزيز بن راشد السنيدي عن «الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين»، والدكتور محمد رفعت زنجير عن «التحديات التي تواجه اللغة العربية في العصر الحديث».

وختمت الدورية بقصيدة الأستاذ محمد ولد اتاه، وجاءت بعنوان «الشيخ موسوعة».

**العنوان: قصبة الأوداية - الرباط**

**هاتف: ٧٣٢٩٠٥٤ - ٧٢٠٣٥٠٧٠**

**موقع المجلة على الإنترنت:**

www.attarikh_alaralbi.ma




**المجلة العربية للعلوم الإنسانية ( س ٢١، ع٨٢، ربيع ٢٠٠٣م)**

مجلة فصلية محكّمة، تقدم البحوث والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية باللغتين العربية والإنجليزية، تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت.

تنوعت بحوث هذا العدد من الدورية، وجاءت تحت عدة أبواب، بدأها محمد حسن عبدالله ببحث عنوانه «الأسير في القصة الكويتية القصيرة»، وأرّخ سليمان عبدخرابشه لـ «إمارة بني دلف في بلاد الجبل ودورهم في الدولة العباسية (٢١٠ - ٢٨٥هـ/٨٢٥ - ٨٩٨م)»، وقدم عبدالكريم مجاهد دراسة عن «الانزياحات الأسلوبية في لغة عرار من خلال ديوانه (عشيات وادي اليابس)»، وختم عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم بحوث العدد بموضوع عنوانه «الأسر تاريخياً: دراسة عن أسرى الكويت بوصفهم حالة سلبية لنظام الأسر».

وجاء في باب مناقشات «إشكالية المفهوم في كتابة التاريخ العربي»، لعبد العزيز عياد، كما جاءت مراجعة الكتب عن كتابين : «حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي» تأليف محمد الحداد، وراجعه أبوبكر أحمد باقادر، وكتاب «الأصول المملوكية للعمائر العثمانية» تأليف محمد حسام الدين إسماعيل، وراجعته حياة ناصر الحجي.

وختمت الدورية بباب تقارير قدم فيه موسى زمولي ملخصاً لما دار في «ندوة اللغة العربية وتكنولوجيا المعلومات» التي عقدت في الجزائر في الفترة من ٢٨- ٢٩/١٢/٢٠٠٢م.

**العنوان: ص.ب: ٢٦٥٨٥ الصفاة**

**الرمز البريدي: ١٣١٢٦ الكويت**

**هاتف: ٤٨١٧٦٨٩ ناسوخ: ٤٨١٢٥١٤**

# الموت في مأساة هاملت

أحمد زياد محبك
حلب - سورية

يبدو الموت في مسرح وليم شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦م) موضوعاً جديراً بالبحث لما للموت في مسرحه من مكانة، فمعظم أبطال مآسيه يموتون، ولا سيما الشخصيات ذات الدور الفاعل والمؤثر، فالملك لير يموت، وروميو يموت كما تموت جوليت، ويوليوس قيصر يموت، كما يموت بروتوس، وكذلك تموت كليوباتره، ويموت ماكبث مثلما مات من قبل دنكان، ويموت هاملت كما يموت معظم رجالات القصر حوله، فما سر هذا الموت؟ وما وظيفته في مسرح شكسبير؟

ليس الموت في مسرح شكسبير واحداً، بل إن كل شخصية تموت بطريقتها الخاصة والمختلفة، ولكل موت وظيفته الفنية والفكرية المختلفة عن موت شخصية أخرى، إن الموت في مسرح شكسبير ليس مجرد نهاية عادية ولا وسيلة لإنهاء العمل المسرحي، كما أنه ليس مجرد موت عادي.

وبحسب المرء أن يقف هنا عند ظاهرة الموت في مسرحية واحدة من أكثر مسرحياته احتفاء بالموت وأكثر مسرحياته صعوبة في تفسير الموت فيها، وهي مسرحية هاملت (١٦٠٦م)، وتعد من أكثر مسرحياته نضجاً وأهمية، فقد كتبها وله من العمر اثنان وأربعون عاماً، ففي هذه المسرحية يموت هاملت الأب، ثم يموت بولونيوس الوزير، ثم تموت ابنته أوفيليا حبيبة هاملت، ثم يموت رسولان من أعز أصدقاء هاملت، ثم تموت جيرترود، ثم لايرتس شقيق أوفيليا، ثم يموت كلوديوس عم هاملت، وأخيراً يموت هاملت.

في البداية يموت هاملت الأب ملك الدانمرك بالزئبق الذي تضعه له زوجته جيرترود في أذنيه لتظفر بشقيقه من بعده زوجاً، وبذلك يذهب ضحية خيانة زوجته ورغبتها الجسدية، وهو الذي كان يصب في أذنيها كلمات الحب، ويكون موته غيلة من غير أن يدري به أحد مثلما لا يدري أحد بعشقها لأخيه، ولا يشير إلى شيء من ذلك كله إلا شبحه الذي يطلب من هاملت أن يثأر له، ولا يفضحه إلا عرض مسرحي قصير تقدمه في داخل القصر فرقة جوالة بدعوة من هاملت إذ تقدم أمام الملك مشهداً يمثل مقتل هاملت الأب مما يثير غضب الملك ويفضح أمره.

## موت من وراء الستار

ثم يموت الوزير بولونيوس بطعنة من سيف هاملت، وهو لا يقصد طعنه، فقد دخل هاملت على أمه في مخدعها وأخذ يلومها على إسراعها في الزواج من عمه، ويطلب منها أن تهجر فراشه، ويقسو عليها في القول، فتصيح مستنجدة، فيلبي نداءها بولونيوس إذ كان مختبئاً وراء ستارة، فيبادر هاملت إلى طعنه وكان يحسبه عمه، ويسقط مضرجاً بدمائه، وإذا هو بولونيوس والد حبيبته أوفيليا الذي كان يحرض ابنته على هجر هاملت وعدم التودد إليه، وهو أيضاً الوزير في القصر، وكان يتجسس لمصلحة الملك ويسعى إلى نيل رضا جيرترود، وينصح لها بعدم رعاية هاملت، وبذلك يكون موته من وراء الستار، ومن غير أن تعرف شخصيته، كما يكون موته مجانياً من غير جدوى؛ لأنه عاش يتجسس من وراء الستار.

ثم تموت أوفيليا وقد نالها مسٌ من جنون حزناً على أبيها الذي قتل بيد حبيبها هاملت، ونال منها القهر وقد توزعت نفسها بين حبها لهاملت ونقمتها عليه لأنه قتل والدها، كما أحست أن حياتها قد دمرت، إذ فقدت والدها بموته، وخسرت الزوج؛ لأنها لا يمكن أن تتزوج قاتل أبيها، ولذلك ترتدي ثوب الزفاف، وتزين شعرها بالورود، وتتسلق شجرة، ثم ترمي بنفسها في النهر لتموت غرقاً، على نحو ما روت جيرترود عن موتها، وبذلك يكون موتها مسوّغاً؛ إذ لا معنى لحياتها بعد فقد الأب وخسارة الزوج، ومن الطبيعي أن تصاب بذلك المس من الجنون، ومن الطبيعي أيضاً أن تموت في ثياب الزفاف والورد يزين رأسها؛ لأنها ماتت وفاء لأبيها وحفاظاً على حبها، ومن المستحيل أن تعيش زوجة لقاتل أبيها، ومن هنا تبدو أوفيليا بريئة طاهرة، قد اختارت الموت لنفسها حفاظاً على حبها ووفاء لأبيها، ولم تسع وراء رغبتها الجسدية، ولم تخن أباها ولا حبيبها، كما كان موتها شاعرياً جميلاً، إذ رمت بنفسها من فوق الشجرة رمز الخصب والحب والحياة وهي في ثوب الزفاف دلالة على طهرها ونقائها، وسقطت في النهر رمز الديمومة والاستمرار، فكأنها لم تمت.

## خيانة وموت

ثم يموت صديقان من أعز أصدقاء هاملت، وهما روزنكرانتز وجيلدينشترين، وكان الملك كلوديوس قد اختارهما ليتجسسا عليه، ثم ليرافقاه في رحلته إلى إنجلترا، وقد زودهما بكتاب إلى ملك إنجلترا يتضمن الطلب إليه أن يكرمهما، وأن يقتل هاملت، يتمكن هاملت من فض الرسالة، وتغيير مضمونها فيكون مقتلهما جزاء وفاقاً لخيانتهما الصديق، وبديلاً من المكافأة التي كانا سيحصلان عليها.

ثم تموت جيرترود وهي تشهد المبارزة بين ولدها هاملت ولايرتس شقيق أوفيليا، إذ رجع من فرنسا بعد سماعه بنبأ مصرع والده على يد هاملت، ويكون وصوله يوم دفن أخته أوفيليا فيثور غاضباً، ويشجعه الملك على مبارزة هاملت لعلمه أن هاملت لا يجيد المبارزة ولعلمه أيضاً أن لايرتس قد تدرب عليها في فرنسا، كما يعمد إلى تسميم سيف لايرتس، وزيادة منه في الاحتياط يضع سماً في كأس شراب، ويزعم أنه قد وضع فيها لؤلؤة، وأنه سيقدم الكأس لهاملت إن كان الفوز له، وفي أثناء المبارزة يجرح هاملت، وتتألم جيرترود لرؤية ولدها وهو ينزف، فتصاب بشيء من الدوار، وتلجأ إلى الكأس تحتسي ما فيها من شراب، وسرعان ما يسري السم في جسمها وتموت، وبذلك تتجرع كأس السم مثلما تجرعت كأس المتعة، ويكون موتها نتيجة تآمر زوجها ومكره وخداعه، وهي التي خانت من قبل لأجله وخدعت وقتلت، فإذا هي تجني ما زرعته يداها.

ثم يموت لايرتس، فقد طار السيف من يد هاملت كما طار سيف

لايرتس من يده، فإذا هما يتبادلان السيفين، وفي هذه الأثناء يتمكن هاملت من جرح لايرتس، فيذعر لايرتس؛ لأنه أدرك أن السيف الذي بيد هاملت هو سيفه، وهو يعلم أنه مسمم، ويبدأ السم يسري في جسده، فيسقط وهو يعترف أمام هاملت أن ثمة مؤامرة قد دبرها الملك، ثم يموت، فيكون موته بسيفه وبالسم الذي يعلم أن السيف مغمس به، وبذلك يرتد كيده في نحره وينقلب سحره عليه، فيأتي موته جزاءً وفاقاً لتآمره مع الملك، ونتيجة لقبوله بالغدر والخيانة، ولا يحقق شيئاً من الثأر لأخته أو أبيه على نحو ما كان يتصور، أو على نحو ما زيّن له الملك المبارزة، ويكون موته في الحقيقة نتيجة طيشه واندفاعه وغروره، وهو موت رخيص لا جدوى منه ولا عزة فيه، بل إن فيه الخسة، مثله مثل موت أبيه.

ثم يكون موت الملك، إذ يندفع هاملت نحوه ليغرز سيفه في قلبه، وبذلك يكون موت الملك كلوديوس على يد ضحيته هاملت، وهذا الموت في الحقيقة جاء متأخراً كثيراً، إذ لم يندفع هاملت إلى قتله عندما طلب إليه شبح أبيه أن يثأر له من موته، كما لم يشأ أن يقتله عندما دخل عليه وهو يصلي، لقد أراد هاملت أن يتأكد من خيانة عمه، وأن يثبت للقصر تلك الخيانة حتى يكون قتله مسوغاً بل مشروعاً، وإذا كان كلام شبح أبيه مقنعاً بالنسبة إليه فإنه غير مقنع بالنسبة إلى الآخرين، ولذلك لم يقتل عمه إلا بعد ما تأكد من المؤامرة، وبعدما ثبت له باليقين مسؤوليته الكاملة عن كل الفساد الذي عم المملكة، إن الوصول إلى الحقيقة ومعرفتها معرفة يقينية هما السبب البعيد وراء تأخر هاملت في قتل عمه، وليس ما يقال عن تردده، أو تظاهره بالجنون، إن هاملت شاب مثقف، لا يمكنه أن يندفع وراء دعوة شبح إلى الثأر، ولا يمكن أن ينساق وراء انفعال، ولقد عانى كثيراً وتألم في سبيل الوصول إلى الحقيقة.

## موت العزة

ويجيء أخيراً موت هاملت، وهو موت مأسوي فاجع، ليثير الألم، ولكنه موت العزة والبطولة في سبيل الوصول إلى الحق والدفاع عنه، وهو حتمي لابد منه، ولذلك كان سؤاله الشهير: أن تكون أو لا تكون، تلك هي المعضلة، وهو لا يقصد مجرد العيش أو الوجود، إنما يقصد الوجود الحق، القائم على العزة والحرية والكرامة، ولذلك انتهى إلى الموت، إذ لا يمكن لهاملت أن يعيش بعد أن فقد الأب والعرش والحبيبة، وبعد أن فقد الأم مرتين، مرة بزواجها من عمه ومرة بموتها، ولا مسوغ لاستمراره في الحياة بعد أن عرف الحقيقة. لقد دفع هاملت حياته في سبيل الحقيقة، وحسبه أنه عرفها وأعلنها للجميع، بل أعلنها على مرّ العصور، فقد أصبح هاملت في الختام قبل أن يموت صديقه هوراشيو يهم بتجرع ما تبقى في الكأس من سم ليموت بطريقة مشرفة تشبه الطريقة الرومانية في إنهاء الحياة، ولكن هاملت يمنعه، ويطلب منه أن يبقى على قيد الحياة كي يروي للأجيال القادمة قصته، وبذلك يكون هاملت في موته قد ولد من جديد.

لقد اختار شكسبير أكثر أشكال الموت إيلاماً، ولكن من غير مبالغة ولا افتعال، وكلها أشكال طبيعية نابعة من طبيعة حياة الأبطال ومن جنس أفكارهم وتصوراتهم عن الحياة، فموتهم جميعاً عادل ومكافئ لشخصية كل منهم، ويلاحظ أن أكثرهم مات على خشبة المسرح طعناً على الأغلب بالسيف أمام الجمهور، عدا أوفيليا التي ماتت منتحرة وقد رمت بنفسها من فوق غصن شجرة وهي في حلة الزفاف متوجة بالورد، على نحو ما روت جيرترود، كما ماتت جيرترود بالسم تحتسيه من الكأس التي كان الملك كلوديوس قد أعدها لولدها هاملت، وبذلك يرعى شكسبير حرمة الأنوثة ولا يجعل المرأة تموت بطريقة أخرى، كما يجعل موت روزنكرانتز وجيليدينشترين صديقي هاملت إعداماً بعيداً عن إنجلترا، ولا يكون على خشبة المسرح ،إنما يورده خبراً في نهاية المسرحية يحمله سفير إنجلترا ليلقيه على هوراشيو بعد موت الملك وموت هاملت، وكأن موت هذين الصديقين الخائنين كان مجرد خبر لا يلقى أي اهتمام، وهو موت مكافئ لخيانتهما.

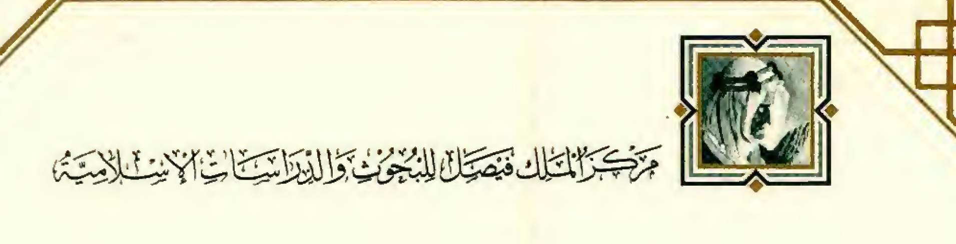
لقد تناثرت الأشلاء على خشبة المسرح، وكثر الموتى، حتى كأننا أمام وليمة للموت، كما يقول فورتنبراس، وقد يبدو هذا الموت عشوائياً وغير مسوغ أو غير قابل للتفسير، ولكن الأمر ليس كذلك، حقاً إن الموتى جميعاً يتفقون في أنهم موتى، فالموت في المطلق واحد، ولكن أشكاله وغاياته وقيمته تختلف من موت إلى موت، فثمة فرق بين موت مشرف وموت مهين، ولكن المؤلم حقاً أنهم جميعاً كانوا ضحية التآمر والغدر والخيانة، سواء أكانوا غادرين أم مغدورين، سواء أكانوا أنقياء أم ملوثين، فقد عاشوا جميعاً في وسط الخيانة، ومرجع ذلك كله إلى الخيانة الأولى، خيانة الزوجة الملكة جيرترود لزوجها الملك هاملت الأب، مما جر عليها الوبال وعلى زوجها وعلى الحب البريء الذي كان يجمع بين ولدها هاملت وحبيبته أوفيليا، بل جر الوبال على المملكة كلها، إذ قدم في الختام فورتنبراس أمير بولندا ليكون ملكاً على الدانمرك.



وسيظهر جلال الموت وعظمته عندما نذكر أن أحد المخرجين غير في النهاية، فجعل هاملت وأوفيليا يبقيان على قيد الحياة ليتزوجا، ويعتلي هاملت عرش الدانمرك، فكانت نهاية باهتة، غير مقنعة، ولا تنبع من بنية العمل، ولا تقود إليها طبيعة الشخصيات والأحداث، إذ لا يمكن أن يعيش حب نقي طاهر بريء في جو من الغدر والدسيسة والخيانة، مثلما لم يعش الحب النقي الجميل بين روميو وجولييت وسط العداء والحرب بين أسرتيهما.

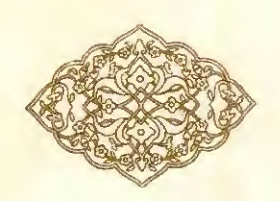
وبعد، فهل تودّ المسرحية أن تقول: إن الخيانة واحدة، سواء في ذلك خيانة الزوجة أو الصديق أو الوطن؟، وإن خيانة واحدة كفيلة أن تقود إلى ما لا تتوقع نتائجه؟ أم هل تودّ أن تقول: إن الحق لابد أن يظهر في النهاية، وإن على المرء أن يناضل من أجل إظهاره ولو دفع حياته ثمناً؟ هل تودّ المسرحية أن تقول: إن الموت هو غاية كل حي، وإن على المرء أن يختار ميتته، فإما أن تكون مشرفة وإما أن تكون غير ذلك؟ هل تود أن تقول: إن الموت ليس عبثاً ولا عشوائياً، وإنما هو نتاج طبيعي للحياة التي يحياها الإنسان؟ وإننا لا نكاد نفهم الحياة أو نعيها إلا في حضرة الموت؟ ولذلك تناثرت تلك الأشلاء؟

والجميل في المسرحية أنها لا تقول شيئاً من هذا، ولا تجعل الشخصيات تنطق به، بل تتركها تتصرف وتحيا وتعيش الحياة كلها، بأشكالها المختلفة، بما يرضي القارئ وبما لا يرضيه، وله بعد ذلك أن يحكم كما يشاء وأن يفسر كما يريد بحرية مطلقة، ولذلك فإن مجال القول في هاملت لا ينتهي، وفي الحقيقة إن هناك من هاملت بعدد قراء هاملت.




السّفر الثّاني

# من كتاب المقتبس



تصنيف

حيّان بن خلف بن حيّان القرطبي

( ٣٧٧هـ - ٤٦٩هـ )

تحقيق

الدكتور محمود علي مكي

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة

تحقيق التراث (٣)